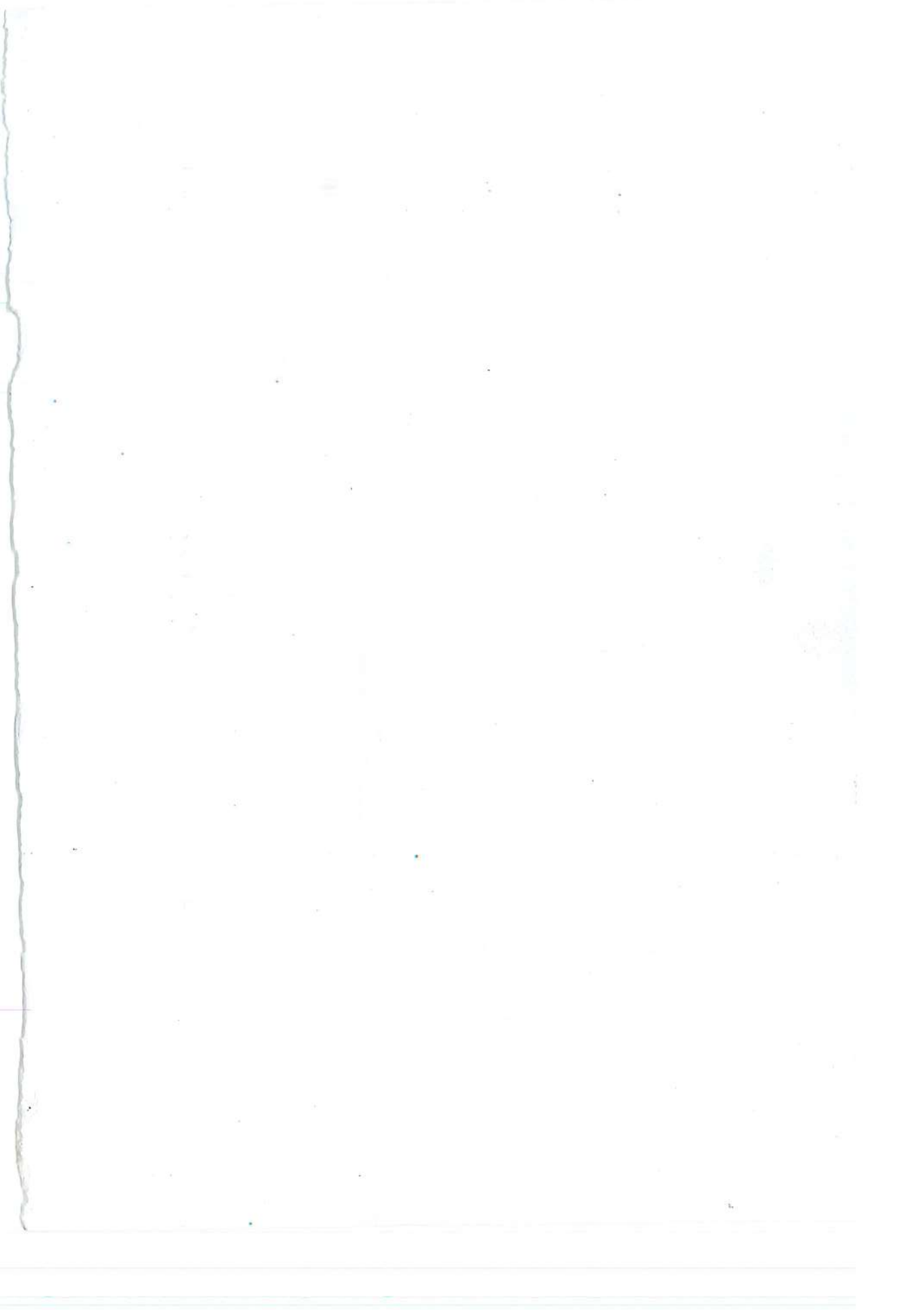


السردية
التاريخية الأردنية



السردية التاريخية الأردنية

أشرف الضباعين

2026

هذا الكتاب يمثل رأياً شخصياً للمؤلف مبني على حقائق دينية وتاريخية وأثرية ملموسة أو من التراث الشفهي المنقول، كما أنه مبني أحياناً على تحليل مؤرخين معروفين. ولا يعبر هذا الكتاب عن رأي أي فرد أو جهة أخرى رسمية أو غير رسمية ما لم يرد عنده إشارة، أو نصاً في هذا الكتاب. جميع الحقوق محفوظة للمؤلف. لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب، أو أي جزء منه، أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات، أو نقله بأي شكل من الأشكال، دون إذن خطي مسبق من المؤلف، والإشارة للمؤلف حسب الطرق المتبعة في البحث العلمي وحسب الأصول.

الفهرس

١١	مقدمة الطبعة الأولى
١٥	مقدمة الطبعة الثانية
١٩	الفصل الأول: البناء السردى والرواية السردية الوطنية.
٢١	-الأردن: الاسم والمكان.
٢٩	-عوامل النجاح فى السرد.
٣٢	-المسألة اليهودية وأوروبا.
٣٦	-السردية اليهودية المقابلة.
٣٩	-الحاجة إلى السردية التاريخية.
٤٤	-علم السرد.
٤٩	-التحقق فى علم السرد.
٥٢	-السردية وعلم التاريخ والآثار.
٥٧	-السردية والكتاب المقدس.
٦١	الفصل الثانى: الكتاب المقدس والسردية التاريخية
٦٣	-الكتاب المقدس، مصدرًا لأحداث تاريخية.
٧٠	-الحج والسردية.
٧٢	-الضعف فى إنتاج سردية مقابلة.
٧٥	-التاريخ والكتاب المقدس.
٨٥	-ملوك وأنبياء العهد القديم.
٨٧	-الاحتلال الإسرائيلى القديم.
٨٧	-المملكة الموحدة لدى النقاد.
٩٠	-نشأة الاحتلال اليهودى لفلسطين.
٩٥	الفصل الثالث: الممالك الأردنية التاريخية وعلاقتها مع جيرانها.
٩٧	-أهمية الأردن فى المنطقة والعالم.
٩٩	-ممالك أردنية عبر التاريخ.

٩٩	* مملكة قيدار.
١٠٠	* الأموريون.
١٠٥	* مملكة أدوم.
١١٠	* مملكة عمون.
١١٦	* مملكة مؤاب.
١١٨	* آرام.
١١٩	* السيطرة المتقلبة.
١٢١	* الديكابوليس.
١٢٢	* مملكة بيرية.
١٢٤	* الاحتلال المكابي.
١٢٤	* الأنباط.
١٢٨	* الخضوع للحكم الروماني.
١٣٠	* الضجاعة.
١٣٢	* الغساسنة.
١٤١	* العلاقات بين الأردن ومحيطه.
١٤٢	* العلاقات بين ضفتي النهر.
١٤٤	* العلاقات مع آشور وبابل.
١٤٥	* مصطلحات وجب شرحها.
١٥٥	الفصل الرابع: السرديات الدينية الأردنية
١٥٧	- تأسيس السردية التاريخية.
١٦٠	- السرديات الدينية المفترضة.
١٦٠	- سردية مقام النبي نوح.
١٦٣	- سردية إبراهيم ولوط
١٦٧	- سردية سادوم وعمورة
١٧٢	- سردية نصب زوجة لوط
١٧٣	- سردية كهف لوط

١٧٨	-سردية النبي شعيب.
١٨١	-سردية النبيان موسى وهارون.
١٩٤	-سردية مقام حزير.
١٩٦	-سردية مقام النبي يوشع.
١٩٨	-سردية الملك شاول وعمون.
٢٠٠	-سردية الملك داوود وعمون.
٢٠٤	-سردية تل مار الياس.
٢٠٧	-سردية النبي السابق - يوحنا المعمدان.
٢١١	-سردية مكاور ويوحنا المعمدان.
٢١٦	-سردية المغطس مكان المعمودية.
٢٢١	-سردية أهل الكهف.
٢٢٤	-سردية كاسترون ميفعة أم الرصاص.
٢٢٥	-اسم مادبا: المكان والتاريخ والحدث.
٢٢٨	-تضحية الكرك.
٢٢٨	-مسلة ميشع.
٢٣٢	-سؤال مهم: هل زار السيد المسيح الأردن؟
٢٣٤	-مواقع مسيحية أخرى.
٢٣٥	-مواقع إسلامية أخرى.
٢٣٧	-أضرحة الصحابة في الأردن.
٢٤٠	-آلهة وثينة أردنية، وآلهة الأقوام الأخرى.
٢٤٣	معلومات عامة.
٢٥٠	السيرة الذاتية للمؤلف.
٢٥١	المراجع

مقدمة الطبعة الأولى

إن الأردن بلد غني بكنوزه البشرية والتاريخية والأثرية والطبيعية وغيرها من جوانب الحياة، ويتميز الأردن بأنه واحد من أكثر بقاع الأرض التي أنعم الله عليها بالعديد من النعم، أهمها موقع الأردن المتميز، حيث يتواجد في موقع جغرافي فريد جعله يتوسط قارات العالم القديم، فهو إذا مقر للعديد من الجماعات والشعوب والقبائل، وأرضاً لعددٍ من الممالك والدول والحضارات، كما أنه كان ممراً للعديد من القوافل والأمم والجيوش.

هذا كله جعل الأردن بلداً متميزاً فريداً، فذكر في عدة مواقع من الكتاب المقدس، والذي يعتبر أهم وأقدم وثيقة دينية متكاملة وصلت إلينا، كما ذكر في السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي، حيث كان الأردن موقعاً ومكاناً للعديد من الأحداث المهمة في التاريخ الإسلامي سواء أثناء حياة الرسول أو لاحقاً أثناء الخلافة الإسلامية على مر العصور، ناهيك عن ذكره في عدة مصادر قديمة أخرى. وقد يقول قائل أن الأردن لا وجود سابق له، وأنه بلدٌ مستحدثٌ، وأنه كان صحراء خاوية على عروشها، فعن أي تاريخ وحضارات نتكلم! لمثل هؤلاء نقول: أعانك الله على عقلٍ لم تُجيد استخدامه، ولسانٍ اعتاد ترديد كلام الأعداء والبلهاء، وإتخاذ مواقف المشبوهين والمغرضين من أصحاب الفكر الظلامي أو الاستعماري.

وكما أشرنا سابقاً عن تلك الحضارات الغابرة والضاربة جذورها في عمق التاريخ حتى الأقرب لآيامنا، كانت كل حضارة من هذه الحضارات تضع لمساتها وأسلوبها وطريقة عيشها ومعتقداتها وشواهداها من أعمالٍ وعمارة سواء البسيطة منها كبيوت الطين والقصب والمُغر، وحتى أعمال وعمارة ذات أبعادٍ هندسية معقدة كالمسارح والساحات والمعابد والكنائس والمساجد والقصور والقلاع والحصون وغيرها، ناهيك عن أعمال تراثها وثقافتها وفنونها كالتمثيل، والأصنام، والأوثان، والأنصاب، والأزلام، مروراً بالمجسمات والأعمدة

والنقوش ولوحات الفسيفساء والكتابات؛ كذلك كانت تترك بصمتها وأساليبها التقنية في التعامل مع الماء الشحيح والزراعة والصناعة والطرق والتنقل والتجارة وغيرها.

كما تعتبر الصحراء الأردنية مكاناً زاخراً بالحياة منذ العصر الحجري الحديث ناهيك عن أنها كانت موئل القبائل العربية الشمالية، التي كشفت كتاباتهم ونقوشهم على الحجارة على امتداد الصحراء عن تواصلهم الحضاري الفاعل مع القبائل والدول المجاورة.

ورغم هذا الزخم الكبير في التاريخ والحضارة والتراث الإنساني والطبيعي، إلا أن القطاع السياحي في الأردن يعاني من ضعف شديد ونقص حاد في السردية أو المروية التاريخية، مما جعل الكثير من الدخلاء يسردون قصصاً ما أنزال الله بها من سلطان، والمبالغة في المرويات حتى اختلط الغث مع السمين، والصالح مع الطالح، والطيب مع الخبث، والجيد مع السيء، والحقيقي مع المزور، والواقع مع الخيال. وسعى البعض لرفض كل المرويات سعيًا لتمرير مروياته أو ما يتفق مع رؤيته ورأيه أيًا كان، وهذا لا ينقص الحقيقة شيئاً بل يجعل المصدقية العلمية لهذه المجموعات محل شك وريبة، وزاد الأمر سوءاً أن لا جهة رسمية واحدة قادرة أو راغبة في تبني مروية أو قصة واحدة، وأنها إذا ما تبنت مروية من تلك المرويات أعادتها إلى الاعتقاد المحتمل، ونسبتها إلى الشك لا إلى اليقين، والحديث يطول حول هذه النقطة بالتحديد.

وعليه فإن الزائر أو السائح أو المواطن أمام جهل حقيقي لذلك التاريخ، تاريخ الأردن القديم، فيعتمد وجهة نظر أحدهم، أكان مؤرخاً، أو رجل دين، أو حتى سباكاً يهرف بما لا يعرف.

لقد سمعت وشاهدت الكثير ممن يسترزقون بهذا الأمر، وقدموا لذلك سرديات ومرويات لا يمكن وصفها بأقل من تسويقٍ سياحي خالي من الهدف والمضمون والمعنى، ويهدف في الأساس إلى إبهار السائح أو الزائر أو المشاهد أيًا كان بقصةٍ مشوقةٍ فُبركت في حينه أو مسبقاً ولا تستند لواقعٍ أو حقيقة.

لذا ولأن الساحة خلت من سردية رسمية كان لا بد من عملٍ فردي لنشر سردية تستند إلى مصادر ووثائق ومراجع يُعتد بها، دون أن أنكر بأن هذا العمل الفردي سيلقى هجوماً ورفضاً وتهميشاً من العديد من الناس لأهدافهم الخاصة.

يُقدم هذا الكتاب مساعدة لمن يرغبها ولمن يحتاجها. لكن يجدر التنويه بأن هذا الكتاب هو كتاب دراسات تاريخية موجه في الأساس للدليل السياحي، ولكل دارسٍ وباحثٍ في السردية وفي التاريخ الأردني، وهو ليس كتاباً تبشيراً أو دعواً، بالرغم من استنادي لأهم وأقدم المصادر الدينية والتاريخية المدونة. وكل ما يرد من معلومات تاريخية أو دينية هنا هدفها زرع ثقافة عامة لدى الدليل السياحي، ليقدّم سردية أو قصة للمكان الذي يعمل فيه، وليس تغيير معتقده الديني، ولا لإثبات ما لا حاجة لنا به، ولا إنكار ما يريد البعض أن نصمت ونسكت عنه.

إن الحكمة تقول: إعرف عدوك. ونحن كعرب بيننا وبين المهاجرين من أوروبا وأمريكا من شعبٍ ينتسب لليهودية - وهم صهاينة محتلين - عداوة لا تلين، ولا يجب أن تلين، حتى نسترد أرضنا العربية في فلسطين وفي الجولان وما تبقى من جنوب لبنان من المحتل الغاصب، وهذا يتطلب منا أن نعرفهم جيداً ونعرف دينهم ولغتهم وعاداتهم وتقاليدهم ونقاط ضعفهم وما أكثرها ونقاط قوتهم وما أقلها، حتى نتمكن من محاربتهم بكل الوسائل المشروعة والتي كفلتها لنا النزعة البشرية أولاً والمواثيق الدولية ثانياً، والتي يعطلها شيئان: أمريكا أولهما، وقدراتهم المعرفية ثانياً، فهم شعب مثقف واستطاع بالعلم أن يشئت عددنا وعدتنا، ونحن شعب أغلبنا غير مثقف ويرفض معرفة عدوه بالشكل الصحيح والدقيق، وعليه، أكرر أن هذا الكتاب ليس كتاباً تبشيراً أو دعواً رغم مرجعيتي المسيحية التي أعتز بها، بل كتاب ليستفاد منه كل من يريد معرفة «اليهود» في جزئية بسيطة وكيف نقدم مواقعنا التاريخية والأثرية بالطريقة السليمة والصحيحة دون لبس أو مغالطات أو خوفٍ أو تحفظات.

والله ولي التوفيق.

أشرف الضباعين

مقدمة الطبعة الثانية

إن قلة المصادر التاريخية التي توثق تاريخ الأردن، وفقدان الكثير من المواقع الأثرية لأسباب متعددة جعل في تاريخ هذا البلد الكثير من الحلقات المفقودة، واستغل البعض هذه الحلقات المفقودة ليبنوا عليها سرديته السوداء بأن لا تاريخ فعلي للأردن، أو ليستخدمها الصهاينة لينوا عليها سرديتهم بأن الأردن جزء من أرض الميعاد المزعومة، وعندما نتحدث عن المصادر التاريخية لا بد أن نشير إلى أن بعضاً مما نشر عن تاريخ المنطقة يفتقد للموضوعية والنزاهة في عملية النقل، ناهيك عن المصادقية التاريخية التي يمكن الاعتماد عليها، لأسباب منها: أولاً أن الكثير من المؤرخين العرب كان همهم وشغالهم الأول تاريخ بلدانهم والمشغبة الإعلامية والمناكفة السياسية المبنية على صراع الزعماء العرب ومشاكلهم الشخصية، فكانت الأردن بالنسبة لهم جزءاً غير مهم أو جزءاً تابعاً، ثانياً كانت الحكومات العربية تسعى دوماً لمهاجمة الأردن وتهميش دوره عربياً وإقليمياً وتصويره دولة صغيرة ناشئة بلا تاريخ فعلي، ثالثاً إهمال الدولة الأردنية لفترات طويلة لتاريخ الأردن، ونضال شعبه وتضحيات جيشه ووسطية نظامه السياسي واستقراره وسط إقليم مضطراب.

إن الأردن جزء من منطقة واسعة كانت مأهولة بالسكان منذ العصور الحجرية وبشكل مستمر، وإذا كان لا يمكن فصل الأردن عن محيطه الواسع، لكن لا بد من القول أن الأردن تأرجح في أهميته الاستراتيجية خلال المدة التي سكن فيها الإنسان هذه البقعة الواسعة من الأرض، فأحياناً كانت الأردن ذات أهمية بالغة ومركزية وخصوصاً منذ العصور الحجرية وحتى العصر الإسلامي الأموي، ونالها التهميش أو الهدوء منذ العصر العباسي وحتى نهاية الانتداب البريطاني للأردن، ليعود للأردن دوره الإقليمي والعربي والعالمي بفضل السياسات الحكيمة، وإدارة العلاقات الإيجابية التي ينتهجها ملوك الهاشميين.

في الخمسينات والستينات والسبعينات وحتى الثمانينات كانت المناهج والمدارس والجامعات ناهيك عن الإعلام والصحف والإذاعات والأحزاب المؤدلجة القومية واليسارية والإسلامية في الأقطار العربية والإسلامية تُجيش الشعوب العربية ضد الأردن بلدًا ونظامًا وجيشًا، معتبرة أن هذا البلد بلدًا مصطنعًا أقامته بريطانيا. وهدأت هذه الأبواق لفترة وجيزة خلال حرب الخليج الثانية (حرب تحرير الكويت) لأن الأردن وقف حينها موقفًا عربيًا مشرفًا رافضًا تدخل «الأجانب» في قضية عربية، بينما توجه أصحاب المواقف القومية والإسلامية نحو موقفٍ مؤيد للتدخل الأجنبي! فتم اعتبار القضية الفلسطينية في ذلك الوقت قضية ثانوية، واحتل موضوع العراق بكل تفصيلاته الواجته السياسية الدولية والعربية، ومن وقتها خرج العرب بنتائج كارثية لقضاياهم وأولها القضية الفلسطينية التي تآكلت لحدٍ مروع جدًا، حتى أصبحت قضية بضع كيلومترات من قطاع غزة والضفة الغربية. ثم عادت الهجمة على الأردن مجددًا مع بداية محادثات السلام العربية الإسرائيلية، رافق هذه المحادثات حينها عصر انطلاق الفضائيات العربية التي ورثت دور الإذاعات والإعلام القومي في الخمسينات والستينات والسبعينات، والذي هاجم الأردن بشراسة، وبدأت هذه الفضائيات حملات تشويه وتشويش على الأردن، بدعم وتمويلٍ من جهات دولية وإقليمية، وما زالت هذه الحملات مستمرة بل وزادت بعد السابع من أكتوبر ٢٠٢٣، سواء من طرف الجهات العربية المشبوهة، أو من الجهة الصهيونية التي عادت تنفخ في حلم «إسرائيل الكبرى». وهذا الإدعاء الكاذب لن يتحقق إلا إذا تم «جر» أغبياء الأمة العربية وعوامها ومتطرفيها والمغيبين منها إلى التهام بعضهم بعضًا، وحرق الأمة كحريق روما أيام نيرون، ثم اتهم آخر المعاقلة القائمة بأقذر الاتهامات لتسقط كما سقطت كل العواصم، وبقيت دولة الاحتلال، ولعل المشروع الصهيوني يتفق مع مشروع التطرف العربي في هذه النقطة.

ولا أبالغ إن قلت أن مئات الملايين من الدولارات أنفقت في سبيل نشر سرديتين حول الأردن: السردية الأولى السردية الصهيونية التي تعتبر الأردن جزءًا من أرض الميعاد وحلم «إسرائيل الكبرى»، مستخدمة العهد القديم لتبريرها، وهذه السردية تتبناها عدة جهات

ودول ومنظمات وعلماء آثار ومؤرخين وحتى عدد من المجموعات التي تسمى بالكنائس الإنجيلية صهيونية في أمريكا والغرب. أما السردية الثانية والتي اسميتها في كتابي هذا بالسردية السوداء تعتبر الأردن جزءاً من بلدانٍ مجاورة أخرى إما سورية أو سعودية، أو الوطن البديل أو تريدها تابعة لنظام المرشد في إيران أو الشكل الجديد للعثمانية القديمة في تركيا، وهي في الواقع سردية في معظمها عربية ذات إتجاهات متعددة، وتريد من الأردن أن يكون ساحة لتصفية حساباتها مع الكيان الصهيوني والولايات المتحدة الأمريكية، أو باحة لطيش بعض الأنظمة العربية والإسلامية التي قادت بلدانها وشعوبها نحو الدمار والإنهيار والتراجع سياسياً وإقتصادياً واجتماعياً وثقافياً وعلمياً، ولا يمكن إنكار أن هذه الدول والمنظمات والجهات تمول جهات متطرفة تارة ويسارية قومية تارة لتحقيق مكاسب أنظمتها. إلا أن سقوط بعض الأنظمة العربية التي كانت تمول هذه السردية السوداء جعل أمر تحقيق هذا المأرب بعيد المنال. لكن تبقى الكثير من الجهات والدول تنفخ في نار التطرف ليصل لهيبتها نحو الأردن لا سمح الله.

جاء هذا الكتاب في طبعته الثانية ليتصدى لكلا السرديتين، لأنهما خطر محقق على الأردن. إنه من الضروري أن أُشير إلى أن مرجعيتي المسيحية لا تعني أبداً قبولي استخدام الكتاب المقدس لإثبات السردية الصهيونية، ومرجعيتي العربية لا تعني أبداً قبولي استخدام الأردن كساحة حرب بالوكالة. لقد استخدمت هذا الكتاب لإثبات أن لا حقوق للصهاينة حتى في فلسطين، وأن الكيان المحتل الذي يستند في حقوقه للعهد القديم، إنما يستخدم الكتاب المقدس كذريعة يبنى عليها حقوقاً من وهم خياله وغير مقبولة. كما أن السردية السوداء حول الأردن إنما هي صناعة الأحزاب والمنظمات والدول التي تتخذ من القومية والإسلام ذريعة لإذابة الأردن في كيانات قادت شعوبها نحو الموت والجوع والدمار والتخلف، ودوري هنا إثبات أن لعبهم على «جهل» و «إنعدام الثقافة» لدى الغالبية العظمى من الشعوب العربية بتسويق أن الأردن بلد مصطنع، وإنه باحة خلفية أو الساحة الخلفية، أو صحراء قاحلة تابعة لدول مجاورة، إنما هو يخدم الأطماع المشبوهة للتطرف الصهيوني

وفكرة إسرائيل الكبرى.

ما نراه ونلمسه من حالات فردية وجماعية من الكراهية ضد الأردن ناتج عن تلك المرحلة، وإذ كان على الحكومات الأردنية العمل على «الوقاية» و «العلاج» لهذه الكراهية، فإن الأمر يحتاج لعقود وجهود وأموال وخطط إعلامية وتعليمية وثقافية وتوعوية واسعة وشاملة. ومع أن الكثير من أبواق السردية السوداء قد زالت مع زوال الكثير من الأنظمة العربية والإسلامية، أو تغيرت نوعًا ما، إلا أن بعض الأبواق المؤثرة ذات المرجعية المتطرفة ما زالت موجودة وتستخدم الفضائيات العربية والإنترنت ومواقع التواصل الاجتماعي بأنواعها والذكاء الاصطناعي في هذا التحريض.

لقد ركزت الطبعة الأولى على السردية الدينية بشكل مطلق فأهملت دون قصد في تلك الطبعة بعض النقاط التي تنبّهت لها في الطبعة الثانية حيث لا يمكن التركيز فقط على السردية الدينية وإغفال مواضيع أخرى ذات أهمية، لذا سيلاحظ القارئ أنني تجاوزت السردية الدينية ودخلت في قضايا يتبينها القارئ في حينه.

ونظرًا لوجود بعض الملاحظات على الطبعة الأولى من هذا الكتاب، ووجود بعض النسخ التي لم تطبع جيدًا، ووجود مشكلة في التنسيق وبعض الأخطاء، فقد قمت ببعض التعديلات اللازمة، كما قمت بحذف ما اعتقدت أنه مفيد للسردية في طبعته الأولى لكنه أصبح فعليًا غير ضروري في هذه الطبعة المزيّدة والمنقحة.

داعيًا الله عز وجل أن يكون هذا الكتاب لخير الأمة وصلاحها.

أشرف الضباعين

الفصل الأول

البناء السردى والرواية السردية الوطنية

الأردن: الاسم والمكان

تتألف كلمة الأردن وبالإنجليزية Jordan من «جور» و «دان»، وهما الراءدان الشماليان لنهر الأردن^(١)، جور أي بانياس ودان أي اللدان فيصبح الاسم جوردان ويوردان في بعض اللغات، ثم أصبحت مع الزمن أوردان وأردن. بينما يفسرها بعض العلماء نقلا عن الموسوعة البريطانية أنه في اللغات السامية فإن كلمة الأردن مشتقة من الجذر (النزل) وتعني: الجدول الذي ينحدر، كما يقال أن الأردن اسم كنعاني ياردون YARDON. بينما يرى البعض أن الاسم (أردن) أصله آرامي بمعنى ينحدر، وذلك تبعاً لمجره شديد الانحدار من الارتفاعات الشاهقة في جبال لبنان إلى الانخفاض السحيق عند البحر الميت. ولعل أقدم مرجع لاسم نهر الأردن وجد في السجلات المصرية للسلالة الحاكمة التاسعة عشرة والتي وثقت النهر تحت اسم yar-ar-du-na والذي يشبه الاسم الكنعاني ياردون (YARDON).

ويقال أن الأردن اسم لأحد أحفاد نوح لكن لا مصدر موثوق يؤكد هذا الأمر، لكن تم ذكره كأحد التفسيرات للاسم عند بعض المؤرخين.

ويشير البعض بأن اسم الأردن وقع على الأراضي التي تقع على ضفتي النهر الشرقية والغربية، لكن يرى معظم المفسرين أن الضفة الغربية للأردن سميت أرض كنعان بينما سميت الشرقية منها بعر الأردن، وأسماء أخرى سنذكرها في حينه منها على سبيل المثال أرض آرام أو أرض الأموريين أو دائرة الأردن أو عبر الأردن أو خلف الأردن وغيرها.

اسم عبر الأردن وفقاً للترجمة السبعينية والتي تُقرأ (هاياردان ميرزاح) وتعني خلف الأردن باتجاه المشرق قد تُرجمت في الإغريقية إلى باران توا جوردانويو أي

(١) لنهر الأردن روافد أخرى هي الحصباني في شمال بحيرة طبريا وتسمى الروافد الشمالية بينما له روافد جنوبية أي جنوب بحيرة طبريا مثل نهر اليرموك ونهر الزرقاء.

خلف الأردن، والتي تُرجمت في اللاتينية إلى عبر الأردن Trans Jordan أو ما وراء الأردن.

أما دائرة الأردن فوردت في الكتاب المقدس: «فَرَفَعَ لُوطُ عَيْنَيْهِ وَرَأَى كُلَّ دَائِرَةِ الْأُرْدُنَّ أَنَّ جَمِيعَهَا سَقْيٌ، قَبْلَمَا أَخْرَبَ الرَّبُّ سَدُومَ وَعَمُورَةَ، كَجَنَّةِ الرَّبِّ، كَأَرْضِ مِصْرَ. حِينَئِذٍ تَجِيءُ إِلَى صُوغَرَ.» (تك ١٣: ١٠).

بكل الأحوال ذكر الأردن كنهر أو كأرض في الكتاب المقدس ما يقارب ٤٠٠ مرة، وهذا إن دل فهو يدل على أهميته وقدسيته.

في مراحل متقدمة سميت الأردن أسماء مختلفة حسب ما ورد تاريخياً وحسب الظروف التي وقعت فيها الأراضي الأردنية من استقلال ومن تبعية.

المتعارف عليه أن الأردن كانت موطناً لجماعات دائمة التنقل منذ العصور الغابرة وبعضها استقر في فترات متقدمة، وهذه المجموعات كانت تنطق باللغة السامية وفروعها وذلك من أواخر العصر البرونزي إلى العصر الحديدي المبكر، ثم سكن الأردن وكل ما حولها الأموريين وهم شعوب غير مستقرة تتصف بخشونة الطبع، ولعل جماعات منهم اتخذوا الكهوف منازل لهم وحضائر لمواشيهم، وقد أنشأت جماعات منهم قرى بدائية في الأردن أي تمدنوا مع مرور الوقت، ورغم تمدنهم إلا أن كيانهم لم يصل لمرحلة الدولة في مفهومها في تلك الفترة، وسميت الأردن حينها عدة أسماء منها أرض الأموريين أو أرض باشان وغيرها، ثم عاش في الأردن الحشبونيين (نسبة إلى حشبون) والأدوميين (نسبة إلى أدوم) والمؤابيين (نسبة إلى مؤاب)، والعمونيون (نسبة إلى عمون)، وخلال هذه الفترات كان الأردن يتعرض لصراعات وتوسع من قبل جيرانه ولعل أكبر دليل على ذلك مثالين: وجود نقش هيروغليفي لرئيس الثالث في وادي رم، ونقش مسماري للملك البابلي نابونيد في السلع - بصيرا^(١)، كما ويعتقد

(١) إن ورود اسماء ملوك أردنيين من مؤاب أو عمون أو أدوم في نقوش آشورية جنباً إلى جنب مع ملوك في سورية ولبنان وفلسطين يدل بلا أدنى شك بأن هذه الممالك لا تقل أهميتها ومستواها عن مستوى جيرانها من الدول.

أن الممالك الأردنية كانت تتوسع نحو أراضي جيرانه في فترات ما، وبكل الأحوال كان هذا التوسع والتمدد في الأراضي الأردنية مؤقت وخاضع لظروف القوة، ولا يعني وقوع الأراضي الأردنية لفترة ما تحت حكم الفراعنة أنها فرعونية، أو تحت حكم آشور وبعدها بابل أنها آشورية أو بابلية، ولا تعني أن الأردن كانت يونانية أو رومانية أو غيرها في العصر الهلنستي. كانت كل الأقوام الغربية تدخل الأردن للتجارة وترحل عنها أو تدخل الأردن للمرور أو الحروب وثم ترحل عنها... فالبقاء كان لأهل هذه البلاد وليس للغريب. لكن لا بد من الإشارة أن الشعوب ذابت في بعضها وهذا تفسير منطقي على اختفاء ممالك وظهور أخرى.

ويبدو أن الآراميين وهم إحدى الشعوب السامية وموطنهم وسط وشمال سوريا استطاعوا إخضاع أجزاء من شمال الأردن لحكمهم، وذلك لأنهم كانوا من الشعوب المتنقلة، ولعل مملكة آرام الدمشقية امتدت سلطتها في فترة أوجها ليصل لجنوب الأردن، ولعل نقش دير علا أثار الكثير من التساؤلات حول الامتداد الآرامي للأردن أو الإمتداد الكنعاني، والنقش نفسه مزيج غريب بينهما، ومع ذلك فإن من المرجح أن سكان الأردن في تلك الفترة كانوا آراميين - كنعانيين، لكن الأمر بحاجة لدراسة علمية أكثر نحن لسنا في صدها في هذا الكتاب، لكن الأردن في تلك الحقبة كان سكانها مزيج من الآراميين والكنعانيين والأموريين.

وكما ذكرنا كانت الأراضي الأردنية مقسمة بين ممالك متعددة من الأموريين والأدوميين والمؤابيين والعمونيين، ثم وقعت الأردن تحت الاحتلال الآشوري البابلي وامتد حكم الفراعنة والفرس للأردن أيضاً. وفي فترة كان جزء كبير من شمال الأردن يدعى بجلعاد، ثم وقعت الأردن تحت حكم الجصاعمة والغساسنة ومملكة الأنباط والاحتلال اليوناني - الروماني (الهلنستي)، وتأسست في الأردن حلف المدن العشرة أو الديكابولس، حيث كانت المدن الأردنية وقتها ممالك ذاتية الحكم، وأطلق عليها اسم المقاطعة العربية، وهي إحدى مقاطعات الإمبراطورية الرومانية التي تم تأسيسها

في القرن الثاني للميلاد، وعندما تم احتلال وضم مدينة البترا، أصبحت الأخيرة المركز الإداري لهذه المقاطعة. وكان يحد هذه المقاطعة مقاطعة سوريا في الشمال، ومقاطعة مصر في الغرب، وباقي الصحراء العربية من الشرق والجنوب.

في الفترة البيزنطية وهي امتداد للعصر الهلنستي، كانت الأردن مقسمة بين ما يسمى بمقاطعة فلسطين الثانية وعاصمتها سكيثوبوليس Scythopolis واسمها بيسان اليوم، وكانت تشمل المنطقة المحيطة بنهر الأردن، ومنها الضفة الشرقية حتى عمان، بالإضافة إلى منطقة حوض نهر اليرموك وهضبة الجولان في سوريا. أما الجزء المتبقي من الأردن فكان يسمى مقاطعة فلسطين الثالثة، وكانت تضم مناطق الغساسنة وتمتد لتشمل معظم جنوب الأردن، وشبه جزيرة سيناء في مصر، وكانت مدينة البترا عاصمة لهذه المقاطعة. ولعل هذا الأمر جعل أصحاب السردية السوداء يتخذونها ذريعة لتبعية الأراضي الأردنية لدول حديثة بعد استقلال تلك الدول عن مستعمراتها.

بعد الفتح الإسلامي أخذت الأردن الحالية اسم جند الأردن. فقد قسم عمر بن الخطاب المنطقة التي كانت تحت حكم الروم إلى عدة أجناد، وكان جند الأردن أحد خمسة أجناد تابعة لولاية الشام. فأصبحت خمس كور إدارية كل كورة تسمى جند، وهي جند فلسطين وجند الأردن وجند دمشق وجند حمص وجند قنسرين. وقد ضم جند الأردن أجزاء من حوض النهر ومحيطه في شرق الأردن وشمال فلسطين وجنوب لبنان.

واشتملت الأردن على أربع كور كان يختلف توزيعها بين وقت وآخر حسب التقسيمات الإدارية، وكور الأردن هي:

١- كورة الجبال: وكان مركزها مدينة غرندل وكانت تضم اليوم منطقة الطفيلة.

٢- كورة الشراة: ومركزها أذرح، ومن مدنها الحميمة التي سكنها بنو العباس، ومدينة معان التي كانت محطة هامة جداً على طريق قوافل الحج والتجارة، كما تضم وادي موسى والبترا.

٣- كورة مآب: أي مؤاب وتضم الكرك وما حولها.

٤- كورة البلقاء: ومركزها عمان، وتمتد شرقاً حتى زيزياء والقسطل والأزرق والموقر والفدين وعلعال وشمالاً حتى عجلون وجرش.

أما لقب بادية الشام فأعتقد -وهذا رأي شخصي- أن كلمة «شام» والتي يُقصد بها دمشق وما حولها قد ظهر في فترة الجضاعمة - الغساسنة (أي في العصر الهلنستي)، وإلى أن يثبت هذا القول أو يثبت عكسه فإن معظم الصحراء الأردنية أُطلق عليها أيضاً بادية الشام، واستخدم هذا الاسم من قبل المؤرخين المسلمين لاحقاً حتى غدا اسماً رسمياً. ولعل اسم سورية الذي أُطلق على كامل المنطقة من جبال طوروس حتى أيلة جنوباً كان يعني الشام كلها، لكن بعد سايكس بيكو أخذت كل قطعة من تلك البلدان اسماً خاصاً بها، فسمى أهل الشام وحمص وحلب ووطنهم سورية^(١)، فظنوا لاحقاً أنهم السوريون فقط وأن كل تلك الأراضي التي سلبت منهم وأصبحت دولا بعد استقلالها هي أراضٍ تخصهم ولا بد أن تتبع لهم، وحمل هذه الفكرة القوميين العرب بكافة أشكالهم ليس حباً بالقومية بل أقرب ما يكون بفوقية متعالية، والدليل أن كل مشاريع القومية العربية فشلت لأسباب ليست صُلب هذا الكتاب وموضوعه، لكن بالمختصر لأنها كانت قائمة على الفكرة القبلية العشائرية من جهة والتجارة والامتداد الجغرافي من جهة أخرى، إلا أنها حملت طابعاً قومياً شكلياً، وخلقت عداوات بين الدول العربية وبين شعوبها. ورافق هذا الإدعاء التوجه الذي تبنته حركة الإخوان المسلمين فرفضت الحدود بين الدول العربية واعتبرتها صنعة الاستعمار والغرب الكافر وبدأت تنادي بالدولة الإسلامية وإحياء الخلافة.

وعودة للأردن، ففي فترة الدولة الأموية (٦٦١-٧٥٠م) أخذت سورية الحالية أهمية كبرى وكان الأردن جزء مهم من الدولة الأموية، حيث شهدت الأردن ازدهاراً في البناء، وإن لم يكن بمستوى الفترة البيزنطية. فقد أسس الأمويون القصور الصحراوية

(١) سورية أو سوريا اسم يعود لفرضيتين: الأولى تقول أنها أرض السريان أو آشور فأصبح بعد تحريفها سوريان أو أسور ثم أسوريا، والثانية تقول أنها نسبة لمدينة صور في لبنان اليوم والتي حُرِفَت إلى سور.

في مناطق مختلفة من الأردن، مثل قصر عمرة وقصر المشتى، لتعزيز نفوذهم ولتكون بمثابة مراكز للاستجمام والحكم. كما ازدهرت طرق التجارة والحج التي تمر عبر الأردن، مما أسهم في تعزيز مكانة الأردن كحلقة وصل مهمة في الدولة الأموية، وكانت عمان مركزاً مهماً للأمراء الأمويين الذين كانوا يقيمون في قصر القلعة. ثم حدثت الكارثة، وهذه الكارثة تمثلت في ما يسمى بزلزال الجليل سنة ٧٤٩ ميلادية، وهذا الزلزال كان مدمراً فقد ضرب مناطق بلاد الشام التابعة للدولة الأموية، ودمر معظم المدن الأردنية والفلسطينية مثل القدس وطبريا وبيسان وطبقة فحل وجرش وعمان ومادبا والكثير من المدن الأخرى التي تضررت بشدة، وبلغ عدد الضحايا عشرات الآلاف أو أكثر، كما شرد الكثير من سكان الأردن الذين يعتقد أنهم هجروا الأردن نحو سورية شمالاً.

ثم كانت الأردن محطة مهمة لانطلاق الدعوة العباسية، فقد اتخذ بنو العباس من الحميمة جنوب الأردن قاعدة سرية بعيدة عن أنظار السلطة الأموية في دمشق، للتحضير لثورتهم ضد الحكم الأموي. والحميمة قرية تقع في منطقة الشراة، وعلى درب الحج والتجارة جنوب الأردن، مما سمح لسكانها بالتواصل مع أهل الحجاز والحجيج من أهل الشام. كما أن الموقع الاستراتيجي لهذه القرية جعل العباسيين قريبين بما يكفي من مصادر المعلومات ليقفوا على اطلاع بما يجري في الدولة الأموية من أحداث، وبعيداً بما يكفي لعدم إثارة الشك وإخفاء التحركات عن أعين الأمويين، واستمر العباسيون هكذا حتى استطاعوا الإطاحة بالدولة الأموية وتأسيس دولتهم. وبالرغم من دور الأردن المحوري في تأسيس الدولة العباسية، إلا أن الأراضي الأردنية تقلصت أهميتها بعد انتقال العباسيين إلى الكوفة ثم إلى بغداد، حيث يظهر مع مرور الزمن تراجع أهمية قرية الحميمة ومعظم المدن الأردنية تدريجياً حتى تحولت بعضها إلى أطلال، وبعضها إلى قرى هامشية تسكنها بعض العشائر الأردنية.

لم تكن الأردن وحدها من عانت من التهميش العباسي، فدمشق عاصمة الأمويين تغيرت

معالمها وهدم سورها وصارت أسواقها خراباً. لقد فرض العباسيون ضرائب عالية على بلاد الشام مما حرض سكان بلاد الشام على القيام بعدة ثورات لم تستمر، منها ثورة قادها سعيد بن خالد الأموي المعروف بالفديني في حوران والبقاء سنة ٨١٣ م. أيام حكم المأمون في محاولة منه لاستعادة الحكم الأموي، فواجهه جيشاً عباسياً بقيادة يحيى بن صالح، فلما صار بالقرب من حصنه المعروف بالفدين، هرب منه، فوقف يحيى بن صالح على الحصن حتى هدمه وخرب زيزاء ونهبها، فتحصن الفديني في حسان ثم أن أصحابه تفرقوا عنه بعد ذلك، ومات ودفن هناك، وبعد هذه الثورة هرب من بقي داعماً للأمويين في الأردن نحو معان ثم نحو الشوبك.

ونتيجة لذلك عانت الأردن تهميشاً قاسياً بسبب موقفها المؤيد لبني أمية، فتم تدمير الزراعة والكثير من العمران، وملاحقة الناس وتهجير السكان، بالأخص قبيلتي كلب وجذام، بينما نُقلت الكثير من القبائل المؤيدة لهم للعراق أمثال بني كعب وبني عباد وسكان البترا والذين استقروا في عربستان وجنوب العراق، كما شملت اجراءاتهم قطع الأشجار وتدمير الغابات، مما تسبب في زيادة المساحات القاحلة وتدهور الغطاء النباتي وتوسيع رقعة التصحر، كما تراجع منسوب المياه السطحية وقلت المياه في الأنهار الجارية التي تحولت إلى سيول، وأصبح الحصول على الماء أمراً صعباً للغاية، كما فعل العباسيون ما يؤذي الأردنيين حيث قاموا بتغيير مسار طريق الحج التقليدي الذي كان يمر عبر الأردن ويحقق للمدن الأردنية الرخاء المالي، فعمل العباسيون على إنشاء طريق جديد يمتد من بغداد إلى مكة عبر بادية العراق (درب زبيدة) دون المرور بالأردن، كما رافق هذا الأمر أن تتخذ قوافل الحجيج المصري والإفريقي طريقاً بحرياً حيث بدأت السفن تبحر من الموانئ المصرية مباشرة إلى ميناء جدة، أما القوافل البرية من الشام وفلسطين فقد قلت ثم أصبحت تمر مرور الكرام بمدينة أيلة (العقبة). كل هذه الظروف جعل الحياة في الأردن شبه مستحيلة مما دفع الكثير من سكان المدن لمغادرتها بحثاً عن حياة أفضل وذلك نحو العراق وسورية وفلسطين ومصر والحجاز.

ثم ظهرت في المراحل الأخيرة من حكم العباسيين دويلات تتبع لهم اسمياً، حكمت أرض الشام بما فيها الأردن، ومن هذه الدول الدولة الطولونية (٢٦٦-٣٥٩هـ)، والدولة الإخشيدية (٣٢٣-٣٣٤هـ)، ثم الدولة الفاطمية (٣٥٨-٥٦٧هـ)، كما أن دخول السلاجقة في اللعبة السياسية أسهم بتهميش الأردن، وهذه الدول كانت تنظر للأردن نظرةً دونية وتعاملها كمجرد جزء من جنوب بلاد الشام، ثم وقعت الأردن تحت الاحتلال الفرنسي أو الصليبي، فأصبحت الأردن حينها ساحةً لمعارك ميدانية، خصوصاً أن الصليبيين بنوا عددًا من القلاع والحصون في الأردن كقلعة الكرك وقلعة مونتريال (الشوبك) وقلعة وادي موسى لتأمين مملكتهم في فلسطين، فأصبحت هذه الأرض مكان صراع لا مكان أمان، مما أسهم في عدم الاستقرار وتدمير المنطقة ونزوح العديد من السكان وتهميش الأراضي الزراعية، وطرق النقل، والتجارة.

بعد انتهى الوجود الصليبي في الأردن بعد معركة حطين ١١٨٧م. جاء الحكم الأيوبي الذي لم يكن يهتم أيضاً بالأراضي الأردنية حتى بدء عهد الدولة المملوكية عام ١٢٥٠م، وكانت الأردن حينها بعيدة كل البعد عن مسرح الأحداث السياسية أو الثقافية. أعقبها قيام الدولة العثمانية التي انتصرت على المماليك في معركة مرج دابق عام ١٥١٦م، فأصبحت منطقة بلاد الشام بما فيها الأردن تحت النفوذ العثماني حتى نهاية عام ١٩١٨، وخلال فترة الاحتلال العثماني للأردن عانت البلدات الأردنية من الإهمال وتراجع البنية التحتية. واقتصر دور الخلافة العثمانية على بعض الأعمال الإنشائية ذات المدلول الديني، فأعادت بناء قلعة الفدين وبنّت القطرانة وقلعة الحسا وقلعة معان، وعددًا من السرايا في أربد والسلط ومادبا بهدف حماية قوافل الحجاج (درب الحج الشامي) التي عادت للأردن بعد فقدان السيطرة على درب زبيدة وإهماله وزيادة عدد الحجيج من آسيا الصغرى وأذربيجان والقوقاز والقرم والأناضول والبلقان.

ثم وقعت الأردن وكان وقتها اسمها «شرقي الأردن» تحت الانتداب البريطاني

الذي ركز جل اهتمامه على فلسطين المحتلة بينما كان الاحتلال البريطاني ينظر للأردن كساحة بعيدة، معظم سكانها من البدو، فكان الأردن بمثابة رابط بين مناطق نفوذ إنجلترا في فلسطين والعراق. وفي ٢٥ أيار ١٩٤٦م وافقت الأمم المتحدة على نهاية الانتداب البريطاني على شرقي الأردن والاعتراف بالأردن مملكةً مستقلة ذات سيادة، وأعلن الملك عبد الله الأول ملكاً عليها.

نعم لقد تعرضت الأردن ومنذ الفترة العباسية وما بعدها لتهميش مستمر وتوسع في الإهمال حتى غدت الأردن منطقة يسكنها أقلية من أهل المدن والكثير من القبائل المتنقلة. لكن كانت الأردن ومنذ القدم مأهولة بالسكان وبشكل متواصل، وتعاقت عليها حضارات متعددة، وقد استقرت فيها الهجرات السامية التي أسست تجمعات حضارية مزدهرة في شماله وجنوبه وشرقه وغربه، ولعل أقدم الحضارات المعروفة التي سكنتها «الأموريون» الذين وصفوا في التوراة بأنهم أقوى وأعظماء القامة، «إِنَّ عُوَجَ مَلِكِ بَاشَانَ وَحَدَهُ بَقِيَ مِنْ بَقِيَّةِ الرَّفَائِينِ»^(١). هُوَذَا سَرِيرُهُ سَرِيرٌ مِنْ حَدِيدٍ. أَلَيْسَ هُوَ فِي رَبَّةِ بَنِي عَمُّونَ؟ طُولُهُ تِسْعُ أَذْرُعَ، وَعَرْضُهُ أَرْبَعُ أَذْرُعَ بِذِرَاعِ رَجُلٍ. (تث ٣: ١١)، لكن أيضاً سكنها قبل ذلك شعوب وقبائل قد يكون تاريخهم مجهول ومعلوماتنا عنهم قليلة جداً لكن مر على هذه البلاد الكثير من الشعوب والقبائل والملل والنحل.

عوامل النجاح في السرد^(٢)

هناك بعض العوامل حينما تجتمع تهَيِّئ السبيل والطريق للسارد وبالأخص للدليل السياحي كي يحقق أعلى مستويات النجاح والإنجاز في عمله، وبما يفوق القدرات العادية، ولعل من أهم هذه العوامل هو امتلاك الدليل القدرة على «إدارة المهارات والمواهب»، وإدارة المهارات والمواهب تعني امتلاك السارد (الدليل السياحي

(١) اسم عبري معناه «ظلال الموتى»، «أرواح الراحلين»، «جبابرة» وهم عشيرة من الجبابرة سكنوا قديماً في شرقي الأردن وغربه حتى قبل وصول إبراهيم (تك ١٤: ٥؛ ٢٠: ٢؛ تث ١١: ٢٠؛ ٣: ١١؛ يش ١٧: ١٥).

(٢) مقال للمؤلف نشر في مجلة آثارنا العدد (٢٧) وفي موقع الحوار المتمدن.

على سبيل المثال لا الحصر) لقدرات هائلة وامكانيات كبيرة ومواهب نظرية متعددة ومهارات مهنية عالية وفرص لإدارة هذه كلها في المكان المناسب والوقت المناسب بما يعود عليه بالنفع والتميز. ويزيد على ذلك إن كان الدليل يعمل لدى شركة سياحية تُقدّر جهد الدليل مما يدفعه للمزيد من الانجاز، فحب العمل والبيئة المهنية الصالحة تمنح الدليل السياحي الثقة والفرص المتواصلة لاثبات الذات والمزيد من الطاقة والإنتاجية. ولا بد للإنجاز في العمل أو المهنة أي مهنة من عامل مهم ألا وهو التركيز، فالتركيز سر النجاح، والدليل السياحي يحتاج لتركيز شديد في العمل الذي يقوم به، والتركيز هو أن يعمل الدليل على وضع هدف أو أكثر ويعمل عليها، دون تشتيت أو إلهاء.

الأمر المهم الآخر للدليل السياحي هو الشغف بما يقوم به، فالشغف هو سر من أسرار النجاح في الحياة لأي شخص ولأي مهنة ولأي عمل ولأي هدف. والشغف هو أن يسيطر عليك العشق والهيام والرغبة والحب للعمل والتفكير في تحسين الذات وتطويرها. فإن أراد الدليل السياحي أن ينجح في عمله ومهنته فلا بد أن يكون شغوفاً بها عاشقاً لها مُحباً ومُركزاً فيها، وأن يضع طاقته في هذا العمل حتى يجد المردود الاسمي وهو تقديم بلاده ووطنه في أفضل صورة، وأن يحقق عائداً مالياً مجزياً، وعلى الدليل السياحي أن يستمر في هذا الشغف لأنه في كثير من الأحيان يصل الدليل السياحي للنجومية من خلال التميز والفرق الإيجابي الذي يحدثه في نطاق عمله.

وما يميز الدليل السياحي الناجح هو اعتماده على المصادر والمراجع في عمله، ولكي يكون مصدر ثقة فلا بد للدليل أن يستند ويرتكز على مصادر ومراجع قوية ومؤكدة، حتى تمدّه بالمعلومات التي يحتاجها في السرد، بموثوقية كبيرة، وبالتالي يتوفق الدليل في عرض قصة المكان بشكل سليم.

ومما يزيد نجاح الدليل السياحي تميزه في عرض المكان على شكل قصة، فالدلالة السياحية يتفوق فيها من يجيد فن رواية القصص، لأن الدليل لا بد أن يكون قصاصاً

وروائياً إن أراد أن يكون متميزاً، بحيث يقدم القصص التاريخية للسياح والزوار مع عناصر التشويق والسرد، لا أن يقوم بتقديم معلومات وكأنه يقوم بالقراءة من نص. أي أن يمنح المكان روحاً بكلامه لا جموداً يفوق جمود المكان ذاته. فالذين يتحدثون عن المكان كجماد هم أقرب لرجل آلي (ربوت)، وهذا عمل ممل، ويمكن الحصول عليه بسهولة من خلال اللوحات التفسيرية المتواجدة في المكان أو الكتيبات أو النشرات التي تتحدث عن المكان والتي قد تباع أو تمنح بالمجان، ولكن الذي يقدم القصص هو الإنسان، وبالتالي فالدلالة السياحية والسردية التاريخية تقوم على الأنسنة، أنسنة المكان والزمان والقصة والتاريخ. والأنسنة تعني أن تأخذ القصة وأن تنظر للمكان، فتفكر في القصة وتتأمل في المكان وسكانه ثم تخرج بالقصة أو رواية المكان أو السردية للسائح أو الزائر في رواية لا تلامس مسامعه فقط وإنما تنفذ إلى قلبه وعقله وأحاسيسه وخياله، وهنا الدور الذي يتميز فيه الدليل السياحي، ألا وهو أن يستخدم سحر المكان أو بساطته في إجراء تفاعل بصري وسمعي وروحي يؤثر في السائح أو الزائر؛ فيحب المكان والقصة والبلد ويقول في ذاته: هذه تجربة تأسر الأبواب. إن أجاد الدليل السياحي رواية قصة المكان للسائح فانه سيكون دليلاً سياحياً ناجحاً ومميزاً.

والمهم حين يروي الدليل قصة المكان للناس فانه من الضروري أن يعرف المواضيع ويقدم الأشياء بمسمياتها وأن يربطها بالمكان والزمان والأشخاص فيدرك الجميع من دليل سياحي وزائر ومواطن وجهة رسمية وقطاع سياحي... الخ خلفياتها وأبعادها، وكيف ولدت، وظهرت، وصُنعت، وكيف ماتت وذابت حضارات ودول وممالك وشعوب وقبائل وأمم، ووصلت إلينا آثارها وبقاياها.

معظم من يعمل بالدلالة السياحية هم من الشباب والتالي لا بد لهم من أن يعدّوا أنفسهم الإعداد العميق للمستقبل، فالدليل الذي يدخل لهذا العمل ضمن إطار ضيق أو فكر سطحي أو بسيط أو بهدف الحصول على بعض الدخل، أو من يدخل هذا المجال ببعض المعلومات البسيطة التي توجد عند كثير من الدخلاء على هذه المهنة

فلن يلتفت إليه أحد، ولن يحدث في نفس السائح إلا الملل.

على الدليل أيضًا أن يهتم بنفسه ولباسه ومظهره وأخلاقه وسمعته وأن يستند إلى معرفة جيدة بالمكان وتاريخه وحضاراته، وأن يعرف أساليب الحوار والمناقشة، وأن يلم بطرق التسويق السياحي، وتحسين نفسه وعمله وأن يسعى دوماً إلى تطوير الذات من خلال التعلم والتدريب المستمر والمتواصل.

الدليل السياحي واجهة مهمة من واجهات الوطن فإن أظهر قدراته وتميزه فإنه يكون قد قدم بلده بالطريقة الصحيحة. من هنا لا بد من قيام الدولة الأردنية بإعداد الدليل إعداداً سليماً وشاملاً وأن تنقله من مجرد شخص ناطق عن المكان إلى شخص ناطق بلسان السردية الوطنية.

المسألة اليهودية وأوروبا

إن اليهود^(١) شعب حقيقي وليس من الخيال، وهذا شيء لا يمكن نكرانه، وأي باحث يقول غير ذلك فهو إما مشكك بالتاريخ وإما يشك في دينه؛ فاليهودية دين سماوي وجد قبل المسيحية وقبل الإسلام، وكلا الديانتين أكدتا هذا الأمر في كتبهما المقدسة، أو في الكتب والسّير التي صدرت بعد ذلك. ولا يمكن أن ننزع اليهودية كدين عن قبيلة أو مجموعة قبائل هاجرت من مصر إلى فلسطين^(٢)، ونشأت فيها^(٣)، وقبلها كان أجدادهم قد رحلوا نحو مصر وعاشوا فيها، ثم هاجروا من مصر كما أسلفنا وتاهوا

(١) نسبة إلى يهوذا أحد أبناء يعقوب، وفي الحقيقة أنه لا يستطيع أحد أن يجزم بتحديد التاريخ الذي أطلقت فيه هذه التسمية على بني إسرائيل وسبب إطلاقها.

(٢) لم يؤكد علم الآثار هذا الشيء حتى تاريخه، لكن الكتاب المقدس والقرآن الكريم يذكران ذلك.

(٣) يشكك الكثير من المؤرخين الذين يسلمون بهذا الخروج بالأعداد التي خرجت من مصر من الشعب اليهودي، ومدى تطور وتقدم هذا الشعب مقارنة بالفراعنة المصريين، بل يصل التشكيك للوجود اليهودي في مصر. ولكن من المنطق القول أن الحضارات العظمى في هذه المنطقة كالحضارة المصرية وحضارات بلاد الرافدين والكنعانيين والفينيقيين والمؤابيين والعمونيين والأدوميين تركوا آثاراً كثيرة ومتعددة وبعضها ضخمة جداً، بينما لم نجد آثاراً لممالك شاول - داوود - سليمان بالرغم من أن الكتاب المقدس صور هذه الممالك بالعظيمة.

في الصحراء أربعين عامًا إلى أن وصل منهم من وصل لأراضي كنعان^(١)، فأخذوها بالقوة والاحتلال، وأسسوا فيها «مملكة»^(٢) موحدة لمدة قليلة من الزمن ثم انقسمت إلى مملكتين، ثم تم سبيهم، ثم عادوا بعد السبي، بعضهم مختلطًا بالأمم التي سببتهم، وبعضهم لم يختلط، وعاشوا وعمّروا جزءًا صغيرًا من أرض كنعان (فلسطين المحتلة)، ثم جاء الرومان واحتلوا منطقتنا كلها، ولأن اليهود شعب متمرّد وعنيد ويملك الكثير من الكبرياء الفارغ، فقد تمرّد هذا الشعب على الرومان، فما كان من تلك الإمبراطورية العظيمة إلا أن سحقّت تمرّدهم، وهدمت كل مبانيهم «على قتلها وبساطتها» حتى الأسوار التي وجدت، ولم يبق من أثرهم حجر على حجر، ومات منهم جمع كثير، ومن استطاع الفرار، هرب نحو الشمال، ونحو الشرق، ونحو الجنوب، ومنهم من هرب نحو البحر ثم نحو أوروبا، وهكذا تشتت جمعهم وتفرّق في القرنين الأول والثاني الميلاديين، وهؤلاء مع مرور الوقت انقسموا إلى فئتين أقلية حافظت على عقيدة موسوية تلمودية، منغلّقين على أنفسهم، وأكثرية اختلطت بالشعوب التي نزحوا إليها، فتزوجوا منهم، وزوجوهم، فأصبح هناك يهود ذو بشرة سوداء ويهود ذو بشرة بيضاء، مخالفين بذلك شريعة آبائهم، لكن رغم هذا الاختلاط والتزاوج فإن اليهودية بقيت منغلّقة على نفسها، وكان كافيًا أن تكون الأم يهودية ليكون الابن يهوديًا سواء كان الأب مسيحيًا أو مسلمًا أو حتى من دين آخر.

هذا التزاوج استمر لقرون حتى غدا يهود ما بعد الشتات يختلفون عن يهود ما قبل الشتات، وأن اليهود المنغلّقين انفتحوا بالتجارة والتزاوج بغير رضاهم أو برضاهم على الشعوب والأمم الأخرى، ناهيك عن خروج الكثير من أصحاب الديانات السماوية الأخرى أو الوثنيين من دياناتهم، وتدينوا بدين موسى، حتى ولو اعتبروا فئة أخرى أو جماعة ليست نقية عند اليهود المتشددين، ومع الوقت أصبح اليهود

(١) وصف فلسطين بأرض كنعان ورد عدة مرات في الكتاب المقدس، كما أوضح حدودها الشرقية عندما اختار لوط أراضي (دائرة الأردن) أو عبر الأردن بينما اختار أبرام أراضي كنعان "أبرام سكن في أرض كنعان" (تكوين ١٣: ١٢) فلسطين كنعانية بينما كانت الأردن في تلك الفترة ممالك ويقطنها عدة شعوب سامية من بينهم كنعانيين وأموريين وآراميين وعرب وغيرهم.
(٢) مع تحفظنا على كلمة مملكة، والأقرب للفهم هو أنها قبائل حكمها شيوخ وقضاة.

-المنغلقين على أنفسهم والذين يعتبروا أنفسهم فوق الجميع، والذين كانوا تجاراً أغنياء- مشكلة لدى الشعوب المحيطة بهم، فمثل اليهود في أوروبا مشكلة كبيرة وخصوصاً في القرون الوسطى، وأصبحت هذا المشكلة تكبر وتنمو وتزداد، بل أن كراهية المسيحيين لهم تفاقمت كونهم الجماعة التي صلبت المسيح، فالمسيحيون لم ينسوا منذ القرون الأولى أن «دمه عليهم وعلى أولادهم» أي دم المسيح^(١)، وبقيت هذه الجملة تلاحق اليهود في أوروبا، فما زادهم هذا الأمر إلا انغلاقاً على أنفسهم. وعندما لم تنجح عمليات الاضطهاد والملاحقة بحقهم أخذت محاكم التفتيش في أوروبا تحكم على العديد منهم بالقتل ومصادرة الاملاك وغيرها. ومن الأمثلة البارزة على الاضطهاد الذي تعرّض له اليهود مجازر راينلاند التي سبقت الحملة الصليبية الأولى عام ١٠٩٦، ومرسوم الطرد من إنجلترا عام ١٢٩٠، ومذابح اليهود الإسبان عام ١٣٩١، وطردهم من إسبانيا عام ١٤٩٢، ومجازر القوزاق في أوكرانيا من ١٦٤٨ إلى ١٦٥٧، ومذابح اليهود العديدة في الإمبراطورية الروسية بين عامي ١٨٢١ و ١٩٠٦، وقضية دريفوس ١٨٩٤-١٩٠٦ في فرنسا، والمحركة في أوروبا التي احتلتها ألمانيا النازية خلال الحرب العالمية الثانية، والسياسات السوفيتية المعادية لليهود، وبعد أن انتهت الحرب العالمية الثانية وحطت أوزارها بدأ قادة أوروبا بمحاولة حل المشكلة اليهودية بنفس فكرة هتلر لكن ليس بكتنونات مغلقة في أوروبا بل التخلص منهم عبر تشكيل وطن لهم بعيداً عن أوروبا المتخمة بالجراح والمنقسمة والمفلسة، فما كان من قادة الحلفاء إلا البحث عن مكان يحتويهم، فجاءت بريطانيا بفكرة إنشاء وطن قومي لليهود، وهو ما أراده اليهود أنفسهم المتعبين من أوروبا ومن الاضطهاد الديني والعرقي الذي جرى عليهم منذ قرون، فكانت فكرة إنشاء وطن قومي لهم في عدة مواقع أغلبها بعيداً عن فلسطين، إلا أن الحركة الصهيونية التقطت هذه الدعوات ووافقت على فكرة ترحيل اليهود من أوروبا لكن نحو فلسطين وليس أي مكان آخر،

(١) فلما رأى بيلاطس أنه لا ينفع شيئاً، بل بالحري يحدث شغب، أخذ ماء وغسل يديه قدام الجمع قائلاً: «إني بريء من دم هذا البار! أبصروا أنتم!». فأجاب جميع الشعب وقالوا: «دمه علينا وعلى أولادنا» (متى ٢٧: ٢٤-٢٥).

ونجح بلفور في أن يقنع بريطانيا بأن تكون فلسطين هي الموطن الذي سيتم تهجير اليهود إليه وأصدر وعده المشهور سنة ١٩١٧م. فخشوا وعدهم للشريف الحسين بن علي وسمحوا لليهود بالهجرة سرًا وعلانية لفلسطين التي كانت تحت الاستعمار البريطاني، ثم أن البريطانيين سمحوا لعصابات اليهود بالتسلح والتوسع وشن حملات عسكرية على الشعب العربي في فلسطين الذين منعت عنهم السلاح ورفعت عنهم الحماية، إلى أن تمكنت تلك العصابات بدعم بريطاني من تأسيس كيان صهيوني قوي تشكل على أثره دولة في جزء من فلسطين، ولم يرض العرب بقرار التقسيم الدولي فشنوا حربًا على هذا الكيان الغاصب سنة ١٩٤٨ لكن لقلة السلاح والعتاد عند العرب وانعدام التنظيم والإدارة المشتركة للحرب خسر العرب حربهم التي اسموها النكبة، وبقي جزء من فلسطين تحت السيطرة العربية في الضفة الغربية وقطاع غزة. لم يتوقف الدعم الغربي للكيان الصهيوني الجديد، فاستمروا بتسليح هذا الكيان ودعمه بينما كان الدعم الغربي للدول العربية هزيلًا لا ينفع، وبينما عملت إسرائيل على التنمية والتطوير والتسليح والعلم، كان العرب ينشغلون بالإنقلابات العسكرية والتآمر ضد بعضهم بعضًا والتخابر على شعوبهم وقمعهم بالحديد والنار، ناهيك عن تجهيل وإفقار الشعوب العربية، واضعاف جيوشهم خوفًا من تأمرها على قادتها. خلقت هذه العكسية في التعامل مع المواطنين على جانبي النقيض، جيوشًا عربية ضعيفة ذات إمكانيات هزيلة وشعوبًا جاهلة بعيدة عن الديمقراطية والعلم، شعوبًا عاطفية سهلة الانقياد، سريعة التأثر بأي فتنة يمكن دسها بينهم خصوصًا الفتن الطائفية والمذهبية، أما على الجانب الإسرائيلي فقد خلقت جيشًا عقائديًا مدربًا تدريبيًا مميزًا ويملك معدات وأجهزة وتسليح متطور وشعب يهتم بالعلوم والتكنولوجيا والتجارة والصناعة. ولم يتعلم العرب من دروس حرب ١٩٤٨ شيئًا، فشنت إسرائيل حربًا باغته لُقبَت بالنكسة سنة ١٩٦٧ أدت لخسارة الضفة الغربية وقطاع غزة وسيناء والجولان في ستة أيام فقط، وانتعش اليهود وآمنوا بمقولة الجيش الذي لا يقهر فحاول الكيان لاحقًا سنة ١٩٦٨ أن يحتل المرتفعات الأردنية شرقي نهر الأردن ليحمي مكتسباته التي حققها

سنة ١٩٦٧ و ليشل قدرات الجيش العربي الأردني والمقاومة الفلسطينية، لكن الجيش العربي الأردني الباسل والمقاومة الفلسطينية استطاعا دحر الجيش الصهيوني المحتل وطرده وتكبيده أول خسارة حقيقية له... والكلام يطول، ورغم ذلك ساءت الأمور مجددًا في حرب لبنان والانتفاضات وحروب غزة، ولم يتعلم العرب أي شيء جديد بل تسير أمورهم من سيء إلى أسوء. حتى معاهدات السلام والتطبيع مع إسرائيل لم تحقق فعليًا شيئًا عظيمًا للعرب إلا اذا تم استثناء سيناء والأراضي الأردنية في الباقورة والغمر والتي تم استعادتها بهذه المعاهدات.

وبالرغم من أن الصهاينة الذين يدعون أنهم يهود أوروبا ولاحقًا اليهود من كل العالم انتقل منهم عدد كبير نحو فلسطين المحتلة، لكن ما زالت الصهيونية تؤثر وتتحكم في صناعة القرار العالمي في أمريكا وأوروبا، فلا أوروبا استطاعت التخلص منهم بشكل فعلي ولا استطاع العرب التخلص من هذا الكيان الذي فرض عليهم من قبل الاستعمار الغربي.

السردية اليهودية المقابلة

يقول أمين محمود في مقال له نُشر في صحيفة الشرق القطرية: «إن المتتبع لمسار الحركة الصهيونية ومشروعها الاستيطاني في فلسطين لا بد وأن يتساءل عن السر في سهولة تقبل الدول الغربية لهذا المشروع، وإبداء استعدادها الكامل لتقديم كل ما يحتاج تنفيذه من مساندة... وفور البدء بهذا المشروع أعاد الصهاينة مراجعة التاريخ اليهودي فأدخلوا عليه تعديلات جوهرية بحيث جعلوا تاريخ العبرانيين القدماء وتاريخ الصهيونية تاريخًا واحدًا يكمل الواحد منهما الآخر، ثم أخذوا يروجون لإدعاءات ومزاعم تاريخية تدور حول الانتصارات الباهرة التي عازت للعبرانيين القدماء والتي قيل أنهم حققوها ضد أعدائهم من أبناء القبائل الكنعانية، وذلك كله من أجل شحذ الهمم وبعث الحافز والحماس لدى عامة اليهود كي يتقمصوا صفات أولئك الأجداد

التي كان الصهاينة يروجون لها كالشجاعة والقوة والثقة بالنفس، وذلك لتحفيز أكبر عددٍ من هؤلاء اليهود للهجرة إلى فلسطين والاستيطان فيها والبدء بتنفيذ مشروع الدولة اليهودية على أرضها... ولذا فلا عجب أن نرى الصهاينة يبادرون إلى الاحتفاء برموزهم التاريخية التي استرجعوها من الماضي العبري القديم وادعوا أنها صاحبة انجازات بطولية كبرى... وقد استرسل الصهاينة في نشر المزيد من ادعاءاتهم التاريخية ولا سيما تلك المتعلقة بالمشيولوجيا التي لا يقرها أي مفهوم علمي، كادعائهم على سبيل المثال بوجود أمة يهودية قائمة على مر العصور بسبب وحدة التكوين الروحي لليهود وماضيهم التاريخي الواحد مدعين أنهم أمة ثابتة عبر التاريخ... فإذا ألقينا نظرة سريعة على طبيعة الحياة التي كان يعيشها قدماء اليهود، يتبين لنا أن مجمل ما حصل في تلك الفترة لا يعدو أن يكون قيام كيان يماثل في معالمه الأساسية تلك الدويلات التي كانت تقوم وتنشأ في عهد العبودية. فقد كان ذلك العهد هو عهد الحروب القبلية المتواصلة التي كانت تنشب من أجل النهب وامتلاك العبيد والاستيلاء على أفضل الأراضي. ومما ساعد الصهيونية في سهولة تقبل الدول الغربية لمساعيها ومراميها الهادفة إلى انشاء الدولة اليهودية هو تلك الأجواء الدينية التي كانت سائدة في أوروبا في أعقاب ظهور حركة الإصلاح الديني، وتزايد الأنشطة والأفكار المتهودة التي أصبحت تشكل جزءاً أساسياً من النسيج الثقافي الغربي، بحيث تحولت فلسطين فجأة في نظر العديد من المذاهب البروتستانتية والكلفينية منها بشكل خاص الى أرض وصفها المبشر البريطاني، اللورد شافتسبري، بأنها «أرض بلا شعب لشعب بلا أرض»^(١) وادعى بأن اليهود هم الشعب الذي وهبه الرب حق، استيطان تلك الأرض، حيث أنهم يشكلون حجر الزاوية في الخطة الإلهية لتحقيق الحلم المسيحي في الخلاص الابدي. وقد بنى هذا المعتقد الديني الإنجيليون البيوريتانيون^(٢) الذين عرفوا باسم المسيحيين

(١) للأسف استخدم بعض العرب هذه الجملة على الأردن لاحقاً، مما لا يدع شك بأن بعض العرب ما زال ينظر للأردن كساحة لتحقيق حرب بالوكالة.

(٢) تطهيرية أو البيوريتانية (بالإنجليزية: Puritanism أو Puritan)، هي مذهب مسيحي بروتستانتي يجمع خليطاً من الأفكار الاجتماعية، السياسية، اللاهوتية، والأخلاقية. ظهورها في البداية في إنجلترا ثم هاجروا نحو العالم الجديد، وحمل المهاجرون أموالهم إلى أمريكا، وهناك عملوا على نشر مذهبهم

المتهودين أو الصهاينة المسيحيين، وهم سبقوا بظهورهم ظهور الصهيونية اليهودية التي يعود تاريخها فقط الى مؤتمر بال عام ١٨٩٧ م. وهكذا فاننا نجد أن انحياز الدول الغربية بريطانيا وأمريكا للصهيونية وإسرائيل فيما بعد انحيازاً أساسه لاهوتي وثقافي وليس مجرد انحياز استراتيجي «قائم على مصالح آنية»، أو مجرد انحياز بتأثير اللوبي اليهودي (رضا هلال، المسيح ونهاية العالم)، ويعتبر اليهود - في نظر هذه المجموعات المتهودة - هم الفلسطينيين الحقيقيون الذين ينتشرون في العالم غرباء عن وطنهم بانتظار عودتهم أجلاً أو عاجلاً».

في المقابل وفي ظل غياب السردية الأردنية المقابلة - حتى هذه اللحظة - كان لا بد من إيجاد سردية أردنية تقوم على أن ممالك أمورية ومؤابية وعمونية وأدومية وغيرها من الممالك كانت ممالك ثابتة، موجودة، نشأت على هذه الأرض، ونمت وتطورت، وأنها حينما ضعفت وجد بعدها ممالك أخرى كالضجاعة والغساسنة والأنباط وغيرها، وأن تلك الممالك الأردنية كانت تدافع عن أراضيها ووجودها ضد المعتدين، وأن القبائل الهمجية التي حاولت أن تسيطر أو تسيطر على أراضيها وحقوقها لم تكن صاحبة الأرض بل جحافل من الهمج جاؤوا من مصر أو من السبي، وعاثوا فساداً في الأرض، وأن تلك الممالك كانت في فترات متعددة ممالك قوية أحياناً، وممالك ضعيفة أحياناً أخرى، وفي المقابل كانت فلسطين كنعانية، ثابتة، مستقرة، وأنها تعرضت كما ممالك شرقي الأردن لصراع مع محتل قبلي جاء من مصر أو من السبي، فانتصرت عليه حيناً وخسرت حيناً أخرى... إلى أن سيطر الرومان على كل تلك الممالك وضموها إلى امبراطوريتهم الواسعة.

هذه هذه السردية التي نحن بحاجة لها. لكن كتابتها تحتاج لمزيد من البحث والتنقيب الأثري، والجدية في التعاطي، وقوة وصراحة في الطرح في مقابل سردية تتعاطى مع الموضوع بكل قوة.

القائل بأورشليم الجديدة، حيث تحول بعضهم إلى توراتيين إذ أحلوا العهد القديم بتشريعاته وأخلاقه محل العهد الجديد، وعدوا أنفسهم شعب الله المختار، وأن عليهم أن يتمموا رسالة العبرانيين القدماء، ونظروا إلى دولتهم في نيونغلند على أنها إسرائيل الجديدة، وفيها تقوم أورشليم الجديدة (المؤلف).

الحاجة إلى السردية التاريخية

إن الرواية بشكلها العام تحتمل فكر الراوي. لكن الرواية التاريخية سردية مختلفة، فهي تعتمد على تاريخ مكتوب أو شفهي منقول.

يفترض بالسردية التاريخية أن تحمل «ما حدث» من الأحداث، مجردة من الإسفاف والتهويل والمد والتضخيم والتسفيه والتعظيم، لكن ما حدث ويحدث في الرواية التاريخية أنها كانت ولا زالت كتابة المنتصر، وسيرة لفرد أو جماعة تصورهم كالأبطال، وتصور غيرهم كأبالسة أو كفار.. إلخ، فيعشون فيها كيفما شاء، حتى باتت المروية التاريخية مع مرور الزمن نصًا مشكوك فيه، ومصدرًا يهاب الكاتب أو الباحث من الرجوع إليه مع اختلاف نظرهم لهذا النص.

ولعل اختلاف الناس في الأديان والأعراق والأنساب جعل أمر التشكيك في الرواية الدينية أمرًا غالبًا، بل في الكثير من الأحيان أُعتبر هذا التشكيك أمرًا محببًا ومن أصول الدين. فالتشكيك برواية الآخر هو تأكيد على صحة رواية المُشكك بالرواية... ويطول الحديث في هذا الموضوع بالتحديد، لكنه أحد الجوانب الجدلية التي تثير غبار وعواصف الناس بعضها ضد بعض وصولاً للذبح والقتل.

إن الرواية التاريخية للتراث الملموس بشقيه المنقول وغير المنقول، لا يقدم فقط قصصًا مشوقة للسائح أو للزائر أو للمهتم، بل يسلط الضوء على ماضٍ قريب أو بعيد، فيعمل على تواصلنا معه، تواصل يتخطى البعد الذي نعيش فيه إلى بُعد معرفي ذي أبعادٍ أوسع وأعمق، فتخرج من ذاتك لتعانق ذلك المجهول الذي ما عاد موجودًا بكل ما فيه من جوارح وعناصر.

إن الحاجة إلى السردية التاريخية ليست أساسية لكنها ضرورية لاكتشاف تلك الأحداث والعادات والقيم والتقاليد التي ولدت في يوم ما كحدث أو كلمة أو عمل أو فكرة ثم تطورت لتصبح «تلك الأشياء التي يحملها الناس، بعضها يحمل قدسية ما،

وهي تلك العادات والتقاليد والأعمال والطروحات والكتابات والحقوق التي تمثل أصول شعب ما، وحقوقه في أرضه، وهي القاعدة التي لا يمكن التسامح عند كسرها، أو التفريط بها، أو التنازل عنها، حتى وإن كانت تمثل جدلاً وجدالاً مع الآخر». وترتبط السردية التاريخية بما يسمى بحقوق الإنسان، فهي ترتبط بالأراضي التي كان يعيش عليها السكان الأصليون ارتباطاً وثيقاً وبالتالي فالسردية التاريخية ترتبط بهويات الشعوب، وبالحقوق الاجتماعية والثقافية والسياسية وأهمها حق تكوين الهوية السياسية والاستقلال وحق تقرير المصير والتنمية.

إن «اكتشاف السردية» أو بالأحرى الكشف عنها تحقيق لغاية إنسانية التي من أجلها وجدنا، ولها نحياء، ومعها نفهم الكون ونفهم الإنسان، بل معها نستفيق من غيوبة العقل، ونتذكر كينونتنا وتشكيلنا في صيرورة الزمن.

إن كشف تلك الحقائق - إن استطاع الإنسان كشفها - يمكنه من أن يخرج من بوتقته أو القالب المصبوب فيه سواء كان بإرادته أو عبر عبث الآخرين برأسه، نحو عالم يرى فيه ولا يكتفي بالنظر، يصغي فيه ولا يكتفي بالسمع، يفهم فيه ولا يكتفي بالقراءة، يتفاعل فيه بإنسانيته ويتأمل ويشكر الله على أن الحقيقة أمامه وإن طمسها الآخر أو الزمن، مهما طال الأخير أو اندثر الأول، وهذا لا يعني أنها اختفت أو تختفي للأبد، فنحن كل يوم أمام كشفٍ جديد؛ ولذا فإننا نعتبر علم الآثار شديد الأهمية في كتابة السردية التاريخية، لكن للأسف فإن هذا العلم الاجتماعي قابل للتفسير حسب أهواء الآثاريين حيناً أو فهمه أو معتقده الفكري والسياسي والعنصري والعقائدي، فالقطعة الأثرية لوحدها قد لا تعطي التفسير الكامل، ولكنها قد تعطي تفسيراً ما يساعد على وضع تصورٍ ما أو «يُقرّب الفهم»، ولنعطي مثالاً: قارورة تل سيران والتي عُثِرَ عليها في تل سيران داخل حرم الجامعة الأردنية في مطلع عقد السبعينيات من القرن العشرين، وجد عليها نقش يحمل النص التالي: ١ عمل عمي ناداب، ملك العمونيين. ٢ بن هصيل إيل، ملك العمونيين. ٣ بن عمي ناداب، ملك العمونيين ٤ الحديقة والجنان

٥ والقناة والخزان ٦ يفرح ويتهج ٧ لأيام عديدة ٨ وسنين عديدة. فهذا النقش على القارورة أكد حقائق، أهمها أن هذه الأرض نشأت فيها مملكة عمون، ورغم أهمية الاكتشاف وتأكيد على أردنية هذه الأرض وتثبيت ما ورد بالكتاب المقدس أنها عمونية، ولكن الاكتشاف لا يكشف كامل الحقيقة، بمعنى آخر هو دليل أثري ملموس عن أحداث تاريخية ذكرت في وثائق أهمها الكتاب المقدس، والتي -أي الحقائق- كانت قبلها محل تشكيك وشك، أما الحقيقة فهي كتابة السردية بهذا الدليل القاطع والأدلة الأخرى التي كُشِفَ عنها سابقاً ولاحقاً، مع ضرورة الانتباه بأن ليس دور الكتاب المقدس تأكيد حدث تاريخي، وليس دور الآثار تأكيد حدث ورد في الكتاب المقدس.

لا يمكن بلوغ الثقافة والفهم دون أن يعود الإنسان لجوهره، ولا يمكن للإنسان أن يعرف جوهره دون أن يفكك تلك الخيوط التي تشكل ذاته ليستطيع العودة لتلك الجذور التي يفهم فيها نفسه ومحيطه، ولا يمكن للإنسان أن يفكك تلك الخيوط دون أن يفهم ماضيه. ولا يعني التفكيك بأي حال من الأحوال تفكك وهدم وسحق بل يعني أن تعرف مصدر الخيط وما يربطه من خيوط أخرى وما يتصل به من عقد وغيرها.

بهذا الصدد يقول الآثاري الأردني جهاد هارون في مقالة منشورة له في صحيفة أردنية: «إن أردنا بناء سردية تاريخية للأردن على سبيل المثال؛ فلا بد من الاتفاق على مجموعة من المبادئ تحمي الهوية الوطنية ولا تفصلها عن محيطها العربي المسيحي والإسلامي على حد سواء، ومن أولها الحيادية في الطرح، إضافة إلى الربط التاريخي مع المحيط، واتباع المنهجية العلمية في كتابة الإطار التاريخي للهوية الوطنية. الناظر في تاريخ الأردن القديم يستطيع التعرف على مفاصل وأحداث تاريخية يمكن البناء عليها لإنتاج السردية التاريخية الحقيقية والتي تحكي قصة الأردن.... وما بين هذه وتلك.... قصص وروايات محكية منها ما هو موثق والآخر ما زال في الذاكرة..... ولكن البعض يضيف أبعاداً أخرى لهذه السردية تتعلق بالدين والهوية العرقية، مثل

الروايات التوراتية على سبيل المثال والمتعلقة بخروج بني اسرائيل من مصر عبر الأردن أو ذكر المعارك التي قامت ما بين الإسرائيليين والمؤابيين كما ذكر الملك ميشع المؤابي في نقشه الشهير (مسلة ميشع)، وهنا تبدأ الخلافات لانعدام الضوابط والأطر الناظمة لكتابة السردية، والأمر ضاع ما بين أخذ للرواية بشدة والآخر يرفضها تماماً، والمهم هو مصداقية الإطار التاريخي للسردية. إن فصل السردية التاريخية الأردنية عن محيطها التاريخي يفقدها الغنى والتفوق الحضاري، لذا كان لا بد من الاتفاق على الخطوط العريضة لهذه السردية خاصة مع ضرورة ربطها مع القرنين التاسع عشر والعشرين حتى لا يكون هناك فجوات في القصة. اضيف إلى ذلك أن لكل موقع قصة خرافية كانت أم حقيقية ولكن لا نستطيع تجاهلها، ربما نختلف مع الرواية ولكن من المفيد دائماً سردها».

إن الحاجة للسردية التاريخية الأردنية بات ضرورة ومشروع قومي يعزز من الهوية الوطنية ويكافح التطرف والغلو، أنه مشروع صد لأي سردية مغلوطة ومنقوصة من جهة، والدعاية الصهيونية التي تروج لسردية خطيرة من جهة أخرى. السؤال المطروح: هل ستبنى الجهات الرسمية الأردنية السردية المقترحة بكامل أبعادها أم ستبقى بعضها طي الكتمان أو القطع أو البتر حتى لا يفهم أي تلميح أو إشارة بغير ما «يبتغى منه»؟

الحساسيات التي قد تثيرها كتابة سردية تاريخية أردنية ذات قبول رسمي وشعبي ولا تنفي الحقيقي منه، كبيرة جداً، وقائمة على عدة عوامل، ورغم ذلك فإن كتابة سردية رسمية سيحقق الكثير من الإيجابيات ويخدم مصلحة وطنية، أهمها الوقوف ضد السردية الصهيونية من جهة والوقوف ضد السردية السوداء من جهة أخرى. ومختصر القول: إن السردية التي تمتلك ثلاثية المال والسلطة والمرجعية هي التي تنتصر وتسود وتقضي على كل السرديات الأخرى. وإذا كان المال معروفاً سواء ما تصرفه جهات معلنة أو جهات سرية، وسواء كان تبرعاً أو على شكل مخصصات

مرصودة مسبقاً، إلا أن السلطة تعني القوة والإدارة والإعلام والجهة المشرفة، وكل من هذه الجهات لها دورها ونفوذها وطرقها وأسلوبها في فرض السردية المطلوبة في المكان المناسب والوقت المناسب والتوقيت المناسب. إنها حرب أشبه بلعبة، حرب يُستخدم فيها العلم والثقافة والأدب والتاريخ والجغرافيا والجامعات والمدارس والأدباء والمؤثرون والإعلام ومواقع التواصل الاجتماعي والحلقات المجتمعية والمنظمات المشبوهة الموجهة لحقوق الإنسان وحقوق المرأة وحقوق الأقليات والشعوب الأصلية والشباب واليافعين، كذلك تستخدم الكتب والكُتبيات والأدلة والمؤسسات العامة والخاصة في نشر السردية سواء بطرق قانونية أو ملتوية أو حتى بوسائل غير مشروعة. لذلك نشدد على إيجاد سردية وطنية مدروسة جيداً لتكون حائط سد في وجه أي سرديات دخيلة لا نريدها.

وإذ كان لا يمكن فصل جزء من السردية الأردنية من الكتاب المقدس - ولا يعني الاقتباس من هذا الكتاب العظيم أننا نؤيد السردية الصهيونية - بل إن الكتاب المقدس يؤيد وبلا أدنى شك خصوصية الأردن وتاريخه الذي تؤكد أحداث الكتاب المقدس والآثار وكتابات الأقدمين والتاريخ والتراث. ورغم الجدل الديني والعلمي حول الكتاب المقدس، لكنه - أي الكتاب المقدس - يؤيد وبلا أدنى شك أن هذه البلاد عُمّرت منذ بدأ التاريخ كما ذكرنا سابقاً، وهو ما يركز عليه هذا الكتاب، بحيث ينفي أي سردية لا تدعم الهوية الوطنية لهذه الأرض عبر التاريخ. وبهذا الصدد يقول د. خير ياسين: «وليس هناك من ضير في أن يستعمل الكتاب المقدس مصدراً من مصادر التاريخ يرجع إليه المؤرخون ورجال الآثار، غير أن واقع الأمر أنه وفي معظم الحالات تُقحم المعلومات التي ابانتها نتائج التنقيبات الأثرية اقحاماً من أجل أن تتماشى مع نص أو آخر من نصوص التوراة من غير أن تتوفر البيانات والدلائل، كما تأتي الدراسات متناقضة مع ما ابانته المصادر المادية الأثرية. والمفترض أن يفصل من وجهة تحليلية ما بين المعلومات الأثرية والمصادر الأدبية التوراتية من أجل أن تتكلم كل واحدة منها

على حده. إن من عادة المؤرخون التوراتيون الربط ما بين التوراتية والأثرية مما يحرم كلا الطرفين أي المصدرين من عرض نتائج تحليلاته على حده قبل تشويشهما وذلك بتسخير الأول لخدمة الآخر».

علم السرد

السرد في اللغة أي قرأه بالتتابع، وسرد وقائع الحادثة أي ذكرها كما حدثت حسب تسلسلها، والسردية مصدر صناعي من سرد، أي المباشرة في الكتابة والتتابع في الحكاية أو الرواية.

والسرد (Narratology) علم يهتم بدراسة الأجناس، ويتفرع منه القصة والرواية والمقامة وغيرها. والسرد إما حقيقي قائم على وقائع ملموسة، أو أسطورة وخرافة، وقد يتداخل كلاهما معاً.

قصة المكان أو السردية الأثرية (Archaeological Narrative) أو السردية التاريخية (Historical Narrative): هي كتابة الحدث المرتبط بالمكان، أي أن المكان هو العنصر الرئيس في كتابة الحدث. ولعل مفهوم قصة المكان محدود في نظره، تماماً كمفهوم تفسير الموقع، مقابل مفهوم السردية الأثرية للموقع والتي يطلق عليها البعض السردية التاريخية أو الرواية التاريخية؛ فالسردية التاريخية مفهوم يعتمد السرد القائم على ما روي عن الكل عبر التاريخ دون إهمال المكان ذاته، بينما التفسير قد يدل فقط على استخدامات الموقع لذا فهو مفهوم ضيق ومحدود أيضاً، بينما السردية الأثرية تعتمد على العناصر الملموسة المنقولة وغير المنقولة في الموقع أو المكان المنقب فيه لعدد من المواسم.

بمعنى آخر فالفرق بين وصف المكان وقصة المكان تقوم كالتالي: وصف المكان هو شرح موجودات المكان المحدود بناءً على اللقى الأثرية أو الآثار غير المنقولة، بينما قصة المكان هو ذكر الأحداث التي جرت في المكان وربطها مع المكونات الأثرية، والشخصيات، والتاريخ ثم الخروج بالقصة.

إنَّ الهدفَ من كتابة أيّ من المفاهيم المذكورة آنفاً هو تقديم المكان المحدود أو الواسع في صورة طبق الأصل قدر المستطاع عن الحدث في زمانه، حتى يتمكن الزائر أو السائح من الفهم أو الاستمتاع أو كليهما معاً، فتجربة السائح ليست تجربة ثقافية فقط بل تمتد لتكون تجربة قائمة على الاستمتاع بما تقدمه الرواية في مواقع التراث الثقافي.

في الأغلب حين يُكتشف الموقع الأثري لا بد للدولة - أي دولة - أن تعمل على الحفاظ على هذا الموقع ضمن معايير محلية ودولية وأهم هذه المعايير وأكثرها دقة ووضوحاً معايير التراث العالمي^(١)، والمبادئ التوجيهية لإدارة مواقع التراث الثقافي العالمي^(٢)، ولا يعني الالتزام بالمعايير الدولية في حماية التراث أن الدولة مطالبة بإدراج كل مواقعها الأثرية ضمن قائمة التراث العالمي، بل التزام الدولة بالحفاظ على الموقع أو المكان ضمن أعلى المعايير العالمية.

وهنا لا بد لنا من توضيح بعض المصطلحات بهذا الخصوص^(٣):

١- تعريف مواقع التراث العالمي:- هي مواقع أو معالم أو صروح تقوم لجنة التراث العالمي بترشيحها ليتم إدراجها ضمن برنامج مواقع التراث العالمية. قد تكون هذه المعالم طبيعية أو من صناعة الإنسان، وانطلق هذا العمل الدولي عبر اتفاقية حماية التراث العالمي الثقافي والطبيعي التي أقرها المؤتمر العام لليونسكو في دورته السابعة عشرة في باريس سنة ١٩٧٢م وصادقت على هذه الاتفاقية حتى عام ٢٠٢٢م مئة وأربعة وتسعون دولة.

(١) للإطلاع على هذه المعايير وغيرها يرجع مراجعة كتاب "إدارة الآثار والتراث وفق المعايير العالمية" للمؤلف، والمنشور مجاناً على الشبكة العنكبوتية.

(٢) نشرت إيكروم (المركز الدولي لدراسة صون وترميم الممتلكات الثقافية) هذه المبادئ التوجيهية باللغة العربية، من تأليف برنارد م. فيلدن ويوكا يوكيليتو في طبعته الثانية عام ١٩٩٨، وفيها تفصيل دقيق للإدارة والأنشطة والعمليات المطلوبة لذلك، وأنصح بالرجوع إليها للاطلاع والاستزادة حيث أنها منشورة مجاناً على الشبكة العنكبوتية.

(٣) من نفس الكتاب: إدارة الآثار والتراث وفق المعايير العالمية.

٢- موقع التراث الثقافي (Cultural Heritage Site): - عرّفه ميثاق الإيكوموس لتفسير وتقديم المواقع التراثية كالتالي:

Refers to a place, locality, natural landscape, settlement area, architectural complex, archaeological site, or standing structure that is recognized and often legally protected as a place of historical and cultural significance.

بمعنى آخر «هو مكان أو ناحية أو منظر طبيعي أو مستوطنة أو موقع أثري أو مجمع معماري أو بناء واضح المعالم في أغلب الأحيان ومحمي لصفاته التاريخية والثقافية الهامة».

٣- عرّفت الاتفاقية الدولية لحماية التراث العالمي الثقافي والطبيعي في مادتها الأولى والثانية معنى التراث الثقافي والتراث الطبيعي لأغراض الاتفاقية بأنهما الآثار والمجمعات والمواقع والمعالم الطبيعية والتشكيلات الجيولوجية والفيزيوغرافية والمناطق الطبيعية التي لها جميعاً قيمة عالمية استثنائية سواء من وجهة نظر التاريخ أو الفن أو العلم أو من ناحية جمالية.

والتراث (Heritage) بشكل عام هو ما ورثناه من الأجداد والآباء من أشياء ملموسة كالبيوت والمعابد والمعالم والملابس والمنتجات والعقائد المدونة والعلوم والآداب والفنون المكتوبة أو المرسومة أو المنقوشة أو المعبر عنها بشكل ملموس... إلخ، كذلك مثيلاتها غير الملموسة مثل العادات والتقاليد والقيم والعلوم والآداب الشفهية والفنون غير المكتوبة -كالرقص مثلاً- والفكر والعقائد المتناقلة شفهيّاً وغيرها. ويُعرف التراث أيضاً بأنه حضور الماضي الذي انتهى، وقد نعرفه أيضاً بأنه إنتاج ملموس أو غير ملموس خلال فترة زمنية في الماضي وتفصلها عن وقتنا الحاضر مسافة زمنية تشكلت خلالها هوة حضارية وتغير كبير.

والتراث الإنساني (Human Heritage) هو كل جهد أو عمل أو فكر... إلخ، قام به البشر منذ بداية الخليقة حتى الآن، وعندما نقول «كل» فهذا يشمل كل شيء من ابتداء البشر.

بناءً على ما سبق يمكن أن نقول أن التراث يقدم لنا أسلوب حياة، لكن هل يصلح التراث للحياة؟ هنا يبرز الفرق بين مصطلحين فكريين هما إعادة إحياء التراث Heritage Revival وعيش التراث، فالفكر الحديث يبحث عن طرق لإعادة إحياء التراث، فالعالم يتطور ويتقدم، فلا يمكن العودة للماضي إلا لإبراز تقدم البشر ولإظهار كيف عاش الأجداد، لذا فهو يصلح ليكون عبرة ونصيحة ودروس مستفادة ومتراكمة يُبنى عليها بشكل عام، كما أنها مادة جاذبة للسياحة الثقافية، حيث قد يرغب بعض الزوار والسياح عيش تجربة تراثية أو جزئية منها ليوم أو عدة أيام، كالعيش في خيام بدوية، فالتراث قد لا يكون في أجزاء كبيرة منه صالحًا لزماننا هذا أو في المستقبل لأن بعض التراث أصبح مع الزمن غير صالح و/ أو غير مقبول، فعلى سبيل المثال لا الحصر كان شراء العبد أمرًا طبيعيًا في الزمن الغابر، فهو إذن من التراث في الحضارات السابقة، أما اليوم فهو أمر مرفوض وضد الإنسانية. ثم أن التراث يُعبر عن هوية الأمم، وحقوقها ووجودها وانتمائها، لذا فالتراث مهم للشعوب الأصلية (Indigenous Peoples) وهو أحد أركان الترافع أمام محكمة العدل الدولية والمحاكم الأخرى فيما يتعلق بحقوق الشعوب الواقعة تحت الاحتلال/ الأراضي المحتلة (Occupied Lands).

ومن هنا تأتي أهمية السردية التاريخية، فهي تمثل التراث الخاص بأمة ووجودها ركن أساسي من أركان تثبيت الحقوق وترسيخ الهوية الوطنية، وعليه فإن السردية تُعني أيضًا إعادة إحياء التراث، وهنا الفرق بيننا وبين الصهيونية. نحن نريد أحياء التراث وهم يريدون إعادة تراث مشكوك فيه للحياة وعيشه، نحن نريد منطقة خالية من الحروب والنزاعات يعيش فيها الكل جنبًا إلى جنب في سلام، وهم يريدون منطقة

مشتعلة لا تهدئ في سبيل إحياء قصصٍ توراتية وتلمودية عفى عليها الزمان وانتهى.

لذا فإن السردية الأثرية لا تعني أبدًا كتابة رواية من تأليف راويها عن المكان. كما أنها لا تعني سردية وهمية غير واقعية أي أنها يجب أن تستند لمصادر ومراجع يُعتمد بها. حتى مفهوم قصة المكان على محدوديته لا يعني سردية عبثية تكتب بمزاج أو خيال، ولا هي قائمة على تسويق غير صحيح أو مبالغ به أو مقصوص من قيمة المكان وقيمه. السردية الأثرية في المختصر هي كتابة الحدث المذكور في المصادر والمراجع عن موقع ما كبير أو صغير لزمن ما، طويل أو قصير، لشخصية واحدة أو مجموعة من الشخصيات أو قبيلة أو عشيرة أو جماعة، تجمع فيما بينها خصائص دينية أو عرقية أو قرابة دم أو كلها جميعًا ضمن ما وجد في المكان من مكتشفات أثرية ملموسة سواء كانت منقولة كالقطع الأثرية أو غير منقولة كالمباني.

هناك عدة مدارس في موضوع كتابة السردية الأثرية، فبعض المدارس تميل إلى كتابة السردية كاملة بجوانبها الأثرية والتاريخية والدينية والشعبية وغيرها وذلك بأسلوب علمي رصين يستند على مصادر ومراجع واكتشافات أثرية وينتهي بمجموعة من الاستنتاجات والفرضيات. أما المدرسة المقابلة فتميل إلى كتابة السردية بجانبها الأثري فقط بمعنى ما كُشف حقًا في المكان، ولأن التنقيب والدراسات الأثرية مستمرة ولا تكشف كل جوانب السردية فإن هذه المدرسة حذرة جدًا في كتابة السردية، وإذا ما كتبتها فإن الدراسة في الأغلب غير مكتملة وتميل إلى طرح الأسئلة وذكر المكتشفات الأثرية دون الوصول إلى نتائج وفرضيات واسعة، ولذا اعتبر هذا الأمر تفسيرًا لا سردية. في المقابل هناك مدرسة تميل إلى كتابة قصة المكان فقط بكل ما فيها من نواقص وسلبات، وغالبًا من وحي الخيال.

من أشهر الكتاب في السردية بول ريكور (١٩١٣-٢٠٠٥) وهو فيلسوف وعالم إنسانيات فرنسي ومن أشهر ما عبر عنه قوله بأن التجربة الإنسانية في الوجود كما يعيشها المرء في تاريخه هي تجربة زمنية. وإن الزمن الإنساني هو زمن سردي. من هنا، فإن كل

كاتب في السردية هو كاتب في الواقع الزمني للتجربة الإنسانية. ومن أشهر مقولاته: «أخذ مسافة بيننا وبين ثقافتنا شرط ضروري لفهم أي تجربة إنسانية».

مما تقدم يمكن أن نستنتج وظيفة الكاتب في التاريخ السردى، فيمكن تقسيم هذه الوظيفة إلى عدة أقسام؛ فهو إما مُفسر أو مُقيّم وإما سارد بتجرد.

التحقق في علم السرد

التحقق في اللغة التأكد والتثبت والتيقن، بالتالي فإن سردية الأحداث التاريخية تطلق أيضًا على الدراسات التي تتناول دلائل حقيقة حول وجود أشخاص أو وقوع أحداث معينة، بمعنى آخر التحقق من اعتبار هؤلاء الأشخاص أو الأحداث جزءًا حقيقيًا من التاريخ، وليس خرافة أو أسطورة أو خيال، وبالتالي فهي تركز على الحقائق المجردة حول التاريخ، كالتمحص والأمعان والدقة وموثوقية المصادر وواقعية الحدث.

ترتبط مسألة التحقق هذه ارتباطًا وثيقًا بممارسات ومنهجيات البحث التاريخي لتحليل موثوقية المصادر الأولية والأدلة الأخرى.

لكن متى بدأت هذا القانونية بالظهور؟ لنأخذ مثال كما ورد في تفسيرٍ منطقي لأحد علماء الكتاب المقدس وعلى عهده الشخصية:

عندما بدأ النبي موسى يكتب أسفار التوراة الخمسة - مع أن بعض العلماء يشككون بأنه هو شخصيًا كتب الأسفار الخمسة وأنا مع هذا الطرح^(١) - لم يتكلم أحد عن معايير قانونية ولا غيرها، لكن الناس أخذوا بها واستلموها بدون نقاش ولا معايير ولا

(١) "إن التوراة لم يكتبها موسى ولكنها كتبت من قبل كاتب متأخر بكثير عن فترته، وإن هذا الكاتب هو من المرجح الراهب الناسخ (إسدراس Esdras) الذي جلب آلافًا من اللاجئين اليهود من بابل إلى القدس في سنة ٤٥٩ ق.م وقد كانت كتابته لـ التوراة، التي تمت بالاستناد إلى تقاليد شفوية عديدة وإلى بعض المصادر المكتوبة، تهدف إلى إحياء الديانة اليهودية. كان مثل هذا الإقرار مرفوضًا تمامًا في القرن السابع عشر، سواء لدى اليهود أو المسيحيين. أما اليوم فقد أضحي محل اجماع لدى علمائنا ولم يعد أمرًا صادمًا بالنسبة إلى غالبية المؤمنين. أما من يدحضه هم فقط اليهود الأرثوذكس والمسيحيون الأصوليون الذين يواصلون الإقرار ضد كل منطق بأن التوراة قد كتبت حرفًا على يد موسى وهي تعود تقريبًا إلى القرن الثاني عشر قبل الميلاد" (المعجزة السبينوزية).

غيره، وبعد موسى جاء يشوع وكتب سفر يشوع وأيضاً أخذ الناس بها وأضاف اليهود كتابه مباشرة^(١) إلى الكتاب المقدس. ثم بعد هذا يأتي صموئيل وكتب القضاة وراعوث والجزء الأول من صموئيل. ثم يأتي بعده ناثان النبي وجاد الرائي ويكملا صموئيل، والناس حينها أضافوا هذه الأسفار إلى الكتاب المقدس ولم يتكلم أحد عن معايير قانونية لأي سفر أو أي تساؤل عن وحيهم. ثم يأتي بعدهم داود^(٢) النبي وأضاف سفر المزامير وبدون نقاش وتم قبوله والترنم به في الهيكل بواسطة ٤٠٠٠ مرثم. ثم سليمان الذي كتب الأمثال والجامعة ونشيد الانشاد (والحكمة) ثم بعد هذا يأتي أشعيا النبي وعوبديا النبي وعاموس النبي ويونان النبي وهوشع النبي وميخا النبي ويوئيل النبي وناحوم النبي وصفنيا النبي وكلهم تم الأخذ بما كتبوه، ثم جاء السبي الذي كان كارثة لليهود، وقد سبقَ المسييين من اليهودية إلى بلاد ما بين النهرين مُقيدين بسلاسل، وحمل بعضهم ما استطاع حملة من بعض الأسفار، ولأن في هذا الزمان كانت الأسفار تكتب على الرقوق المصنوعة من جلد الحيوان فقد كانت ثقيلة وطويلة تلف على قطعتين خشبيتين، فسفر اشعيا لوحده كان ثلاث رقوق كبيرة يحتاج رجل قوي ليحمله، ولهذا لم يستطيعوا حمل كل شيء فاضطروا إلى دفن كتبهم، وأثناء السبي كُتبت بعض الأسفار مثل حزقيال النبي ودنيال النبي بتمته وحبقوق النبي وحجي النبي وزكريا النبي بالإضافة إلى طوييا ويهوديت واستير بتمته، ولكن عند الرجوع من السبي على مراحل بدأ عزرا النبي أو الكاتب يجمع كل هذا، ولم تكن كل الأسفار التي دفنت ظهرت، ولا تلك التي كتبت في السبي عادت، فجمع عزرا الكاتب الكتاب المقدس، وأيضاً كتب أخبار الأيام وسفر عزرا وكتب معه نحميا وملاخي، ثم بعد عزرا ظهرت ورجعت بقية الأسفار التي لم يكن عليها خلاف، وأيضاً كُتب يشوع بن سيراخ ولم يكن عليه أي خلاف ولا نقاش ولم يتساءل أحد عن معايير ولا غيرها، وكتب بعد هذا كتب مكابيين الأول والثاني وضيفت للنسخة اليونانية.

(١) مباشرة هنا لا تعني الحدث الفوري، فالدارس لتاريخ الكتاب المقدس يعلم علم اليقين أن عملية كتابة

الكتاب المقدس أخذت مدة طويلة جداً وأن جمعه أخذ مدة أطول بكثير.

(٢) هناك من قال بأن اسم داود سواء كتب بواو أو بواوين فكل ذلك صواب.

ثم في العهد الجديد، بدأت تظهر كتابات وأناجيل، وصل عددها إلى سبعين سفرًا، ولم يكن هناك احتياج لمعرفة إن كان هذا السفر قانوني وذلك دخیل، فقد أخذت كل جماعة بما تؤمن به، ثم قام كاهن اسمه ماركیون بوضع كتاب مقدس یناسب جماعته، ونزع من كتابه المقدس كل ما لا یؤید أفكاره، فمثل هذا خطرًا وانقسامًا بین صفوف المسیحیین فی القرون الأولى، فكان هناك احتیاج لوضع قائمة بالأسفار القانونية، فاجتمع الأساقفة المسیحیین حینها للتباحث ووضع قائمة بالأسفار التي اعتبروها قانونية، نذكر منها مجمع لاوديكية (لاودكية) المکاني حوالي ٣٦٠ م. ومجمع هبو Synod of Hippo سنة ٣٩٣ م. ومجمع قرطاجنة الأول First Council of Carthage في سنة ٣٩٧، ومجمع قرطاجنة الثاني Second Council of Carthage سنة ٤١٩ ميلادية، ومجمع ترينت Council of Trent سنة ١٥٤٦ م.

وإن اختصرنا هذه الأحداث كلها فإن الهدف كان وضع حد للمقبول تاريخيًا من الكتاب المقدس ويسبقه الإعراف بأن هذه الأسفار موحى بها من الروح القدس، والمرفوض من الأسفار والتي احتوت على شيء يُشكك بصحته إما دينيًا أو تاريخيًا. من هنا ظهر التحقق والقانونية فيما يتعلق بالكتاب المقدس، كما أنه أعتبر لدى الآخرين دليلًا على التشكيك بالصحة وتأكيد التحريف.

هذا يقودنا إلى شيء اسمه التحقق من السردية... فلا يمكن فصل الكتاب المقدس كمادة دينية موحى بها ومقبولة لدى اليهود في جزئية منها والمسیحیین في «الجزئية الكاملة»^(١)، من المادة التاريخية التي تؤرخ لأحداث وأنبياء وملوك في سياق مكاني وزماني.

وإن إردنا أن نبني سردية أردنية مقبولة وتكون جزء منها مناسبة لمواقع الحج المسيحي الخمس المعترف بها، ولغيرها من مواقع مسیحية فلا بد لنا من الأخذ بهذا المصدر كونه الوحيد المعترف به مسیحيًا، وغير ذلك لا يمكن بناء سردية دينية مقبولة مسیحيًا.

(١) مع الأخذ بعين الاعتبار اختلافات الطوائف.

من هنا يأتي التفسير الوحيد لعدم وجود سردية تاريخية أردنية رسمية حتى الآن! لأن الأمر يتعلق بأن الجهات الرسمية تريد مواقع حج مسيحية تساهم في زيادة عدد السياح والحجاج، وتنافس مواقع الحج المسيحي في دول الجوار، لكنها في نفس الوقت لا تريد أن تكون قصة تلك المواقع من مصدر لا تريده، لأسباب يعلمها الجميع.

السردية وعلم التاريخ والآثار

يعمل التاريخ كعلم في مفهوم الأنسنة عبر التاريخ^(١)، فهو ليس فقط تسجيلاً للأحداث بمعنى تدوينها كأحداث جوفاء، بل فهم تلك الأحداث في سياقها وخصوصاً تلك التي رسخت في الذاكرة الإنسانية، وأصبح لها تأثيراً في حاضرنا ومستقبلنا.

التاريخ علمياً هو دراسة ممنهجة تعتمد على حقائق الماضي، وتتبع حوادثه، وفهم الظروف التي حدثت فيها تلك الحوادث، وتفسيرها بمنطقية وحيادية وعقلانية. ويُطلق على عالم التاريخ لقب باحث (من البحث والاستقصاء) أو المؤرخ (اسم فاعل من أرخ) وهو الشخص الذي يقوم بتأريخ^(٢) الأحداث، أي دونها حسب تاريخ وقوعها، والذي يعمل على إعادة بناء الماضي بكل وقائعه وزواياه ضمن زمانه ومكانه، وما أحدثه من وعي وثقافة وتأثير بصورة مباشرة أو غير مباشرة بما يعكس حياديته في النقل والتفسير.

يرتبط علم التاريخ ارتباطاً وثيقاً بعلم الآثار الذي هو دراسة البقايا المادية التي خلفها الإنسان، ورغم افتراقهما في نقطة ما في النهج العلمي، والطريقة النقدية في الإرجاع والتأصيل والحكم. ورغم تعدد المرجعيات في تعريف التاريخ اصطلاحاً ولغةً، فإن التاريخ يعد ولا يزال مجالاً للتأمل والفلسفة والفكر ويخضع لمقاربات يتحكم فيها الإيديولوجيا والمنطق.

(١) يعرف التاريخ عادة بأنه جملة من الأحداث التي وقعت في زمن سابق، وأنسنة التاريخ حسب المفكر الجزائري محمد أركون تنطلق من كون التاريخ محوره الإنسان، لأنه جملة من الأحداث والتحويلات التي يعيشها ويصنعها، ويكون هو الفاعل الرئيسي فيها.

(٢) التأريخ هو كتابة التاريخ أو تدوينه. أو هو دراسة الحالة التي كان عليها التاريخ، أي تاريخ الكتابات التاريخية، بمعنى أنه عندما يُدرس التأريخ، فإنه لا يُدرس أحداث الماضي فقط، بل يتم دراسة التفسيرات المتغيرة لتلك الأحداث في أعمال المؤرخين كل على حدة.

والمعلومة التاريخية تقوم على الملاحظة والوصف والتفسير والتحليل والمقارنة، وتكون المعلومة التاريخية أكثر مصداقيةً عندما تؤيدها دلائل أثرية تراثية ملموسة سواء كانت منقولة أو غير منقولة، وبذلك تكون هذه المعلومة موظفة توظيفاً دقيقاً ضمن قواعد وضوابط المنهج العلمي الذي تطور عبر الزمن فأخذ في مرحلة ما من هذا التطور جانباً لغوياً وسردياً لا يعتبره أحد مرتكزات العمل أو الفعل التاريخيين.

والسرد لا يمكن فصله عن التاريخ إن كان سرداً تاريخياً، فالعلاقة بينهما علاقة امتزاج لا يمكن الفصل بينهما، وبذلك لا يمكن القول أن السردية تنافي التاريخ إذا بحثت فيه، لكن يمكن للآثار نقض حدث ما، -وهو بالمناسبة نادر الحدوث- وإذا وردت في الحدث سردية تبين أنها غير دقيقة، فتعامل السردية ك وهم أو خيال لا أكثر.

الفيلسوف والمفكر الفرنسي بول ريكور Paul Ricoeur بحث في كتاب له مسألة العلاقة بين الزمان والسرد شارحاً هذه المسألة في الفكر الإنساني بدءاً من أوغسطين (المفكر واللاهوتي الشهير) الذي نظر إلى الحاضر باعتباره ثلاثي الأبعاد. بُعداً سماه حاضر الماضي، وبُعداً سماه حاضر الحاضر، وبُعداً سماه حاضر المستقبل، ثم أرسطو الذي اعتبر الزمان تتابعاً للأفعال السردية وتنظيماً لها، وصولاً إلى كانط الذي اعتبر الزمان مخططاً لإدراك التصورات في الجهاز العقلي المجرد، فلا وجود للزمان في الخارج بل هو مفهوم متعال في العقل الإنساني، بينما يُشكل الزمان عند هايدغر أفقاً لإدراك الوجود وليس ظاهرة طبيعية كونية.

وحسب ريكور فإن السردية تروي تاريخاً بأسلوب روائي، وبالتالي فهي عملٌ إبداعي حتى ضمن الوقائع والأحداث التي يجري تأريخها، فالسرد حسب ريكور هو القدرة على قول رواية ما من خلال حدثٍ تاريخي ضمن معانٍ ودلالاتٍ وتتابعٍ وتسلسلٍ زمني لعرض الحدث أو الواقعة في قالبٍ قد يكون جزء منه واقعي وقد يكون جزء منه خيالي، ولكن وكما ذكرنا سابقاً الجزء الوهمي من السردية قد يواجه تحفظات وهو ما يؤخذ على أصحاب رواة السردية التاريخية ومنهم الفيلسوف الفرنسي ريكور.

وإذا كان الإنسان هو موضوع التاريخ، فأين سنضع مخرجات ونتائج عمل الإنسان من مادة ملموسة أي «الآثار» في السردية؟ إن الجواب هو أن كتابة التاريخ دون أدلة أثرية يجعل النص قابلاً للشك، وأيضاً المادة الأثرية الملموسة دون سردية تبقى مادة غير مفهومة ولا واضحة، وقد تقع تحت تفسير خاطئ وهو الجانب المظلم من علم الآثار (Archaeology from the dark side) لأنه يترك الآثار يعطي تفسيره بمطلق الحرية دون ضوابط ومرجعيات.

إن مشكلة «الأثر» أنه يقدم مادة دون سردية في معظم الوقت، إلا تلك التي ترتبط بأثر آخر أو تعتمد على المكان الواسع، أو نجد لها مصدر مكتوب وأو نقش أو كتابة ما.

المادة الملموسة تصبح سردية إن وردت فيها أو عليها ما يثبت حدث ما، لكن التحليل الأثري عليه من المآخذ ما لا يمكن حصره هنا^(١)، لكن بالمجمل قد يتجه الآثار إلى تفسير أو تحليل بعيد عن الواقع أو منافٍ له، وهو ما يسميه بعض العلماء علم الآثار الهامشي أو علم الآثار المزيف (Pseudoarchaeology) أو (Fringe) أو (Alternative Archaeology)^(٢) وقد رأيت وقرأت تفسيرات خلال عملي لبعض المواقع الأثرية وبعض القطع لا يمكن وصفها بأقل من التفسيرات الكارثية وسأذكر هنا حادثة واحدة فقط كمثال صادقتني خلال عملي في دائرة الآثار العامة الأردنية، ففي إحدى الزيارات الميدانية لأم الرصاص - ويمكن للقارئ الكريم قراءة المزيد عن هذا المكان المبهر لاحقاً في هذا الكتاب - دخلت في نقاش مع آثاري حول كنيسة القديس استطفانوس والقديس سيرجيوس المتجاورتين في المعجم الكنسي بهذه المدينة، وزيارة النبي محمد لها قبل النبوة، وإمكانية أنها مقر للراهب بحيرى، والذي سنتحدث عنه لاحقاً في هذا الكتاب، فقال الآثاري الذي كان يرافقنا: أن البرج

(١) يفترض بالآثاري أن يقدم الأثر المكتشف بالحد الأدنى من التفسير حتى لا يقع في تفسيرات خاطئة تُسجل عليه.

(٢) أهم عناصر هذا العلم أنه يفتقر للبحث العلمي والأسانيد.

(برج الناسك) ما هو إلا برج للراهب بحيرى، وأن القديس سيرجيوس (سركيس)^(١) الذي بنيت الكنيسة له هو نفسه بحيرى! فسألته وهل هناك نصًا مكتوبًا أو نقشًا أو علامات تشير لذلك؟ أخبرني أنها أفكاره وتحليله للمكان، وأن نشرها كقصة للمكان سيحدث فرقًا كبيرًا. ووقتها نصحته بأن ينسى هذا التحليل وأن يترك الموقع كما هو بلا سردية أفضل من العبث بعقول الناس والعبث بالتاريخ.

من هنا نكرر القول أننا لسنا بحاجة لأي سردية حتى نروج للأردن. إن أكبر خطأ يقع فيه الآثارى أو المؤرخ أو الدليل السياحي هو اختراع سردية غير حقيقية. إننا نحتاج فقط لسردية واقعية حقيقية قائمة على مصادر موثوقة لا تحليل حسب المزاج.

عند بناء السردية لا يجب أن نكتفي بالشخصيات والمكان والزمان، بل يجب أن تأتى السردية بالسؤال المهم. السؤال الذي يشكل المعضلة أو الحبكة والتي تمثل محور السردية، وهذا الهدف من السردية بحد ذاته: المكان، الزمان، الشخصيات، الحبكة، الفكر، ثم النهاية. والحبكة هي ما ينتظره الزائر أو السائح، لأنها الرابط بين كل تلك العناصر.

لنأخذ مثال عن سردية بطولية عن القائد القرطاجي «هانيبال» أو «حنبل» وحروبه المعروفة ضد روما وما يصاحبها من طابع أسطوري عجائبي، تصف الرواية تخطيط وحنكة القائد هانيبال، الذي استطاع قطع مسافة تبدو خيالية في تلك الحقبة، فقد انتقل من قرطاجة (تونس حاليا) مرورًا بالجزائر ثم المغرب ومن ثم قطع مضيق جبل طارق ثم إلى إسبانيا، مجتازًا جبال الألب ذات القطس السيء، إلى أن وصل روما وهزم الرومان، تبدو الرواية اسطورية لكنها سردية عن هانيبال وعبره لإيطاليا لقتال الرومان، فهو يعتبر بطلاً وقائدًا بل وأسطورة حُبكت حولها سرديات خالدة على صفحات التاريخ في الذاكرة الجماعية خاصة بشمال أفريقيا. فهنا تم بناء سردية عن مكان هو قرطاج وروما وعن بطل هو هانيبال وعن حبكة من شقين الأول مشقة

(١) شفيق الغساسنة. وبنيت الكنيسة في القرن السادس الميلادي أم هذا القديس فحسب التقليد الكنسي تم استشهاده في القرن الثاني الميلادي.

وصول قوات هانيبال لروما والثانية الانتصار على الرومان. ماذا لو صنعنا سردية أردنية مشابهة؟

لكن بناء سردية وهمية قد يشكل مادة خطيرة، لذا فالحذر واجب عند بناء أي سردية حتى ولو كانت سردية تحمل الكثير من الأسطورة والتراث الشفهي غير الموثوق به. لا نريد أن نكون أضحوكة أمام الصهاينة أو أصحاب السردية السوداء!

هنا نطرح سؤالاً: لكن ما الجامع بين السرد والتاريخ؟ الجواب على هذا السؤال هو أن كلا المجالين متكاملين إذ أن كلاهما يعتمد الكلام والعودة للماضي والاسترجاع. إن السرد والتاريخ مزيجٌ من توظيف جديد للإبداع، ولل فکر، ولل فلسفة، ويظهر هذا الأمر في «الحبكة» أو «العقدة» أو «السر» والذي يفترض أن تظهر بعد تنظيم متسلسل للأحداث من مقدمة وصعود للرواية وصولاً للحبكة ثم تفكيكها إلى نهاية حتمية تتوافق والحدث التاريخي.

إن الحياة البشرية تستحق أن تكون مروية من أبسط أحداثها حتى أعقدها، فمثلاً قُدمت قصة اختراع العجلة بأسلوب شيق ولا أحد يعلم القصة الحقيقية ومتى وأين حدثت ومن بطل هذا الاختراع العظيم، كذلك اكتشاف النار، وهكذا ممكن كتابة سردية الفخار ونحت التماثيل كمواد أثرية ملموسة، وسردية الطقوس والعبادات القديمة جداً كأشياء تراثية غير ملموسة... لكن كلها كُتبت بتحليل من الآثار وقد تحتمل الصواب أو قد تحتمل الخطأ.

مع الملاحظة المهمة وهي إن جاز للروائي أن يكتب بهذه الأحداث ما شاء من روايات، فإن السردية الدينية لا تحتمل أي تفسير أو تحليل خاطئ لسبب وهو ارتباط السردية الدينية مع معتقدات ليس من السهل العبث بها، لما قد يسببه هذا الأمر من قضايا ومشاكل ونزاعات وحروب.

السردية والكتاب المقدس

إن الأحداث التاريخية الواردة في الكتاب المقدس مكان جدل، هذا أمر لا شك فيه. وبهذا الصدد يقول إدموند ليش (Edmund Leach)^(١) «إن ما يقوم به البعض وفي اصرارهم على اعتبار الكتاب المقدس أحد المصادر التاريخية إنما هو امعان وإصرار على تدمير معانيه».

سبق وذكرنا أن السردية تعتمد على المكان، والمكان هو العنصر الرئيس في كتابة الحدث جنباً إلى جنب مع الشخصيات التي يتمحور حولها قصة المكان، وإذا ما أخذنا المكان كعنصر أولي وحيد فسنكون أمام معضلة، وهي أننا نحتاج إلى العودة للتاريخ لمعرفة الاسم القديم للمكان وأيضاً مصادر الاسم ومعناه. هذا إذا كان المكان معروفاً، ونستدل منه الأسماء الأخرى له، ولكن أحياناً نصطدم بأن المكان الذي نريد أن نبني له السردية قد يكون مجهولاً أو غير معروف، وقد يكون غير مكتشف أو ظاهر للعيان في وقت كتابة السردية. أما اسم المكان فيرتبط باللغة، وفي هذا يقول يوسف ضمرة: «إن المشتغلين بهذا الموضوع يقعون في مشكلة أخرى، وهي الحفر في اللغة، وقد وجد ذلك في كتب فراس السواح، وسيد القمني، وكمال صليبي، والشاعر زكريا محمد، والدكتور فاضل الربيعي. ومشكلة الحفر في اللغة تتعلق بالبحث عن أصول الكلمات، التي استقرت في السردية الدينية أو التاريخية. ويشجع الباحثون في هذا السياق عملية القلب في اللغة العربية ولهجاتها الكثيرة، وأعني هنا قلب الأحرف. أما المشكلة الأخرى فهي تتعين في وجود أسماء لأماكن وردت في الكتب الدينية كالتوراة والأنجيل، وتبين -بالنسبة لغير باحث- أنها لا تقع حيث تقول السردية الدينية، وإنما في بلاد أخرى، ما يعني أن الرواية الدينية هنا محرفة أو مزورة أو مغلوطة، وقد برع في ذلك الباحث كمال صليبي، والدكتور فاضل ربيعي»، وعودة إلى المكان فإن الحفريات الأثرية في فلسطين المحتلة في الكثير منها جاءت مناقضة لوصف المكان كما جاء في العهد القديم، أقلها في الحجم، كوصف حجم أريحا إبان فتحها على يد العبرانيين، أو

(١) باحث اثروبولوجيا من المملكة المتحدة.

الحفريات الأثرية التي تمت في الأردن، بالتسخيف من الشعوب الأخرى مثل وصف الحضارة الموابية بالوضيعة، وبالتالي قد يكون وصف المكان في التوراة مبالغ فيه، وقد يكون لأهداف سياسية أو اجتماعية، أو قد يكون طبعاً عادياً في تلك الفترة.

وعندما يأتي ذكر الرواية الكتابية والتي يسميها البعض خطأ الرواية التوراتية يقعون في أخطاء، فيقول بهذا الصدد ضمرة في نفس المقال: «الروايات الدينية التوحيدية استقرت وانتهى الأمر، ولم يعد مجديا البحث في تاريخيتها، سواء كان ذلك لإنكارها أو لإثبات صحتها، لكن ما ينبغي لنا العمل عليه، طالما امتلكنها هذه الأدوات اللغوية، وبعض المسروقات التاريخية، هو أن نحاول تصحيح الرواية التاريخية لا الدينية، فالرواية التاريخية قابلة للتصحيح عندما تتوافر العلامات والدلائل، لغوية كانت أم أركولوجية، وليس من قبيل تزجية الوقت أن يقوم العدو الإسرائيلي منذ إنشاء دولة دخيلة على أرض فلسطين، بالبحث والتنقيب عن الآثار المادية، لكي يطابق هذه اللقى مع الرواية الدينية. فالمسيحيون مثلاً لا يهتمهم إن كان بيلاطوس أمر بصلب المسيح تنفيذاً لرغبة يهودية أم لا، أقصد أنهم لا يفتشون عن سند تاريخي لهذه المروية طالما استقرت دينياً في الوعي الجمعي للبشرية. وحتى لو قام عشرات بابوات الفاتيكان بتبرئة اليهود من دم المسيح، فهو لن يقدم ولن يؤخر لأن هذه حقيقة دينية لا تاريخية، لكن كثيراً من أسفار التوراة التي بين أيدينا لم يستقر تماماً في الوعي الجمعي البشري، وهذا ما جعل الصهاينة يفتشون وينقبون للعثور على أدلة مادية تسند المروية الدينية. أدلة تاريخية تؤكد المرجعية المقدسة للحق الصهيوني المزعوم في فلسطين، بوصفها أرض الميعاد».

ولا بد هنا من أن نؤكد على: إن نفي أو إنكار أو تبديل القصص التوراتية (الأسفار الخمس الأولى) أو الكتابية (كامل الكتاب المقدس) يعني نفي الروايات المقدسة للديانات السماوية الثلاث، أو الجزء المتوافق فيما بينها، وهذا ما أتى به على سبيل المثال لا الحصر كمال الصليبي في كتبه^(١) حول أسماء الأماكن الواردة في الكتاب

(١) من كتبه: التوراة جاءت من جزيرة العرب وخفايا التوراة وأسرار شعب إسرائيل والبحث عن يسوع، قراءة جديدة في الأنجيل. وجميعها صدرت في ثمانينات القرن المنصرم.

المقدس محاولاً تقديم سردية مخالفة للمعهود، حيث زعم أن أسماء الأماكن الواردة في الكتاب المقدس تشير إلى أماكن في جنوب غرب شبه الجزيرة العربية، وأن العبرانيين وهم عرب حسب زعمه هاجروا واستوطن معظمهم في فلسطين حيث أسسوا مملكة حشمونية في عهد سمعان المكابي في القرن الثاني قبل الميلاد. ووفقاً لهذه الفرضية، خلط الصليبي وفسر أسماء الأماكن في الكتاب المقدس بأماكن في هذه المنطقة الجغرافية الجديدة. ومن ضمن فرضيته أن الشعب اليهودي تحول من اللغة العبرية إلى الآرامية، وأن هذا التحول اللغوي سبب تحريفاً لتاريخهم ورواياتهم. وقد تعرضت فرضية كمال الصليبي لنقد علمي، وصُنفت فرضيته ضمن علم الآثار المزيف التي سبق ذكرناها، وبالتالي لا يعول عليها علمياً. ويشاركه في هذا المنوال الكاتب فاضل الربيعي حيث قام بتأليف عددٍ من الكتب^(١) التي تتقارب ونظريات الصليبي، وقد حظيت آراء فاضل الربيعي في التاريخ بشعبية واسعة في أوساط العامة من العرب رغم خروجها عن المسلمات التاريخية بوصفها علم آثار زائف، وتعرض الربيعي لنقد من مؤرخين وغيرهم، كونها تعد استمراراً لنظرية التوراة العبرية^(٢) التي بدأها الصليبي وتعرضت هي كذلك لنقد أكاديمي في حينه.

كما أن الباحث العراقي خزعل الماجدي قدم في كتبه ومقالاته فكرة تقوم على أن التوراة مأخوذة من التراث السومري، وأن عشرة من الملوك السومريين تحولوا إلى عشرة من أنبياء العهد القديم، ويضيف حول تشكيكه بالكتاب المقدس أنه آن الأوان لوضع سرديات علمية في هذا المجال، وأنه انتهى زمن السرديات المؤدلجة

(١) من كتبه: فلسطين المتخيلة ١، فلسطين المتخيلة ٢، القدس ليست أورشليم، أسطورة عبور الأردن وسقوط أريحا، حقيقة السبي البابلي، بنو إسرائيل وموسى لم يخرجوا من مصر (سفر الخروج)، مصر الأخرى: إسرائيل المتخيلة، مساهمة في تصحيح التاريخ الرسمي لمملكة إسرائيل القديمة، الذاكرة المنهوبة: علم الآثار التوراتي وتزوير تاريخ فلسطين والشرق الأدنى القديم، الشيطان والعرش - رحلة النبي سليمان إلى اليمن.

(٢) هذه النظرية أو الفرضية أخذت تتوسع من خلال العديد من الدراسات والأبحاث والكتب والمقالات لعدد من الباحثين نذكر منهم: الباحث السوري د. أحمد داوود، الباحث اللبناني فرج الله صالح ديب، الباحث الفلسطيني د. زياد منى، الباحث المصري أحمد عيد، الباحث الفلسطيني أحمد الدبش. للمزيد أنظر مقال الأخير والمشار إليه في المراجع.

والمتحيزة. لكن في نفس الوقت الذي ينكر فيه الماجدي وجود أنبياء بني إسرائيل، بدليل عدم وجود مادة أثرية تؤكد وجودهم منكرًا أيضًا الكثير من مرويات الكتاب المقدس، معتبرًا أن علم الآثار الكتابي علمًا مزيفًا، إلا أنه عندما يصل إلى موضوع الإسلام تختلف نبرة كلامه وطريقة تعاطيه وطرحه، وهو ما ذكرناه سابقًا بأن الباحث يجب أن يعتمد السردية التي تأخذ عن الكل المروي وليس على جزئية واحدة، فما بالك بالجزئية المتأخرة. إن الإسلام لم ينكر وجود أنبياء بني إسرائيل، بل منحهم مكانة وذكر عنهم ما لم تمنحهم إياها التوراة نفسها، وذكر القرآن الكريم الكثير عن قصص الأنبياء بل وأفرد لهم الكثير من الآيات، وأن النبي محمد تحدث عنهم وعن سيرتهم الشيء الكثير، وهذا ما يجعلنا كباحثين ننظر بعين الشك في حيادية بعض الباحثين الذين يقعون في حيرة مريبة، منها عدم قبولهم لسردية ما قبل الإسلام رغم تشابكها مع الإسلام نفسه، أو التشكيك بالوجود اليهودي نفسه أو مكان وزمن أحداث التوراة، أو التشكيك في كل شيء.

وإذا كانت هذه العملية - البحث عن أصل التوراة ومكان حدوثها - لدى الكثير من العلماء والباحثين، أقرب للإنتقائية حينًا وللفقدان المصدقية حينًا أخرى، سواء من حيث البحث عن ما ينكرها، أو يوافقها، لأغراض دينية حينًا ولأغراض سياسية حينًا أخرى، فإن السردية الدينية القائمة على المصادر سواء الأثرية منها أو التاريخية تمتلك من القوة والرسوخ ما يجعلها أقوى بكثير من الخلافات حول التحريف أو التزوير أو التزييف لأغراض سياسية أو دينية.

الفصل الثاني

الكتب المقدسة والسردية التاريخية

الكتب المقدسة، مصدرًا لأحداث تاريخية

الكتاب المقدس ليس كتابًا تاريخيًا في الأساس، بمعنى أن الهدف الرئيس للكتاب المقدس ليس كتابة التاريخ، ولم يُقصد به أن يكون كذلك. لكن الكتاب المقدس قدم الأحداث الكتابية في سياقها المكاني وسياقها الزماني. ولذا في كثير من الأحيان تجد الكتاب المقدس يركز على الحدث وسياقه المكاني دون تحديد السياق التاريخي، أو يجعل السياق التاريخي ثانويًا أو غير مهم، وعليه قد لا نجد في الكتاب المقدس ترتيبًا لتسلسل الأحداث، ومع ذلك فهناك الكثير من الأحداث مُؤرَّخة بدقة، تتناسب والقدرات المعرفية لمدوني الكتاب في تلك الفترات أو المراحل التي كُتِبَ فيها. كما يوجد الكثير من البيانات الدقيقة عن تعاقب بعض الشخصيات، مثل تسلسل الأنساب وتعاقب القضاة وقوائم الملوك.

كذلك لا يُعتبر القرآن الكريم كتابًا تاريخيًا، بل هو كتاب هداية وإرشاد يهدف إلى توجيه البشرية، على الرغم من احتوائه على قصص تاريخية وحقائق تاريخية تتعلق بأمم ورسل سابقين. فالغرض الأساسي من هذه القصص هو العظة والاعتبار، وليس سردًا تاريخيًا للأحداث كما يفعل المؤرخون.

والكتاب المقدس ليس كتابًا توثيقيًا، ومع ذلك فهو نفسه جزء من التراث الثقافي المادي للإنسانية، فهو نص مادي يحمل جزء هام من التراث الديني والثقافي للمنطقة ككل، ونظرًا لقدسيته فهو جزء مهم من التراث الثقافي للإنسانية جمعاء، لأنه نص متوارث بين الأجيال المتعاقبة منذ آلاف السنين، ولا أحد يستطيع أن ينكر أن هذا الكتاب سجل بين طياته الكثير من الأحداث التي تعتبر مصدرًا دينيًا وأثريًا وأدبيًا بالإضافة إلى توثيقه للحياة الاجتماعية والثقافية من عصور غابرة لم تسجل بطريقة أخرى. فالكتاب المقدس بالإضافة لكونه كتابًا مقدسًا إلا أنه يشكل أيضًا مجموعة من المواضيع الأخرى بينها مواضيع تاريخية وهذا كله شكل نقاشًا وجدلا واسعًا.

إن الكتاب المقدس نصًا مقدسًا كما يظهر من اسمه، ومكون من مجموعة من الكتب، وضعها ودونها أو تحدث بها لمدون مجموعة من الناس، فهو متعدد المصادر ومتعدد الروافد، وهو سرديّة لأحداثٍ وقصصٍ قد يراها البعض كلاًّ عاديّاً، لكنه نص لغوي يحمل القدسيّة منذ آلاف السنين، وهذا النص كُتِبَ على فترات طويلة، وهذا الأمر جعل النص المقدس لا يخلو من التعقيدات والتشكيك والجدل، حتى بلغ الأمر إلى صعوبة في تحليل النص لسبب وهو أن النص ذاته قد كُتِبَ في ظروفٍ مجهولة لأحداثٍ معقدة وتداخلات أقرب إلى استحالة التفكيك والرصد، ومع ذلك قدم عدة باحثين ولاهوتيين ومؤرخين وجهة نظرهم بتلك الأمور كلها.

ثم أن هذا الشكل الذي وصل إلينا للكتاب المقدس وهو نتيجة نهائية من سلسلة طويلة من القرارات التي اتخذها أصحاب السلطة الدينية سواء النص اليهودي منه أو النص المسيحي، وأنه إذا أمكن دراسة آخر العمليات التي جرت عليه، إلا أننا نجهل عدد العمليات التي سبقتها، وما دار فيها، وهذه العمليات ليست سهلة الرصد والدراسة من حيث تفكيكها، مما جعل تفكيك النص المقدس أو البنية النصية بالغ الصعوبة، مع التأكيد بأن النص كُتِبَ في زمن مختلف فكرياً وثقافياً ولغوياً وفلسفياً واجتماعياً عن زماننا الحاضر، بالتالي عند دراسة الكتاب المقدس والنظر في نصوصه لا بد من مراعاة الزمن الذي كُتِبَ فيه والظروف المحيطة والتطورات التي وصلت بالنص إلى شكله سواء شكله الأولي أو شكله النهائي. ولعل هذه الجزئية ما جعلت الكثير من علماء الآثار لا يتخذونه مرجعية في أبحاثهم العلمية.

بغض النظر عن المرجعية الدينية أو المرجعية العلمية التي تجعل الكثير من العلماء والباحثين يرفضون الكتاب المقدس كمصدر للسردية التاريخية، إلا أن العديد من الاكتشافات أكدت صحة بعض ما ورد في أجزاء منه، وهنا نعود للسؤال: هل الكتاب المقدس يعتبر مصدر للسردية أم لا؟

وعلى صعيد آخر فإنه رغم اعتبار القرآن الكريم ليس كتابًا تاريخيًا، إلا أنه يعد مصدرًا تاريخيًا عظيمًا، حيث يقدم معلومات عن أحداث تاريخية وأمم سابقة، ولكن هذه المعلومات تخدم الغرض الديني والأخلاقي الذي جاء به القرآن الكريم.

من وجهة نظري لا يجب استخدام الكتب المقدسة أو أخبار الأنبياء لإثبات السردية. لأن اليهود سيستخدمون الكتاب المقدس وبالأخص التوراة لإثبات سرديتهم والقائمة على ما يسمى «إسرائيل الكبرى»، إلا أننا ورغم موقفنا المعلن في هذا الكتاب كمؤلف وباحث مسيحي وعربي سأثبت ومن خلال الكتاب المقدس أن هذه الأرض ليست ملكًا لبني إسرائيل وأن كل ما ورد في الكتاب المقدس يؤكد أن هذه الأرض ملكًا لأصحابها الذين سيرد ذكرهم في هذه السردية، وأنهم هم من عمروها وبنوها بكدهم وجهدهم وعرق جبينهم جيلا بعد جيل وعصرًا بعد عصر، وأن بني إسرائيل سواء في دولتهم الأولى أو الثانية أو الثالثة الحالية ما هم إلا وجود طارئ واحتلال بكل معنى الكلمة.

يتناول الكتاب المقدس في أول خمسة أسفار «القضية اليهودية» وهذه الكتب الخمسة اسمها التوراة وهو الاسم الرسمي للأسفار الخمسة في الديانات الثلاثة، وهو جزء مقدس لدى اليهود والمسيحيين، ثم كتب الأنبياء، وفيها تسلسل الأنبياء والأحداث، فكان الناس ما قبل يعقوب (إسرائيل) شيء وما بعده شيء آخر. ثم تتناول النصوص موضوع الشعب اليهودي (نسبة إلى يهوذا بن يعقوب والذي سميت الديانة والشعب والمملكة باسمه قبل أن تأخذ اسمًا آخر هو اسم مملكة داوود) وعلاقته بأرض كنعان، التي سماها بأرض الميعاد بعد منفى طويل للعبرانيين^(١) في مصر، واصفًا الكتاب تلك العملية وما جرى فيها من أحداث بعضها بوصف دقيق تفصيلي وبعضها بسرعة ومرور الكرام. ثم يلي التوراة كما قلنا كتب الأنبياء، وهي تشكل معًا العهد القديم (التناخ) ثم يأتي بعدها العهد الجديد وسنأتي بالتفصيل على هذه الجزئية وما يرتبط بها تاريخيًا في حينه.

(١) أنظر آخر الكتاب مقال عن العبرانيين.

ما ورد تاريخياً في الكتاب المقدس يعتبر في بعض الأجزاء سردية تاريخية - أردنا ذلك أم لم نرد- لأنها تضم شخصيات ومواقع وأحداث في أوقات محددة. وهذا الرأي رأياً أدبياً بغض النظر وافق عليه رجال الدين أم رفضوه! لكن النص الوارد في الكتاب المقدس مقبول لدى البعض ومرفوض لدى البعض الآخر سواء كان الرفض قائم لأسباب سياسية أو دينية أو غيرها، وسواء كان النص الأصلي مشكوك فيه كما يؤمن البعض أو صحيح الأصل كما يؤمن البعض الآخر.

إن الجدل الذي يقع في النص المفترض للسردية الدينية خلق أزمة لدى الجهات المعنية بهذه السردية، ومتى وقع الجدل في النص فالتشكيك يطال كل شيء. بل وصل الأمر في البعض بالتشكيك في وجود اليهود أنفسهم، وأنهم جماعات ظهرت متأخرة، والبعض لم ينكر وجود اليهود لكنهم شككوا بوجودهم في هذه المنطقة، فبعضهم يقول أن مكان استقرارهم مجهول وبعضهم الآخر يصر أن مكان استقرارهم جنوب ووسط الجزيرة العربية وتحديداً في اليمن. والبعض يشكك بوجودهم في مصر، لا بل أن الدارج لدى الفئة المشككة بالوجود اليهودي أصلاً يرى أن الكتاب المقدس نص مشكوك في صحته، ووقع عليه التحريف، كما أسلفنا! ويشير بعضهم أن الكتاب المقدس من مصادر مختلفة ومتباعدة زمنياً، ويسوق هؤلاء الكثير من الحجج أو الدلائل أو التفسيرات التي تؤيد فكرة أن الكتاب المقدس قد تعرض في زمن ما للتغيير، وأنه طالما وجد الشك في النص فإن كل ما يدور في النص أمر غير مقبول بالتالي لا يجوز - حسب رأيهم - الأخذ بالجزء ولا حتى بالكل، فأى شيء يؤكد صحة جزئية بسيطة من الكتاب المقدس مرفوض وأي شيء يشكك بجزئية بسيطة من الكتاب المقدس يعتبر دليل قاطع على صحة القول بأن الكتاب المقدس نص محرف ولا يعتد به على حسب رأيهم.

إن هذه الجدلية الدينية خلقت على استيحاء قبل قرون طويلة، ثم أصبحت شيء من أصول الدين الإسلامي، وتطورت بعد «وعد بلفور» المشؤوم إلى جدلية سياسية

حول «القضية الفلسطينية» واختلطت الأمور الدينية بالأمور السياسية بالأمور العلمية والبحثية، فتشكل لدينا نوع جديد من الجدل اسمه «جدل الوجود اليهودي في المنطقة» ووصل هذا الجدل ذروته حين أخذ علماء الآثار سميوا بالتوراتيين أو الكتابيين بالبحث عن الآثار التي تؤكد نصوصًا بحد ذاتها وصولاً لأحقية اليهود في هذه المنطقة! بينما قابلهم آخرون من علماء آثار عرب ورجال دين من غير اليهود وسياسيين ومؤرخين يرفضون هذه الانتقائية، ووصل الأمر ببعضهم برفض النص الكتابي جملةً وتفصيلاً لإنكار أي أحقية لليهود في المنطقة، متناسين أن الوحي الإلهي عملية مستمرة وأن التشكيك بجزئية منها أو محاولة قطعها يعتبر «قطعاً» و «تحريضاً» بحد ذاته، ويطال كل ما بعد المُشكك به.

لكن كيف يمكن خلق سياحة دينية دون دليل مكتوب أو أثر ملموس؟

إذا سلمنا جدلاً بأن النص المكتوب لا ينفع كدليل على حدثٍ مرتبط بمكان وزمان فإن الأثر المادي يقطع الشك باليقين. لكن السؤال هنا: ماذا مثل أحدهم في وقته؟ ماذا شكل في نظر جماعته؟ ماذا استخدم هذا الشخص أو الجماعة التي ينتسب إليها من أدوات ملموسة لنقول أن هذا الأثر يعود للشخصية الفلانية أو لجماعة كان يعيش بينهم ووسطهم. فعلى سبيل المثال لا الحصر: إن موسى وهو واحد من أعظم أنبياء العهد القديم، وهو نبي عظيم أيضاً عند المسيحيين وعند المسلمين، لا أثر مادي يؤكد وجوده! كل ما نعرفه عن نبي الله موسى ورد إما في الكتاب المقدس أو في القرآن الكريم أو في كتابات متأخرة لأتباع الديانات. بالتالي فإن تلك المصادر هي المرجع الوحيد عن هذا النبي الكريم حتى هذا التاريخ، وقس على ذلك أنبياء العهد القديم، أو أنبياء بني إسرائيل - كما في التراث الإسلامي - فكيف مثلاً ننسب المقام في جبل نيبو له، وكيف عرفنا أن هذا الجبل بالتحديد هو جبل نيبو؟ للتنبؤ فإن ما يؤكد أن هذا هو جبل نيبو كنائس تعود للقرن الرابع الميلادي أي في الفترة البيزنطية، فهي معالم متأخرة

جدًا عن فترة النبي موسى، وهذا على سبيل المثال لا الحصر، وفي المختصر فإن لا أثر حقيقي لوجود أي نبي حتى تاريخ كتابة هذا الكتاب.

إن هذه الأسئلة مطروحة لكي نعرف أن الكثير من المواقع الدينية في العالم ومن مختلف الديانات قد لا تعود بالضرورة لتاريخ تشكل العقيدة أو الديانة بل أن الكثير منها نُسب لأحد منهم فُني عليه مقام أو مبنى ديني في وقت متأخر، واستند ذلك لرأي أو شهادات أو إشارات متأخرة بضع سنوات أو بضع عقود أو حتى قرون.

يؤمن اليهود بجزئية من الكتاب المقدس كما قلنا سابقًا بينما يؤمن المسيحيون بكامل الكتاب المقدس، بينما يعتقد المسلمون أن الكتاب المقدس تم إيقاع التحريف عليه. وإذا كان هدف هذا الكتاب تسليط الضوء على السردية، فلن يدخل هذا الكتاب بالجدل الديني وما يدور حوله، لكن يهمننا هنا ماذا أثر هذا الجدل في السردية نفسها، وفي تأخر اعتمادها، وأثر ذلك على السياحة الدينية في الأردن حتى عهد قريب.

لا بد هنا من أن نُشير لنقطة مهمة ألا وهي أن من أهم التأثيرات على السردية التاريخية هو عدم الاهتمام الرسمي بالمواقع الأثرية والتاريخية التي جرت فيها الأحداث الكتابية، رافقه رفض شعبي لأي رواية دينية لا تتناسب مع الرأي المحلي، وحتى أحياناً مع الأساطير الشعبية ذاتها. لكن بدأت هذه الفكرة الرسمية تتغير مؤخرًا بالانفتاح نحو تطوير وتنمية مواقع «الحج المسيحي» وتطويرها لاستقبال الحجاج المسيحيين، لكن بقيت مشكلة سردية الموقع المنوي تطويره! لماذا؟ لأن المطلوب سردية على المقاس، لا سردية على الحقائق أو النص. وأقصد «بالحقائق» المكتشفات الأثرية وأقصد «بالنص» ما ورد في الكتاب المقدس.

حتى عندما نشأت محاولات لكتابة السردية في الأردن كانت الاسئلة: كيف ستكتب؟ ومن سيكتبها؟

مؤرخون؟ آثاريون؟ روائيون؟ رجال دين؟ سياسيون؟ أم مجموعة منتقاه من كل هؤلاء؟

هل ستكتب السردية لتناسب مع المعتقد الديني المسيحي من جهة؟ وإلا ما هي الأساس الذي ستبنى عليه فكرة وتسويق مواقع الحج المسيحي؟ أم ستترك هذه لضربات الحظ؟ أم ما يقدمه الدليل السياحي من سردية غير رسمية.

وهل سيكون هذا السرد مقبولا إسلامياً؟

هل ستكون سردية تتناسب والواقع السياسي في منطقتنا في ظل استمرار الاحتلال الصهيوني لفلسطين؟

أم ستكون سردية مشذبة ومقصوفة لتناسب الظروف الراهنة؟

نعم نحن أمام معضلة! وفعلياً ونظرياً أمر كتابة السردية الأردنية بعد طرح هذه الأسئلة أمر غير هين، وقد يقودنا إلى سردية غير دقيقة! بل مشوهة وغير منطقية، ومشكوكة المصدر.

لعل الأمر شديد الحساسية وشديد التعقيد لدرجة أن لا أحد يريد لهذه السردية أن تولد. الكل يعرف السردية التي تناسبه ويكتفي بها، معتبراً أن ما يخالفه خطأ، وما لا يناسبه ضلال! ووسط هذه «الميمعة» و«الجدل» يقع السائح والزائر أيّ كان هدفه وتوجهه من الزيارة، فريسة سردية مشوهة، منقوصة، أو صمّت مطبق من قبل الدليل السياحي.

هذا الكتاب وإن أشار لهذه الجدلية، لكنني في هذا الكتاب سأحاول تقديم سردية تاريخية أردنية جزء منها قائم على السردية الدينية، لكنها ستكون سردية واضحة متكاملة من منظورين رغم تناقضهما أحياناً، ولكن لا أدعي أنها سردية حكومية رسمية بل هي سردية من وجهة نظري قائمة على المصادر المتاحة.

الحج والسردية :

إن الحج لفلسطين بدأ منذ قرونٍ خلت، ففي عام ٣٢٦م، قامت الأمبراطورة البيزنطية هيلانة أم الأمبراطور قسطنطين العظيم بزيارة حج إلى فلسطين، وهي الزيارة التي كانت لها أهمية بالغة ، فبنت العديد من الكنائس في المنطقة، حيث ساهمت عمليات البناء هذه والزيارة بحد ذاتها بأن يقلدها في هذه الزيارة عدد لا بأس به من الناس الذين أصبحوا يمارسون طقوسًا تسمى بالحج، وتسجيل ما يحدث معه أو نقله شفهيًا عند عودتهم، بل أن البعض منهم استقر في هذه المنطقة، وارتبطت بعدها رحلات الحج ارتباطًا وثيقًا بالكتاب المقدس، حيث قام الحجاج الأوائل بتسجيل أسماء المدن الفلسطينية، باعتبارها أسماء مدن وردت في الكتاب المقدس، كما وصف هؤلاء هذه الأماكن من الناحية الجغرافية والتاريخية كما وردت في الكتاب المقدس، فمثلاً كان من حجاج القرن الرابع الحاجة باولا (Paula) التي زارت فلسطين سنة ٣٨٥م، كذلك الحاجة إغيريا (إيجريا Aetheria أو Etheria) التي زارت مواقع عديدة في مصر وفلسطين والأردن في نهاية القرن الرابع الميلادي، وسجلت الكثير من الأحداث والمواقع.

أما في القرن التاسع عشر الميلادي فقد زار عدد من الأوروبيين الأماكن المقدسة في فلسطين، حيث نشأت حينها حركة تسمى بعلم الآثار الكتابي، وقد بدأت هذه الرحلات بهدف استكشاف الأماكن المقدسة التي وردت في الكتاب المقدس وتحديثًا ما ورد في العهد القديم. وكان أحد أهم علماء الآثار حينها يدعى إدوارد روبنسون Edward Robinson^(١)، ثم تأسس صندوق استكشاف فلسطين عام ١٨٦٥م حيث تم إجراء دراسات حول الهيكل عام ١٨٦٧م بواسطة

(١) وهو أحد المراجع الكتابية في أمريكا، ويُطلق عليه لقب أبو علم الآثار الكتابي ويعتبر "مؤسس علم الدراسات الفلسطينية الحديث" نظراً لخبرته في هذا المجال. سافر روبنسون إلى فلسطين في العام ١٨٣٨ برفقة القس إيلي سميث، واضعاً نصب عينيه التفريق بين الحقيقة والخيال وفصل القديم عن الحديث (أنظر لكتاب: الأركيولوجيا بين العلم والإيديولوجيا والوارد في المراجع).

تشارلز وارن Charles Warren وتشارلز ويلسون Charles William Wilson ثم تأسس صندوق استكشاف فلسطين Palestine Exploration Fund أو PEF عام ١٨٧٠م والتي قدمت نفسها كجمعية علمية تهتم بالبحث في الآثار والطوبوغرافيا والجغرافية الطبيعية والتاريخ الطبيعي لفلسطين، غير أنها لعبت دوراً مهماً في مجال جمع المعلومات الاستخباراتية العسكرية التي كان تحتاجها بريطانيا لمد نفوذها الاستعماري في المنطقة، ثم وصل لفلسطين عالم الآثار الفرنسي الشاب تشارلز غانو (جانايو) Charles Simon Clermont-Ganneau عام ١٨٧٠م لدراسة نقش ميشع ونقوش أخرى في فلسطين، ثم في عام ١٨٩٠ وصل السير فليندرز بيتري William Matthew Flinders Petrie للمنطقة وقام بدراسات سمي على أثرها باسم «أبو علم الآثار الفلسطيني»، وفي عام ١٨٨٩ تم افتتاح مدرسة الكتاب المقدس والآثار الفرنسية في القدس، وفي عام ١٨٩٨ تأسست «جمعية الشرق الألمانية» في برلين، وتم تمويل عدد من أعمال الحفر في وقت لاحق، وخلال الانتداب البريطاني في فلسطين (١٩٢٢ - ١٩٤٨) ازدادت البعثات منها بعثات من قبل الرهبان اليسوعيين، والدومينيكان.

ولم يكن يهم الحجاج الأوروبي لفلسطين والأراضي المقدسة قبل الانتداب شيئاً يتعلق بأرض فلسطين أو بمن فيها، كان جل اهتمامهم هو اكتشاف الأماكن المقدسة وزيارتها والتبرك فيها، ومنهم من حاول الوصول لأماكن مجهولة قرأوا عنها في الكتاب المقدس، فأخذوا يبحثون عنها ومحاولة تحديد موقعها بناءً على ما ورد في الكتاب المقدس، وترك هؤلاء الرحالة عشرات الكتب والتقارير التي رسموا فيها صورة لفلسطين والأردن وسيناء وجنوب لبنان والجولان وأماكن أخرى. ثم استخدمت بعض تلك الكتابات والصور لاحقاً كمادة تعتمد عليها الحركة الصهيونية لإثبات أحقية اليهود بهذه الأرض. ولكن دون أن ننكر أن بعض الحجاج وعلماء الآثار في القرن التاسع عشر وبعده لم يكونوا سوى مجموعة من اللصوص والسراق

والجواسيس والذين ازداد عددهم خلال فترة الإنتداب وبعدها، وكانوا ذراع الدول الاستعمارية والحركة الصهيونية لتحقيق أهدافهم الاستعمارية. وبالتالي نستطيع أن نخرج بنوعين من الحجاج وعلماء الآثار، فقبل القرن التاسع عشر لم يكن أحد يهتم بالقضايا السياسية تقريباً، أما أثناء القرن التاسع عشر وبعده فقد كان عدد من علماء الآثار يهتمون بالبحث عن الأماكن الواردة في الكتاب المقدس، منهم من كان مدفوعاً لتأكيد حق اليهود في فلسطين المحتلة، لكن حتى نكون واقعيين ليس كل من كان يبحث عن مواقع الكتاب المقدس في فلسطين كان يهتم أصلاً بفكرة يهودية فلسطين، بعضهم كان اهتمامه إما بسرقة الآثار لصالح دولهم وجامعاتهم، أو تسجيل اكتشاف باسمه.

الضعف والاستهانة في إنتاج سردية مقابلة :

من الظلم ربط علم الآثار منذ تأسيسه في القرن التاسع عشر بأجندات سياسية ودينية فعلم الآثار علم عظيم وكبير وشامل. لكن هذا العلم الكثير من العلوم الأخرى استخدم لإعادة كتابة روايات تاريخية بناء على مصادر دينية لأغراض سياسية. كذلك من الظلم أن نقول أن الكتاب المقدس كُتب لتأكيد حق اليهود في فلسطين المحتلة. الكتاب المقدس كُتب لإعلام الأمم بوجود الله وبقصّة الخلاص وبناء علاقة جديدة بين الله عز وجل وبين الإنسان. وعليه فعلم الآثار وجد كعلم، والتاريخ وجد كعلم، أما كيفية استخدامهما ومصادر البحث فتعود للشخص المُستخدم لهذا العلم وليس للعلم ذاته، دون أن ننكر أن بعض واضعي أسس علماء الآثار وضع نصب عينيه الرواية التوراتية أو الكتابية دون غيرها.

وإذا نجح بعض العلماء في تأسيس وتوسيع ونشر «علم الآثار التوراتية» لدعم حق اليهود فيما يسمى دولة إسرائيل، مستخدمين «الرواية التاريخية التوراتية» فإن الجهات المقابلة لم تستطع حتى هذه اللحظة أن تقدم رواية أو سردية مناقضة أو منافسة أو مقابلة لرواية علم الآثار التوراتية، وما يفند هذا السردية جملة وتفصيلاً؛ فعادة يصطدم

الرافض للرواية التوراتية بأن أنكار وجود موسى مثلاً هو إنكار لعقيدته الدينية، لذا يلتزم الصمت، أو في أقصى تقدير أن يروج بأن الرواية التوراتية لا يوجد ما يؤكد صحتها.

إذا نحن أمام فرضية يقابلها فرضية أخرى!

لنأخذ هذه الفرضية كمثال:

وجدت عملة أموية قرب كنيسة أثرية أثناء عملية الحفر لمسار ديني، فقام قائد الفريق الأثري بتقديم تفسير حول وجود هذه العملة الأموية قرب الكنيسة الأثرية حيث فسرها كدليل على حالة التسامح الديني في الموقع! بينما قدم نفس الشخص تفسيراً حول لقي أثرية أخرى بأنها «صناعة لرواية اسطورية» في استخدام لقي أثرية ومواقع أثرية ونسبها لأنبياء مثل نبي الله موسى ونبي الله يوحنا المعمدان (يحيى)، في الواقع أن هذا الشخص قدم تفسيره فيما يتعلق بالعملة وقدم تفسيره فيما يتعلق بصناعة الرواية، ولا يعني أن تفسيره صحيح! إنها فرضية وتبقى فرضية إلى أن يُكشف النقاب عن لقي أثرية أخرى تدعم رأيه أو تنفيه.

لكن السؤال المطروح: هل يستطيع عالم الآثار أن يفسر موقع أو لقي أثرية دون الرجوع لنصوص تاريخية؟

من المؤكد أن علم الآثار يجب أن يتصف بالموضوعية بحيث يشرح الأثر كما هو ولا يلجأ لتفسير يؤكد ما يريده، لذا فكما أننا نقف ضد علم الآثار التوراتي، فإننا في نفس الوقت نقف ضد أي تفسير لأثر ما وجد في مكان معين فقط لتأييد فكرة معدة مسبقاً. كما أن تفسير موقع وصولاً لقصة مكان لا يعني أبداً وجود سرديّة متكاملة، فالسرديّة يجب أن تستند لمصادر ومراجع تاريخية وإلا فإن قصة المكان فرضية لا يُعول عليها.

يحاول الكثير من الآثاريين العرب الدعوة إلى التحرر من السرديّة التوراتية وعدم استخدام الكتاب المقدس كمصدر، معللين ذلك أولاً: بالشكوك حول تأليف وجمع الكتاب المقدس وأنه تم في فترة متأخرة، وثانياً: بإشكالية النص الديني عند العرب!

فالسردية الدينية عندهم غير مقبولة ما قبل الإسلام، فالنص التوراتي، وفق التراث الإسلامي نص مشكوك فيه، ويقوم الاعتقاد بأنه نصٌ محرف. وهناك أيضًا من الآثاريين غير العرب الذين يأخذون بالنوع الأول من الشك السالف الذكر أمثال: عالم الآثار الإسرائيلي البروفيسور يسرائيل فينكلشتاين Israel Finkelstein، وعالم الآثار الأميركي البروفيسور نيل آشرسيلبرمان^(١) Norman Finkelstein، والبروفيسور في جامعة تل أبيب زئيف هرتسوغ Ze'ev Herzog والبروفيسور في نفس الجامعة دافيد أوسيشكين.

من هنا نقول أن علم الآثار التوراتي علم غير مُجمع عليه، وهو مقبول لدى البعض ومرفوض لدى الآخرين. وعليه تجدر الإشارة إلى أن الرأي بعدم قبول الرواية التوراتية يخلق مشكلة في خطط السياحة الدينية المسيحية الأردنية كون الكثير من المواقع واللقى الأثرية تعود للفترة البيزنطية وترتبط بأحداثٍ توراتية أو كتابية، منها على سبيل المثال جبل نبو.

لكن رغم محاولات تفكيك نص الكتاب المقدس إلى نصوص، منها «النص الديني» و«النص الأسطوري» و«النص التاريخي»، لكن فعليًا تصطدم فكرة التفكيك ذاتها إن قام بها عالم آثار مسلم بالعقائد التي يؤمن بها. فالنص القرآني ذاته، ذكر موسى وداود وسليمان ويحيى وعيسى كأنبياء وجميعهم من اليهود وذكروا كأنبياء بني إسرائيل؛ فإذا تفكيك النص دون أن يخرج المسلم من عقائده مسألة معتقدة، وشائكة، لذلك يحاول معظم الآثاريين العرب أن يفككوا العهد القديم، بما لا ينفي إيمانه بعقائده التي تؤمن بوجود هؤلاء جميعًا دون أن يخبر أين وجودوا بعد مصر! فيستخدم ما يريده من النص ويتجاهل النص الآخر الذي لا يريده!

ولذا عند كتابة السردية التاريخية، يقف العربي أمام نصٍ ديني هو «العهد القديم»، فهل يقبله أو يرفضه؟ على الأغلب سيتجاهله. ويدعم الفكرة التي يحملها الآثاري

(١) الفا معًا كتاب اسمه التوراة اليهودية مكشوفة على حقيقتها.

العربي بأن كل الحفريات التي جرت في فلسطين من قبل علماء الآثار التوراتيين حتى الآن لم تأت بشيء يؤيد وجود أنبياء أو ملوك العهد القديم ومملكتهم الموحدة، مع الإشارة إلى وجود بعض الآثار من مسلات وحجارة ونقوش تدعم نصوص وردت في الكتاب المقدس، أو تُشير لممالك بعينها، وبالتالي تشير بشكل غير مباشر لصحة أمور وردت في الكتاب المقدس.

هنا لا بد أن أُشير لمقولة الدكتور زيدان كفا في حين قال: «والمدينة، أي مدينة، هي في الأساس المكان والسكان. ومن هنا، فإن القدس عُمرت بالناس منذ عصور ما قبل التاريخ وحتى الآن، فسكنها وثنيون وأصحاب الديانات السماوية الثلاث... وهم وبنظرنا، وبغض النظر عن دياناتهم، مقدسيون... وبهذا، فإننا عندما نتحدث عن مملكة إسرائيل، ومن بعدها السامرة ويهوذا، فإننا نتحدث عن إرث فلسطيني لا يربطه باليهود الصهاينة أي رابط».

التاريخ والكتاب المقدس

عندما تم وضع العصور وتسلسلها بدأ علماء الآثار التوراتيون يضعون الأحداث في الكتاب المقدس على الشكل التالي:

العصر	الفترة	أهم حدث
العصر الحجري القديم	٥٠٠,٠٠٠ - ١٤٠٠٠ ق.م	-
العصر الحجري الوسيط	١٤٠٠٠ - ٨٠٠٠ ق.م	-
العصر الحجري الحديث	٨٠٠٠ ق.م - ٤٥٠٠ ق.م	-
العصر النحاسي	٤٥٠٠ ق.م - ٣٣٠٠ ق.م	-

العصر	الفترة	أهم حدث
العصر البرونزي يقسم العصر برونزي في الأردن إلى ثلاث فترات: برونزي مبكر (٣٣٠٠ - ٢٠٠٠ ق.م) برونزي وسيط (٢٠٠٠ - ١٥٠٠ ق.م) برونزي متأخر (١٥٠٠ - ١٢٠٠ ق.م)	٣٣٠٠ ق.م - ١٢٠٠ ق.م	ابراهيم ونسله . تطورت القرى في الأردن تدريجياً لتصبح مدناً ذات إدارة تناسب وتلك الحقبة، حيث سكن الأردن حينها الأموريين والآراميين وغيرهم (نهاية الألف الثالث قبل الميلاد). الكنعانيون في وسط وشمال فلسطين. وصول قبائل الفلسطينيين من جزيرة كريت إلى سواحل فلسطين في نهاية العصر البرونزي. نشوء الممالك (عمون وأدوم ومؤاب) في نهاية العصر البرونزي المتأخر. الخروج.
العصر الحديدي الأول	١٢٠٠ ق.م - ١٠٠٠ ق.م	ظهور المملكة الموحدة (شاول، داود، سليمان) (١٠٥٠ سنة تقريباً).
العصر الحديدي الثاني	١٠٠٠ ق.م - ٥٥٠ ق.م	ابتداء من ١٠٠٠ ق.م، تشكلت كيانات جديدة، وتجزأت بلاد الشام إلى دول صغيرة، من ضمنها المملكتان الآرامية والفينيقية، إضافة إلى إسرائيل ويهوذا في فلسطين كمملكتان مستقلتان. والعماليق والفلسطينيين. السبي الآشوري. السبي البابلي.

العصر	الفترة	أهم حدث
العصر الحديدي الثالث	٥٥٠ ق.م - ٣٣٢ ق.م	جمع أسفار التوراة بواسطة عزرا الكاهن سنة ٥٣٤ ق.م
اليونان والرومان - امتداد الفترة الحديدية	٣٣٢ ق.م	احتل اليونان فلسطين والأردن، ثم الاحتلال الروماني. ظهور مملكة الأنباط (١٦٩ ق.م).
السيد المسيح	١ - ٣٣ م	امتداد الاحتلال الروماني للمنطقة، ظهور النبي يحيى (يوحنا المعمدان - النبي السابق). ظهور السيد المسيح.
بعد الميلاد	٧٠ م - ١٣٣ م	نهاية الدولة النبطية ١٠٦ م. الثورة اليهودية. تيطس يغزو فلسطين ويعيد السيطرة الرومانية للمنطقة. خراب الهيكل الثاني. تدمير أورشليم وبناء مدينة إيليا كابيتولينا (إيلياء بالعربية) مكانها. الجصاعة في الأردن.
	٢٠٠ م	الغساسنة في الأردن
عصر الدولة البيزنطية	٣٢٤ - ٦٣٣ م	انتشار الكنائس في الأردن.
ظهور الإسلام	٦٣٣ م	الفتح الإسلامي للأردن.

ومن الجدير ذكره بأن الفلسطينيين أو الفلسطينيين أو الفلسطينيين ومفرده فلسطيني من أرض فلسطين، فهم شعب ورد ذكرهم في التوراة في عدة مواقع نذكر منها:

« ٢٣ فَقَطَعَا مِثَاقًا فِي بئرِ سَبْعٍ، ثُمَّ قَامَ أَبِيمَالِكُ وَفِيكَوْلُ رَئِيسَ جَيْشِهِ وَرَجَعَا إِلَى أَرْضِ الْفَلَسْطِينِيِّينَ. ٣٣ وَغَرَسَ إِبْرَاهِيمُ أَثْلًا فِي بئرِ سَبْعٍ، وَدَعَا هُنَاكَ بِاسْمِ الرَّبِّ الْإِلَهِ

السَّرمَدِي. ٤٣ وَتَغْرَبْ إِبْرَاهِيمُ فِي أَرْضِ الْفِلَسْطِينِيِّينَ أَيَّامًا كَثِيرَةً» (سفر التكوين الإصحاح ١٢) كما ذكروا في سفر الخروج فيقول في الإصحاح الخامس عشر: ١١ من مثلك بين الالهة يا رب. من مثلك معتزا في القداسة. مخوفا بالتسابيح. صانعا عجائب. ٢١ تمد يمينك فتبتلعهم الارض ٣١ ترشد برأفتك الشعب الذي فديته تهديه بقوتك الى مسكن قدسك. ٤١ يسمع الشعوب فيرتعدون. تاخذ الرعدة سكان فلسطين. ٥١ حينئذ يندهش أمراء أدوم. أقوياء مؤآب تأخذهم الرجفة. يذوب جميع سكان كنعان. ٦١ تقع عليهم الهيبة والرعب. بعظمة ذراعك يصمتون كالحجر. حتى يعبر شعبك يا رب. حتى يعبر الشعب الذي اقتنيت. ٧١ تجيء بهم وتغرسهم في جبل ميراثك المكان الذي صنعه يا رب لسكنك. المقدس الذي هيأته يداك يا رب». فيصف سفر الخروج أهل فلسطين من الكنعانيين بكونهم قوم من العمالق الذين حاربهم بنو إسرائيل وانتصروا عليهم بمعجزة. فهم على الوصف من شعوب البحر التي هاجرت من كريت واستقرت في جنوب فلسطين استوطنوا في الجزء الساحلي الجنوبي من أرض كنعان في القرن الثاني عشر قبل الميلاد، كما ورد ذكرهم في بردية التاريخ المعروفة أيضًا باسم التاريخ لهيرودوت، حيث أطلق المؤرخ الإغريقي هيرودوت اسم فلسطين السورية في كتبه في القرن السادس قبل الميلاد على عموم المنطقة الجنوبية الغربية من بلاد الشام. وأصبح هذا الاسم رسميًا في الإمبراطورية الرومانية في القرن الثاني للميلاد، وشاع في اللغات الأوروبية وفي اللغة العربية بصيغة فلسطين.

ومن المعلومات التي يجب على الدليل السياحي معرفتها هو أن الكتاب المقدس يقسم حسب المسيحيين إلى عهدين: العهد القديم، والعهد الجديد. العهد القديم هو كل الأسفار التي كُتبت قبل ميلاد السيد المسيح، والعهد الجديد هو كل ما كُتب بعد ميلاد السيد المسيح.

وتشير كلمة العهد إلى اتفاق، أو ميثاق، أو معاهدة بين طرفين، كما أنها تشير إلى الوصية. وجاءت كلمة عهد في «المصباح المنير»: الوصية: يُقال عهد إليه من باب تعب

إذا أوصاه، وعهدت إليه بالأمر قَدَّمته... والفعل من اثنين، فكل واحد يفعل بصاحبه مثل ما يفعله صاحبه به، فكل واحد في المعنى فاعل ومفعول.

وقد يكون العهد:

أ - بين رجل وآخر، كالعهد الذي قُطع بين إبراهيم وأبيمالك ملك جيران (تك ٢١ : ٢٧)، أو بين يعقوب ولaban (تك ٣١ : ٤٤ - ٤٦)، وكانوا عند قطع العهد يشقون ذبيحة نصفين يجوز كل طرف بين شقي هذه الذبيحة، وكأنه يقول: إن خنت هذا العهد ليشقني الله مثل هذه الذبيحة.

ب - بين أمتين أو شعبيين، كالعهد بين إسرائيل والجبعونيين^(١) (يش ٩ : ٦ - ١٦).

ج - بين الله والإنسان، مثل العهد الأول الذي أعطاه الله للإنسان بعد السقوط بأن نسل المرأة يسحق رأس الحية (تك ٣ : ١٥)، والعهد الثاني بعد الطوفان: «وَهَا أَنَا مُتَقِيمٌ مِيثَاقِي مَعَكُمْ وَمَعَ نَسْلِكُمْ مِنْ بَعْدِكُمْ... وَلَا يَكُونُ أَيْضًا طُوفَانٌ لِيُخْرِبَ الْأَرْضَ» (تك ٩ : ٩ - ١١) وكان علامة العهد الذي أعطاه الله لنوح قوس قزح (تك ٥ : ٣)، والعهد الثالث مع إبراهيم، والعهد الرابع جاء مع الشعب، ودعى الكتاب لوجي الوصايا بلوحي العهد (تث ٩ : ١١)، كما دُعي التابوت بتابوت العهد (يش ٣ : ٦)، وأيضًا دعى الله ناموسه بالعهد: «فَالآنَ إِنِ سَمِعْتُمْ لَصَوْتِي وَحَفِظْتُمْ عَهْدِي تَكُونُونَ لِي خَاصَّةً» (خر ١٩ : ٥) ودعى التوراة بكتاب العهد (خر ٢٤ : ٧)، وقطع الله عهدًا مع هارون وبنيه دُعي «عهد ملح» أو «ميثاق ملح» (عد ١٨ : ١٩) كما منح الله فينحاس بن العازار بن هارون «عهد سلا» أو «ميثاق سلام» له ولنسله: «مِيثَاقُ كَهَنُوتٍ أَبَدِيٍّ لِأَجْلِ أَنَّهُ غَارَ لِلَّهِ» (عد ٢٥ : ١٣)، وأعطى الله عهده لداود (١ أي ٢٨ : ٤، مز ٨٩ : ٣، ٤، ١٣ : ١١ - ١٨).

جاءت تسمية العهد الجديد في العهد القديم: «هَا آيَاتُ تَأْتِي يَقُولُ الرَّبُّ وَأَقْطَعُ مَعَ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ وَمَعَ بَيْتِ يَهُوذَا عَهْدًا جَدِيدًا...» (إر ٣١ : ٣١ - ٣٣)، وفي العهد الجديد قال السيد المسيح: «لَآنَ هَذَا هُوَ دَمِي الَّذِي لِلْعَهْدِ الْجَدِيدِ الَّذِي يُسْفِكُ مِنْ أَجْلِ

(١) جبعون (جيب اليوم) وهي مدينة كنعانية كانت تقع شمال مدينة القدس ذكرت في العهد القديم حيث قام يشوع باحتلالها.

كثيرين لِمَغْفِرَةِ الْخَطَايَا» (مت ٢٦ : ٢٨، مر ١٤ : ٢٤، لو ٢٢ : ٢٠، ١ كو ١١ : ٢٥).
كما استخدم بولس المصطلح: «الَّذِي جَعَلَنَا كُفَّاءَ لَأَن نَكُونَ خُدَّامَ عَهْدٍ جَدِيدٍ» (٢ كو ٣ : ٦) «هُوَذَا آيَاتُ تَأْتِي يَقُولُ الرَّبُّ حِينَ أُكْمَلُ مَعَ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ وَمَعَ بَيْتِ يَهُوذَا عَهْدًا جَدِيدًا» (عب ٨ : ٨) .. «وَلَأَجْلِ هَذَا هُوَ وَسِيطُ عَهْدٍ جَدِيدٍ» (عب ٩ : ١٥) «إِلَى وَسِيطِ الْعَهْدِ الْجَدِيدِ، يَسُوعَ» (عب ١٢ : ٢٤)، وسُمي العهد الجديد تمييزاً له عن العهد الأول الذي قطعه الله مع اليهود، كما سُمي العهد الجديد لأنه سيقى جديداً على الدوام كقول بولس الرسول: «فَإِذْ قَالَ جَدِيدًا عَتَقَ الْأَوَّلَ. وَأَمَّا مَا عَتَقَ وَشَاحَ فَهُوَ قَرِيبٌ مِنْ الْاضْمِحَالِ» (عب ٨ : ١٣)، و «بَلْ أُغْلِظْتُ أَذْهَانَهُمْ لِأَنَّهُ حَتَّى الْيَوْمِ ذَلِكَ الْبُرْقُوعُ نَفْسُهُ عِنْدَ قِرَاءَةِ الْعَهْدِ الْعَتِيقِ بَاقٍ» (٢ كو ٣ : ١٤) واستخدم «العلامة ترتليان» مصطلح «العهد القديم» في إشارته لأسفار العهد القديم.

لكن يختلف اليهود والمسيحيون في الاعتراف بالكتاب المقدس، فالمسيحيون لا يعترفون بالأسفار التالية عند اليهود:

- ١- المشناه: وهي تدوين للتعاليم اليهودية الشفوية، كتبها الحاخام يهوذا هنسي سنة ٢١٠ م.
- ٢- التلمود الأورشليمي والتلمود البابلي: وهي تدوين للشرعة اليهودية الشفوية كتبت أيضاً بعد الميلاد.

كما أن اليهود فلا يعترفون بكامل العهد الجديد.

إذا الكتب المشتركة هي:

تسعة وثلاثون كتاباً (سفرًا) مشتركة بين اليهود والمسيحيين، يطلق عليها اليهود اسم التوراة والأنبياء، والمسيحيون اسم العهد القديم. مع الأخذ بعين الاعتبار الأسفار القانونية الثانية التي هي قصة أخرى.

ويتكون العهد القديم من مجموعة من الأسفار أولها التوراة التي تؤلف أسفار موسى الخمسة، ثم الأسفار التاريخية وكتب الأنبياء الكبار والصغار وكتب الحكمة. وهناك بعض الاختلافات بين الطوائف في التسمية، وفي الترتيب أو الاعتراف بقانونية

بعض الأجزاء، فبعض طوائف اليهود ترفض الاعتراف بغير أسفار موسى الخمسة مثل السامريين، وبعض اليهود أضافوا ما يعرف باسم الأسفار القانونية الثانية والتي قبلها المسيحيين الكاثوليك والأرثوذكس في حين يرفضها يهود فلسطين والمسيحيين البروتستانت.

وبجدة بسيطة:

أولاً: التقسيم اليهودي للتناخ:

يسمي اليهود كتابهم المقدس بالتناخ بينما لا يُطلق هذا اللقب من قبل المسيحيين في الأغلب، مع عدا بعض الطوائف ذات الميول اليهودية، ويعتقد أن أول إشارة لهذا التقسيم تعود إلى يشوع بن سيراخ.

التقسيم الأساسي للكتاب المقدس العبري:

لفظ عبري	المختصر	بالعربية
תורה/ تورا	ت	شريعة
נביאים/ نبيאים	ن	أنبياء
כתובים/ كتوبيم	ك/ خ	كتب

والشريعة هي أسفار التوراة الخمسة وتعتبر أهم وأعظم كتب اليهود. أما الأنبياء فتتضمن الأسفار من يشوع إلى ملاخي. في حين أن الكتوبيم هي الشيد والجامعة والمراثي وسفر أستير وراعوث، وقد فصلوها عن كل العهد القديم وتقرأ في الأعياد. أما اليهود المتأخرين فيعتبرون أن في العهد القديم ٢٤ سفرًا، ولضبط هذا العدد كانوا يعتبرون، سفر صموئيل الأول والثاني سفرًا واحدًا، وملوك أول وثاني سفرًا واحدًا، أخبار الأيام أول وثاني سفرًا واحدًا، وعزرا ونحميا سفرًا واحدًا، والأنبياء الصغار الـ ١٢ من هوشع حتى ملاخي سفرًا واحدًا. أما اليهود في العصور الأولى فقد اعتبروها ٢٢ على عدد حروفهم الأبجدية ٢٢ حرف، فضموا راعوث للقضاة والمراثي لأرميا.

وفيما يلي هذه الأسفار حسب التقسيم المسيحي:

الترتيب	اسم السفر	المختصر	الكاتب وتاريخ تدوينه
١	سفر التكوين	تك	يطلق عليها تورااة كتبها موسى أو أحد المقربين منه — ١٤٠٠ قبل الميلاد
٢	سفر الخروج	خر	
٣	سفر اللاويين (الأخبار)	لا	
٤	سفر العدد	عد	
٥	سفر التثنية (تثنية الاشتراع)	تث	
٦	سفر يشوع	يش	يشوع — ١٣٥٠ قبل الميلاد
٧	سفر القضاة	قض	صموئيل/ ناثان/ جاد — ١٠٠٠ - ٩٠٠ قبل الميلاد
٨	سفر راعوث	را	
٩	سفر صموئيل الأول	١ صم	
١٠	سفر صموئيل الثاني	٢ صم	
١١	سفر الملوك الأول	١ مل	أرميا — ٦٠٠ قبل الميلاد
١٢	سفر الملوك الثاني	٢ مل	
١٣	سفر أخبار الأيام الأول	١ أخ	عزرا — ٤٥٠ قبل الميلاد
١٤	سفر أخبار الأيام الثاني	٢ أخ	
١٥	سفر عزرا	عز	
١٦	سفر نحميا	نح	
١٧	سفر أستير	أس	مردخاي — ٤٠٠ قبل الميلاد
١٨	سفر أيوب	أي	موسى — ١٤٠٠ قبل الميلاد
١٩	المزامير	مز	كتاب مختلفون ولكن يعتقد أن معظمه دونه داود بين ١٠٠٠ - ٤٠٠ قبل الميلاد، وتُشير مصادر أثرية أنها من مصدر آشوري - بابلي.
٢٠	سفر الأمثال	أم / مثل	سليمان — ٩٠٠ قبل الميلاد
٢١	سفر الجامعة	جا	
٢٢	سفر نشيد الأناشيد	نش	أشعيا — ٧٠٠ قبل الميلاد
٢٣	سفر إشعيا	أش	
٢٤	سفر إرميا	إر	أرميا — ٦٠٠ قبل الميلاد
٢٥	سفر مراثي إرميا	مرا	
٢٦	سفر حزقيال	حز	حزقيال — ٥٥٠ قبل الميلاد
٢٧	سفر دانيال	دا	دانيال — ٥٥٠ قبل الميلاد
٢٨	سفر هوشع	هو	هوشع — ٧٥٠ قبل الميلاد
٢٩	سفر يوشع	يؤ / يوء	يوشع — ٨٥٠ قبل الميلاد
٣٠	سفر عاموس	يوئ عأ	عاموس — ٧٥٠ قبل الميلاد

٣١	سفر عوبديا	عو	عوبديا - ٦٠٠ قبل الميلاد
٣٢	سفر يونان	يو / يون	يونان - ٧٠٠ قبل الميلاد
٣٣	سفر ميخا	مي	ميخا - ٧٠٠ قبل الميلاد
٣٤	سفر ناحوم	نا (ناح) (نحو)	ناحوم - ٦٥٠ قبل الميلاد
٣٥	سفر حبقوق	حب	حبقوق - ٦٠٠ قبل الميلاد
٣٦	سفر صفنيا	صف	صفنيا - ٦٥٠ قبل الميلاد
٣٧	سفر حجى	حج	حجى - ٥٢٠ قبل الميلاد
٣٨	سفر زكريا	زك	زكريا - ٥٠٠ قبل الميلاد
٣٩	ملاخي	ملا	ملاخي - ٤٣٠ قبل الميلاد

يتكون الكتاب المقدس عند الكنائس الأرثوذكسية الشرقية والأرثوذكسية المشرقية من نحو ٤٩ سفرًا؛ بينما يتألف في نسخته الكاثوليكية من ٤٦ سفرًا؛ وفي نسخته البروتستانتية من ٣٩ سفرًا، وضمت بعض إصدارات الكتاب المقدس الأنجليكانية واللوثرية هذه الأسفار في قسم منفصل يسمى الأبوكريفا.

وبهذا يكون عدد اصحاحات العهد القديم ٩٢٩ اصحاحًا. ويطلق على هذه الأسفار أيضًا لقب الأسفار القانونية الأولى. أما الأسفار القانونية الثانية، فيطلق عليها لقب الأبوكريفا Apocrypha وهي كلمة يونانية قديمة بمعنى أشياء تم إخفاؤها، وأصبح لها معنى لاحق إلى الكتب المنحولة. وتمت كتابة معظم أسفار الأبوكريفا على ما يعتقد في ٤٠٠ سنة قبل الميلاد في زمن ملاخي.

وهذه هي كتب أبوكريفا العهد القديم:

اسم السفر	المختصر	مكانه
طوبيا (طوبيت)	طو	ويأتي في الترتيب بعد سفر نحميا، والسفر يصنف على أنه من الأسفار التاريخية.
يشوع بن سيراخ	سيراخ	ويأتي بعد سفر الحكمة في الترتيب؛ حيث يعد السفر من الأسفار الشعرية.
باروك (باروخ)	با	وهو يلي سفر المراثي، ويدخل في تصنيف أسفار الأنبياء.

الحكمة	حك	ويأتي بعد سفر نشيد الإنشاد في الترتيب ؛ حيث يعد السفر من الأسفار الشعرية.
يهوديت	يهو	ويأتي في الترتيب بعد سفر طوبيا (طوبيت) ، والسفر يصنف على أنه من الأسفار التاريخية.
المكابيين الأول	١مكا	ويرتب بعد سفر أستير ، والسفر يصنف على أنه من الأسفار التاريخية.
المكابيين الثاني	٢مكا	ويرتب بعد سفر المكابيين الثاني ، والسفر يصنف على أنه من الأسفار التاريخية.
تتمة سفر أستير		وهي الأعداد في الإصحاح العاشر من ٤ إلى ١٣ بالإضافة إلى خمسة إصحاحات أخرى كاملة
تتمة سفر دانيال		وهي عبارة عن ٦٧ عدداً تقع بعد العدد ٢٣ من الإصحاح الثالث ويطلق عليها «تسبيحة الفتية القديسين الثلاثة» ، كما تشمل التتمة على الإصحاح الثالث عشر ويحتوي قصة سوسنة العفيفة والإصحاح الرابع عشر ويحتوي على قصتي الصنم بال والتنين .

هذه الأسفار قبلها الكاثوليك وبعض طوائف الأرثوذكس ورفضها البروتستنت.

أما الترجمة السبعينية للعهد القديم فهي الترجمة اليونانية التي أجريت في القرن الثالث قبل الميلاد (٢٨٥-٢٤٧ ق.م.)؛ إذ يقال أن بطليموس أراد أن يضم إلى مكتبة الإسكندرية الكتب المقدسة لليهود، والبعض يرى أنه بسبب عدد اليهود الذين لا يعرفون إلا العبرية قام اثنان وسبعون من الأخبار بالترجمة. ويرمز لها بعددها اللاتيني LXX أي سبعون.

تعتبر الترجمة السبعينية للعهد القديم أهم أسباب انتشار العهد القديم عالمياً لأنه كان سابقاً كتاب محصور باليهود حتى وقت اتمام هذه الترجمة.

انقسم اليهود إلى قسمين، القسم الأول وهم اليهود العبرانيون الذين عاشوا في فلسطين، والقسم الآخر هو اليهود اليونانيين وهؤلاء عاشوا في الإسكندرية. وكان لكل

قسم منهم نسخته من التوراة: اذا لدينا نسختان من التوراة (النسخة العبرية) و(النسخة اليونانية).

ملوك وأنبياء العهد القديم

سنناقش بإيجاز في هذا الباب الأمور التالية:

١- أنبياء وملوك العهد القديم حتى آخر نبي قبل المسيح، وسيشمل ذلك دراسة مقارنة مع الأنبياء الوارد ذكرهم في القرآن الكريم.

٢- الاطلاع على جغرافية الأحداث، والتركيز على المواقع الأردنية الواردة في الكتاب المقدس.

مع التنويه بأنه يطلق على الشخصيات التي وردت في الكتاب المقدس اسم الشخصيات الكتابية نسبة للكتاب المقدس. وأن بين الشخصيات الواردة في الجدول شخصيات أخرى لكن سيكون التركيز على أهم الشخصيات وأهم الأحداث وأهم المواقع الأردنية فقط.

الشواهد الكتابية	الشخصية الكتابية	الأحداث الكتابية والتاريخية	ملاحظات
عصر البدايات/ عصر الخلق/ عصر آدم ونوح			
تك: ١-٥	آدم	يرتبط بحدثين: ١- الخلق ٢- السقوط ثم بداية فكرة العهد.	
تك ٦-١١	نوح	يرتبط بحدثين: ١- الطوفان ٢- بداية الأمم وظهور ٧٠ شعب (تك: ١٠)	

عصر الآباء		
ابراهيم ورد في تك: ١٢- ٢٥	يرتبط ابراهيم بحدثين: ١- الوعد (فيك تتبارك كافة شعوب الأرض تك: ١٢). ٢- العهد (تك ١٥) ووردت علامة العهد في (تك: ١٧).	نسل لوط من ابنتيه: ظهور مؤاب وهو أبو المؤابيين. وابن عمي وهو أبو بني عمون.
اسحق ورد في تك: ١٩	يرتبط لوط بحدثين: ١- سدوم وعمورة. ٢- ابنتي لوط.	ظهر مفهوم الأسباط.
اسحق ورد في تك: يعقوب ٢١-٢٧ (موته في تك: ٣٥). اسحق - اسماعيل (التوراة والقرآن).	يرتبط اسحق بحدثين: ١- الذبيحة. ٢- البركة والميراث الممنوحين ليعقوب بدل عيسو.	يوسف جاء مصر قبل غزو الهكسوس لمصر السفلى لذلك أطلق على حاكم مصر في عهد يوسف (تك: ٣٢)، ٢- النزول مع الأسباط إلى مصر (تك: ٤٦).
يوسف تك: ٢٥-٣٦ (موته ٤٩) يوسف تك: ٣٧- ٥٠.	يرتبط يوسف بحدثين: ١- حادثة البئر ٢- أكثر الرجال نفوذًا في مصر إلى جانب ملك مصر.	عهد موسى، فرعون.

مفهوم الأسباط:

جاءت تسمية أسباط إسرائيل الإثني عشر من أبناء إسرائيل الإثني عشر. واسم إسرائيل هو الاسم الذي أعطاه الله ليعقوب (تكوين ٣٢: ٢٨). وأبناءؤه الإثني عشر هم: رأوين، شمعون، لاوي، يهوذا، نفتالي، دان، جاد، أشير، يساكر، زبولون، يوسف، بنيامين (تكوين ٣٥: ٢٣-٢٦؛ خروج ١: ١-٤؛ أخبار الأيام الأول ٢: ١-٢) وانبه عزيزي القارئ للأسماء جيدًا نظرًا لأنها ستمر علينا لاحقًا.

الاحتلال الإسرائيلي القديم

مملكة إسرائيل هو اسم مملكة جاء ذكرها في الكتاب المقدس كمملكة لجميع أسباط بني إسرائيل الإثني عشرة، سماها باحثو الكتاب المقدس بمملكة إسرائيل الموحدة للتمييز عن المملكتين اللتين انفصلتا عنها لاحقاً، وهما مملكة إسرائيل ومملكة يهوذا. هذه المملكة الموحدة حكمها كل من شاول^(١)، وداود، وسليمان، وتوصف هذه المملكة في سفري صموئيل الأول والثاني كاتحاد لأسباط بني إسرائيل. ومن تحليل نصوص السفرين، يقدر عدد من دارسي العهد القديم تبعاً لما ورد فيه فترة وجود هذه المملكة الموحدة بحوالي ٨٠ - ١٠٠ عام، في حين يقدر عدد آخر عمر المملكة الموحدة بما يقارب ١٢٠ عاماً، أي منذ سنة ١٠٥٠ قبل الميلاد وحتى سنة ٩٣٠ قبل الميلاد تقريباً.

المملكة الموحدة لدى النقاد

يقول توماس طوبسون Thomas L. Thompson وهو كاتب وأستاذ في العقيدة، عن القرن العاشر قبل الميلاد: «إن التقاليد مثل تقاليد الكتاب المقدس، التي زودت المجتمع القديم بماضٍ مشترك، تختلف اختلافاً كبيراً عن التواريخ النقدية التي تلعب دوراً محورياً في الحياة الفكرية المعاصرة» و «لغة الكتاب المقدس ليست لغة تاريخية، بل هي لغة الأدب الرفيع، والقصص، والوعظ، والغناء. إنها أداة للفلسفة والتوجيه الأخلاقي». وهذا يمس بطبيعة الحال قضايا تتعلق بالتاريخ الكتابي، ونتائج علم الآثار والتاريخ تتعارض بوضوح مع التاريخ التقليدي الذي تم الحصول عليه من خلال القراءة الحرفية للكتاب المقدس. يُعبر تومسون (وهو من أتباع مدرسة كوبنهاغن

(١) ذكر في القرآن في سورة البقرة باسم طالوت، وهو من سبط بنيامين، اختاره النبي صموئيل بأمر من الله بعد أن طلب منه بنو إسرائيل ملكاً يقودهم في الحرب. وانتقدت بنو إسرائيل اختيار صموئيل لطالوت لأنه لم يكن ثرياً. أنب صموئيل بني إسرائيل، وقاد طالوت بني إسرائيل إلى الانتصار على جيش جالوت الذي قتل على يد داود، ولم يكن طالوت نبياً، وقد حكم من قرابة عام ١٠٢٠ إلى ١٠٠٠ ق.م

«البسيطة»^(١) عن هذا الأمر بصراحة تامة، إذ يكتب على سبيل المثال: «لا يوجد دليل على وجود مملكة موحدة، ولا دليل على وجود عاصمة في القدس، ولا أي قوة سياسية متماسكة وموحدة سيطرت على غرب فلسطين، ناهيك عن إمبراطورية بالحجم الذي تصفه الأساطير. ليس لدينا دليل على وجود ملوك مثل شاول أو داود أو سليمان؛ كما لا يوجد لدينا دليل على وجود أي معبد في القدس في هذه الفترة المبكرة. ما نعرفه عن إسرائيل ويهوذا في القرن العاشر لا يسمح لنا بتفسير هذا النقص في الأدلة على أنه فجوة في معرفتنا ومعلوماتنا عن الماضي، نتيجة للطبيعة العرضية لعلم الآثار. لا يوجد مجال ولا سياق، ولا أي قطعة أثرية أو أرشيف يشير إلى مثل هذه الحقائق التاريخية في القرن العاشر لفلسطين. لا يمكن للمرء أن يتحدث تاريخياً عن دولة بدون سكان. ولا يمكن للمرء أن يتحدث عن عاصمة بدون مدينة. القصص وحدها لا تكفي». ويشترك مع هذا العالم العديد من العلماء الذين يؤكدون أن لا دلائل لوجود المملكة الموحدة ولا لملوكها. ومع أن هذا الأمر يتعارض مع العهد القديم بشكل مباشر ومع الديانات الثلاث بشكل غير مباشر لكن لا بد أن ذكره هنا كمادة نقدية في دراستنا.

ويشير بعض العلماء أن معظم الذين كتبوا في موضوع المملكة الموحدة، من الباحثين التوراتيين، والغربيين، أشاروا إلى أن هذه المملكة، التي عادة ما تُربطُ، بنهاية الألف الثاني قبل الميلاد، كانت أعظم إمبراطوريات المنطقة؛ وأن حدودها امتدت لتُغطي كل بلاد الشام، ولم تقتصر على فلسطين، فحسب. وبالرغم من أن التوراة لا تتوقف عن مديح عصر داود، وسليمان، واعتباره العصر الذهبي لإسرائيل، والإشادة بما يُقال عن إنجازات عصرهما الثقافية، والعمرانية، فمن الطبيعي أن نتوقع، العثور

(١) هي مجموعة من العلماء المكرسين لدراسة اللغويات أو اللسانيات، أسسها لويس هيلمسليف (١٨٩٩-١٩٦٥) وفيجو برونдал (١٨٨٧-١٩٤٢). في منتصف القرن العشرين، كانت مدرسة كوبنهاجن واحدة من أهم مراكز اللغويات الهيكلية مع مدرسة جنيف ومدرسة حلقة براغ. في أواخر القرن العشرين وأوائل القرن الحادي والعشرين، تحولت مدرسة كوبنهاجن من نهج هيكلية بحث إلى علم اللغة إلى أسلوب النظريات الوظيفية لقواعد اللغة. (أنظر هاردر، بيتر (٢٠٠٦): "وظيفة اللغة - تجسيدها ووظيفة اللغة البسيطة").

على أثر واحد على الأقل، يعود إلى تلك المرحلة، عُمرانياً كان أو نقشياً؛ لكن الحقيقة، حتى هذه اللحظة، أن الآثاريين لم يتمكنوا من العثور، على أي دليل، يُشير لوجود المملكة الموحدة.

إن المصدر الوحيد، عن المملكة الموحدة هو التوراة. نعم فقط التوراة حتى هذه اللحظة؛ إذ لم يعثر المُنقبون على أي أثر حقيقي. فلا توجد مصادر تاريخية، تدعّم ما ورد في التوراة. وإذا كانت الدول المجاورة كمؤاب وعمون وأدوم قد قدّمت آثاراً متعددة للمرحلة نفسها، فإن الدولة المزعومة لم تقدم دليلاً أثرياً واحداً على وجودها.

ولا بد هنا من أن نذكر مجدداً عالم الآثار الإسرائيلي إسرائيل فنكلشتاين من جامعة تل أبيب، الذي شكك بوجود أي صلة لليهود بالقدس والذي أكّد أنه لا يوجد أساس، أو شاهد إثبات تاريخي، على وجود داود والذي سيأتي المسيح من صلبه وإعادة بناء الهيكل الثالث ليتم هذا الأمر حسب المزاعم اليهودية، مؤكّداً أن داود مجرد وهم وخيال ولم يكن له وجود حقيقي بناءً على المصادر الأثرية. كما يؤكّد فنكلشتاين، أن وجود باني الهيكل، وهو سليمان بن داود مشكوك فيه، أيضاً. بينما يقول توماس طُمنس Thomas L. Thompson في كتابه الماضي الخرافي التوراة والتاريخ بما معناه أنه جرى تقديم القرن العاشر ق.م.، بوصفه العصر الذهبي لإسرائيل، وعاصمتها في أورشليم. كانت تلك الحقبة مرتبطة بالمملكة الموحدة، التي تضم السلطة السياسية لشاول، وداود، وسليمان، وتسيطر على المنطقة من النيل إلى الفرات، إضافة إلى مفهومها، عن الهيكل الذي بناه سليمان. تلك الصور لا مكان لها في أوصاف الماضي التاريخي الحقيقي. إننا نعرفها فقط كقصّة وما نعرفه حول هذه القصص لا يُشجّعنا على معاملتها كما لو أنها تاريخية، أو أنه كان يُقصد منها أن تكون كذلك. ولا يتوافر دليل على وجود مملكة موحدة، ولا دليل على وجود عاصمة في أورشليم، أو وجود امبراطورية بالحجم الذي تصفه الحكايات الأسطورية.

إن الصورة التي يقدمها العهد القديم عن أورشليم مطلع العصر الحديدي الأول هي صورة لمدينة كبيرة جميلة، ذات تحصينات وقصور، ومعبد رائع الصنع. وفي المقابل، فإن مؤلفات صدرت حديثاً لعلماء تقدم أورشليم القرن العاشر قبل الميلاد كبلدة صغيرة. إن البقايا الأثرية التي اكتُشفت حتى الآن، تدل على أن أورشليم كانت خلال القرن العاشر والقرن التاسع قبل الميلاد بلدة متواضعة مساحتها لم تزيد عن ثلاثين أكراً أو مئة وثلاثين ألف متراً مربعاً أو مئة وثلاثين دونماً، ولم يسكن فيها أكثر من ألفي نسمة. ومن المستبعد أن هذه البلدة، كانت عاصمة لدولة كبرى كتلك الموصوفة في النص التوراتي.

وإذا قدمنا هذا النقد في وجود المملكة الموحدة فإننا نترك للقارئ الكريم تصديق الرواية الدينية التي تؤكد وجود أنبياء إسرائيل والرواية المقابلة التي تشكك بوجود بعضاً من هؤلاء الأنبياء.

نشأة الاحتلال اليهودي لفلسطين:

فلنأخذ بهذا الجدول:

الشواهد الكتابية	الشخصية الكتابية	الأحداث الكتابية والتاريخية	ملاحظات
كامل خر - تش: ٣٢ موت موسى تش ٣٤	موسى	يرتبط موسى بحدثين: ١- الخروج من مصر. ٢- الشريعة.	قبل موسى لم يكن هناك شريعة مكتوبة لليهود.
يش ١-١٢ يش ١٣-٢٤ (مرحلتين)	يشوع	يرتبط يشوع بحدثين: الدخول إلى أرض الميعاد وخوض حروب كثيرة. تقسيم الأرض على الأسباط.	

عصر القضاة

قصة ٣-١٦	عُثْثِيل	التقلب اليهودي بين التقريب من الله ثم الابتعاد.
١ صم ٧-١	صموئيل	
عصر الملوك (امتد من ١٠٥٠ ق.م - ٩٣١ ق.م)		
١ صم ٩-٣١	شاوُل	أول ملوك إسرائيل وحكم ٤٠ سنة من ١٠٥٠ ق.م - ١٠١٠ ق.م.
١ صم ١٦-٣١ ٢ صم كامل كملك. ١ مل ٢١ تسليم الحكم	داود	أهم حدث أنه عمل على توسيع المملكة لم يهزم في أي معركة. كاتب معظم المزامير. من سبطه يخرج المُخلص. حكم ٤٠ سنة من ١٠١٠ ق.م - ٩٧٠ ق.م.
١ مل ١-١١	سليمان	من أهم صفاته الحكمة. أعظم أعماله بناء الهيكل الأول. رجل سلام وفي عهده اسرائيل عاشت في فترة رخاء. حكم ٤٠ عام ٩٧٠ ق.م - ٩٣٠ ق.م.
إنقسام اليهود		

عصر الأنبياء (٩٣٠ ق.م - ٤٠٠ ق.م)

بعد سليمان النبي حدث انقسام بين رحبعام بن سليمان ويربعام خادم سليمان. فمن هما؟

والآن سأروي لكم قصة كمثل على استخدام الكتاب المقدس في السرد:

أظهر يربعام خادم سليمان ذكاء وفطنة، فعينه سليمان ناظرًا للعملة أي «وزير المالية» لغايات ترميم السور الذي تصدع عندما أخذ داود المدينة من اليوسيين^(١) واحتلها.

(١) قبيلة كنعانية سامية كانت تُعرف باسم «يوس»، يبدو أنهم من قاموا تأسيس مدينة القدس والذي على الأغلب كان بناءً بسيطاً يقال أن ملكهم «ملكي صادق»، ويقال أن اسمها القديم «شاليم»، وهو اسم لإله

وفي ذات يوم التقى أخيا - وكان نبياً في فترة الملك سليمان - يربعام وكان أخيا لابساً رداء جديداً فمزق رداءه إلى اثنتي عشرة قطعة وأعطى يربعام عشر قطع دلالة على أنه سيملك على عشرة أسباط وقد تنبأ على مملكة سليمان بالانقسام بسبب عبادة سليمان الوثنية (١ مل ١١: ٢٩-٣٩)، ولما عرف سليمان بالأمر أراد قتله، فهرب إلى مصر، وبقي هناك حتى مات سليمان (١ مل ١١: ٢٦-٤٠) وبعد موت سليمان أتى يربعام وجماعة من الأسباط الشمالية إلى رحبعام بن سليمان وطلبوا بالإصلاح. فأجابهم بجفاء، فعصى عشرة أسباط وخرجوا عن حكم سليمان، وجعلوا يربعام ملكاً عليهم، واتخذ من شكيم (نابلس) عاصمة له، وخشية أن يصعد الشعب إلى أورشليم للأعياد ويجدد ولاءه القديم لبيت داوود، نصب يربعام عجلين من ذهب، أحدهما في بيت أيل جنوباً والآخر في دان شمالاً، أي في طرفي مملكته، ونادى بوجوب عبادتهما (١ مل ١٢: ٢٦-٣٣)، وبعد أن ملك يربعام مرض ابنه فأرسل امرأته متخفية لتسأل أخيا فيخبرها بأمر الغلام. وفعلاً قامت امرأة يربعام وذهبت إلى أخيا متخفية، ولكنه عرفها وأخبرها بأن الغلام سيموت عقاباً لعبادة يربعام الوثنية (١ مل ١٤: ١-١٨).

طبعا هذه القصة تختصر فقرات واسعة من الكتاب المقدس في فقرة حين يرويها الدليل أمام الزوار فأنها لن تأخذ من أكثر من ٦٠-٩٠ ثانية، وهذا مهم لأن الزائر يريد معلومة قصيرة في مكان الحدث، لا معلومة طويلة مملة وأحاديث ومعلومات جانبية. وأتينا بذكر هذه القصة كنوع من الرواية السردية مع أنها ليست سردية أردنية إلا أننا ذكرناها لسببين:

الأول لأنها مثال على بناء سردي.

ثانياً أهمية هذه النقطة لتبيان علاقة شرقي الأردن بغربي الأردن والتي سنناقشها لاحقاً في هذا الكتاب.

السلام الكنعاني، ومنه اشتق لاحقاً اسم «أورشالم» بمعنى جبل السلام المصدر الوحيد لليوسيين هو الكتاب المقدس في أسفار يشوع وصموئيل، التي تشير إلى أنهم كانوا يسكنون المدينة قبل أن يستولي عليها الملك داود.

يعتبر هذا الانقسام ثاني أسوأ حدث في تاريخ اليهود بعد العبودية. حيث جرى بين المملكتين حروب طويلة وتحالفات مع الدول المجاورة ضد بعضهما، كما أنهما تحالفا في بعض الأحيان ضد الممالك المجاورة، من هذه الحروب نذكر أنه انضم يهوشافاط ملك يهوذا إلى يهورام ملك إسرائيل في حربه ضد مملكة مؤاب التي كانت تدفع الجزية لإسرائيل نظراً لضعفها في تلك الفترة، وكانت هذه الحرب ناجحة، وأخضع الموآبيون من جديد^(١). وخلف يهوشافاط ابنه يهورام الذي شكل تحالفاً مع مملكة إسرائيل بزواجه من عثليا ابنة أخاب، وعلى الرغم من هذا التحالف فقد كان حكم يهورام غير مستقر، فثارت عليه مملكة أدوم واضطر إلى الاعتراف باستقلالهم.

وكما ذكرنا سابقاً حول انقسام المملكة الموحدة حيث تسمى الفترة التي تلي سليمان بعصر الأنبياء وفيها حدث انقسام المملكة إلى مملكتين المملكة الجنوبية وقادها رحبعام بن سليمان وكان معه سبطين هما يهوذا وبنيامين، ويربعام خادم سليمان والذي حكم مملكة الشمال ومعه سبط أفرايم و٩ أسباط أخرى. سميت الجنوبية مملكة يهوذا، وكانت تضم الأسباط يهوذا وبنيامين، بينما توحدت الأسباط الأخرى لتكوين مملكة إسرائيل الشمالية مع سبط أفرايم (مملكة السامرة أو مملكة بيت عُمرى).

قام الآشوريون بتدمير إسرائيل في الشمال، وتم قتل أغلبية الإسرائيليين أو سبيهم، ومن هرب منهم يعتقد أنه إندمج مع مملكة يهوذا، أو هرب باتجاه غير معروف، ثم سكن مكانهم شعوب أخرى «وَأَتَى مَلِكُ أَشُورَ بِقَوْمٍ مِنْ بَابِلَ وَكُوثَ وَعَوَا وَحَمَاةَ وَسَفَرَوَايِمَ، وَأَسْكَنَهُمْ فِي مَدْنِ السَّامِرَةِ عِوَضًا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَامْتَلَكُوا السَّامِرَةَ وَسَكَنُوا فِي مَدْنِهَا». (٢ مل ١٧ : ٢٤).

(١) تنقلب الآية ويتنصر الموآبيون على اليهود في فترة الملك ميشع الموآبي.

الفصل الثالث

الممالك الأردنية التاريخية وعلاقاتها مع جيرانها

أهمية الأردن في المنطقة والعالم:-

كان الأردن مأهولا بالسكان بشكل متواصل، وتعاقبت على أرضه حضارات متعددة، وقد استقرت على أرضه عدة ممالك وأمم وشعوب وقبائل، ساعد على ذلك مناخه المتنوع حتى فترة قريبة وموقعه الذي يربط قارات العالم القديم. عاش الإنسان الأردني على هذه الأرض منذ العصر الحجري القديم (٥٠٠, ٠٠٠-١٤٠٠٠) قبل الميلاد والعصر الحجري الأوسط (١٤٠٠٠-٨٠٠٠) قبل الميلاد حيث عثر على فؤوس يدوية من الصوان والبازلت. كما تم في شمال شرق الأردن العثور على بقايا متفحمة لخبز تم إعداده قبل ١٤٥٠٠ عام، وهو الأقدم في العالم. وتؤكد الأبحاث بأن أرض الأردن كانت تعج بالنباتات الطبيعية لأن جو الأردن في حينه كان ماطرًا بشكل كبير، وتشير الآثار المكتشفة من رسومات على جدران وعلى صخور بأنه في الأردن القديم، تواجدت العديد من الحيوانات المفترسة، ومنها ما انقرض أو أصبح نادرًا جدًا. من بين الحيوانات المفترسة المعروفة التي كانت موجودة في الأردن قديمًا: الأسد العربي والذي انقرض، والنمر العربي والذي انقرض أيضًا، والذئب، والضبع، والوشقس لوجود آكلات الأعشاب مثل الغزلان، واثبتت بعض الاكتشافات الأثرية أن الإنسان الأردني عاش على صيد الحيوانات البرية وجمع النباتات البرية، حتى فترة العصر الحجري الحديث المبكر (٨٠٠٠-٦٠٠٠) قبل الميلاد والعصر الحجري الحديث اللاحق (٦٠٠٠-٤٥٠٠) قبل الميلاد حيث شهدت الأردن انتظام الزراعة وتدجين بعض الحيوانات كالخراف والماعز والكلاب، واكتشاف الفخار وطلايه بالألوان المتعددة، وصنع تماثيل عين غزال هي مجموعة من التماثيل المصنوعة من الجص تعود للعصر الحجري الحديث قبل الفخاري، وصنع أيضًا الجرار المختلفة الاستخدامات، وتماثيل الحيوانات السيراميكية المصنوعة من الجص الصغيرة في فترة العصر الحجري النحاسي (٤٥٠٠-

٣٣٠٠) قبل الميلاد، كذلك صنع الأراميل والنصال والمناجل والفؤوس النحاسية.

وإذ كانت تلك الفترة شبه مجهولة ولا يمكن الكتابة عنها بشيء من التفصيل لأنها تعتمد على ما يُكتشف من آثار، إلا أن ما بعدها يمكن الكتابة حولها وإن كانت بالشيء اليسير. لقد كانت عمليات التوثيق بعد اختراع الكتابة في ٣٥٠٠ قبل الميلاد أمرًا ليس هينًا وغالبًا أخذت مرحلة طويلة جدًا. لذا فنحن نعتمد في كل الأحوال على ما كتبه البشر بعد اختراع الكتابة، بالتالي يبقى البشر قبل اختراع الكتابة بالنسبة لنا أشخاص مجهولين! لا بل إن الكتابة حول البشر بعد اختراع الكتابة وحتى مراحل متقدمة من عمر البشرية أمر ليس سهلاً، فالتوثيق نفسه لم يكن علميًا، واعتمد على حدس الكاتب وفكره وآراءه وشخصيته، وغالبًا لم يكن بالأمانة التي نشدها حاليًا، ثم أن الكثير من الكتابات الأصلية لم تصل إلينا، بل وصل إلينا نسخ منها أعاد نسخها مجموعة من النساخ في الأغلب مجهولين، وهؤلاء وقعوا في أخطاء مقصودة أو غير مقصودة في عملية النسخ، وأدخلوا على النصوص الأصلية الكثير من الإضافات، غالبًا بسبب وجود هذه الإضافات على هامش النص المكتوب فلم يكن أمر تمييزها سهلاً عن النص الموجود في المتن، أو لأن الناسخ أراد شرح تفصيلاً ما، فقام بإدخال شرحه في المتن. وهذا الأمر كان عاديًا وطبيعيًا حتى فترة قريبة جدًا، لكنه في عالم اليوم يُعد تدخلا سافرًا وغير مقبول، ويُشكك بنزاهة الناسخ أو الناقل أو المترجم أو الكاتب. وإذا كان أمر الكتابة مكلف ومتعب وهرق وصعب ويأخذ الكثير من الجهد والمال والوقت فإن اختراع المطبعة في القرن الخامس عشر الميلادي ساهم بشكل كبير في نقل المعرفة عبر طباعة أرخص وأفضل وأسرع وأقل تكلفة للكتاب مقارنة بما سبقه.

هذا يوصلنا إلى أن الكتاب في قديم الزمان كانوا يهتمون بالملوك وسادة القوم، فالكتابة عنهم كانت الشغل الشاغل لمن يجيد الكتابة، فالكتابة ثمينة ومكلفة ولا يتقنها إلا قلة من الناس، فكيف يكتب هؤلاء عن عامة القوم؟ لذا كانت الكتابة عن الملوك والسادة والقادة، وعن إنجازاتهم وحروبهم وانتصاراتهم وتخليد ذكراهم. حتى الفنون القديمة كانت تقتصر على صناعة مميزة لتمثيل الآلهة والملوك وتسجيل إنجازاتهم، بينما اقتصرَت الصناعة

العامة على الرخيص منها للاستعمال اليومي، لذا وصلنا أسماء ملوك قبل أن تصلنا أخبار الأمم والشعوب.

ممالك أردنية عبر التاريخ:

وصل إلينا عبر عدة طرق أسماء ملوك أردنيين قبل الميلاد، من ممالك متعددة. وقد يكون من الصعب تأكيد أسماء وفترات بعض من هؤلاء، أو أن المصادر التي تتحدث عنهم قليلة جدًا، ناهيك أن بعضها ورد في السجلات الأثرية (نقوش في الأغلب) ولم يرد في التاريخ، أو ورد في مصادر تاريخية ولم يجد أحد مادة أثرية ملموسة تؤكد النص التاريخي، ورغم قلة «المصادر»، إلا أننا سنورد ما وصلنا عنهم سواء المؤكد أو ما تلك التي تقع ضمن «الإفترض والأسطورة»، مع الإشارة أن الأسماء أحياناً قد تختلف من مصدرٍ لآخر نتيجة الترجمة.

نذكر من هذه الممالك والملوك ما يلي:

مملكة قيدار:

ما نعلمه عن هذه المملكة قليل جدًا، ولكن يبدو أن فترة وجودهم في وادي السرحان كانت تقارب الفترة التي وجد فيها الآراميون. تعد عرب قيدار من القبائل العربية الشمالية. مملكتهم لم تكن مملكة بالمعنى الفعلي بل اتحادًا قبليًا عربيًا لا مركزيًا في حكمه وتمركز في وادي السرحان. توسعت هذه المملكة لتغطي مساحة كبيرة من شرق الأردن إلى حدود بابل ومن أواسط سورية حتى شمال الجزيرة العربية. ظهرت هذه المملكة في النقوش الآشورية وخصوصًا اسم زبيبة ملكة قيدار والعرب. وأغلب الظن أن القيداريين كانوا على علاقات سيئة مع الآشوريين، وجيدة مع الآراميين والكنعانيين. في حوالي القرن الثاني قبل الميلاد، تضاعفت قوة قيدار، وأصبحت مناطقهم التي كانت في شرق الأردن تحت نفوذ قبائل عربية أخرى، خصوصًا الأنباط الذين استولوا على عاصمة قيدار دومة الجندل في القرن الأول قبل الميلاد.

ذكرت قيدار الكتاب المقدس في عدة مواقع منها:

إشعياء ٢١: ١٧ وَتَكُونُ بَقِيَّةُ الرُّمَّةِ، الْأَبْطَالُ مِنْ أَبْنَاءِ قِيدَارَ، قَلَّةٌ. لِأَنَّ الرَّبَّ إِلَهَ إِسْرَائِيلَ قَدْ تَكَلَّمَ.

إشعياء ٢١ «١١. وَخِي مِنْ جِهَةِ دُومَةِ: صَرَخَ إِلَيَّ صَارِخٌ مِنْ سَعِيرَ: «يَا حَارِسُ مَا مِنَ اللَّيْلِ؟ يَا حَارِسُ مَا مِنَ اللَّيْلِ؟» ١٢. قَالَ الْحَارِسُ: «أَتَى صَبَاحٌ وَأَيْضًا لَيْلٌ. إِنْ كُنْتُمْ تَطْلُبُونَ فَاطْلُبُوا. ارْجِعُوا تَعَالُوا» ١٣. وَخِي مِنْ جِهَةِ بِلَادِ الْعَرَبِ: فِي الْوَعْرِ فِي بِلَادِ الْعَرَبِ تَبَيَّنَ يَا قَوَافِلَ الدَّانِيَيْنِ. ١٤. هَاتُوا مَاءً لِمَلَأَقَةِ الْعَطْشَانِ يَا سُكَّانَ أَرْضِ تَيْمَاءَ. وَافُوا الْهَارِبَ بِخُبْرِهِ. ١٥. فَإِنَّهُمْ مِنْ أَمَامِ السُّيُوفِ قَدْ هَرَبُوا. مِنْ أَمَامِ السَّيْفِ الْمَسْلُوقِ وَمِنْ أَمَامِ الْقَوْسِ الْمَشْدُودَةِ وَمِنْ أَمَامِ شِدَّةِ الْحَرْبِ. ١٦. فَإِنَّهُ هَكَذَا قَالَ لِي السَّيِّدُ: «فِي مُدَّةِ سَنَةٍ كَسَنَةِ الْأَجِيرِ يَفْنَى كُلُّ مَجْدِ قِيدَارَ ١٧. وَبَقِيَّةُ عَدَدِ قَسِيٍّ أَبْطَالِ بَنِي قِيدَارَ تَقِلُّ لِأَنَّ الرَّبَّ إِلَهَ إِسْرَائِيلَ قَدْ تَكَلَّمَ».

سفر حزقيال - الأصحاح ٢٧ «٢١. أَلْعَرَبُ وَكُلُّ رُؤَسَاءِ قِيدَارَ هُمْ تُجَارُ يَدِكَ بِالْخِرْفَانِ وَالْكَبَاشِ وَالْأَعْتَدَةِ. فِي هَذِهِ كَانُوا تُجَارَكَ.»

سفر إشعياء - الأصحاح ٦٠ «٧. كُلُّ غَنَمِ قِيدَارَ تَجْتَمِعُ إِلَيْكَ. كِبَاشُ نَبَايُوتَ تَخْدُمُكَ. تَصْعَدُ مَقْبُولَةٌ عَلَى مَذْبَحِي وَأَزْيُنُ بَيْتِ جَمَالِي.»

وهذا يؤكد أن قيدار كانت مجتمعاً قُبَلِيّاً في معظمه، وإن لا ننفي وجود مناطق حضرية، وأنهم كانوا محاربين أشداء.

الأموريون:

ظهرت في الأردن في نهاية الألف الثالث قبل الميلاد تقريباً الحضارة الأمورية^(١)، وتشير مصادر أنهم بدو رُحَّل جاؤوا على شكل موجات واستقروا في شمال الأردن، واتخذوا من حِمْبَان «حشبون» عاصمةً لهم، وأنهم كانوا جيراناً للمملكة الموآبية، وخاضوا معها حروب وصراعات، كما تُشير المصادر على أن قبائل منهم انتشرت في العراق وسورية وفلسطين.

(١) الأموريين أو العموريين.

أما القبائل التي انتشرت في الأردن فقد نشأت لهم هوية محلية مميزة جعلتهم جزءاً لا يتجزأ من التركيبة السكانية والثقافية لمنطقة الأردن، وأيضاً نشأت ممالك أمورية في فلسطين كانت على صلة ما مع جيرانها في الأردن. وقد استمر وجودهم في هذه المنطقة مدة لا بأس بها إلى أن انتهى وجودهم بفعل الصراعات والحروب مع الاحتلال اليهودي لمنطقة فلسطين، وأحداثٍ أخرى. وقد وردت تفاصيل ذلك في العديد من السجلات التاريخية في النصوص السومرية - الآشورية. وقد ورد ذكر الأموريين تحت اسم «مارتو»، وهو مصطلح استخدمه سكان بلاد الرافدين للإشارة إلى هذه القبائل البدوية القادمة من الغرب^(١) واستقرارهم في المناطق الواقعة غرب بلاد الرافدين، وتحديدًا في الأراضي الأردنية التي عُرفت تاريخياً بالديار الثمودية^(٢).

السؤال: هل كان الأموريون كنعانيين؟

ينتمي الكنعانيون إلى عائلة الشعوب السامية، وبدأ ظهور الكنعانيين في بداية عصور ما قبل التاريخ، في الفترة التي تُعرف باسم العصر الحجري النحاسي المُمتدّة من عام ٤٠٠٠-٣٠٠٠ ق.م، وقد استقر الكنعانيون في الأردن وفلسطين، حتى أنها عرفت باسم أرض كنعان أو بلاد كنعان في الفترة من عام ٣٠٠٠-١٢٠٠ ق.م، التي بدأت بهجرة الكنعانيين إلى بلاد الشام وبشكل خاص الجهة الشرقيّة من البحر الأبيض المتوسط؛ وسُمّي الكنعانيون بأسماء أخرى حسب مناطق سكنهم وتصنيفهم اللغوي، أشهرها الفينيقيون الذين سكنوا على السواحل الشرقية للبحر الأبيض المتوسط، والأموريون الذين سكنوا في الأردن وسوريا وفلسطين.

ويقول الدكتور حلمي محروس كنعان في كتابه «الشرق العربي القديم وحضاراته» أن

(١) الغرب المقصود به هنا هو ما جاء غرب نهر الفرات ويشمل أيضاً الجزيرة العربية حسب المفهوم القديم.

(٢) كانت الأردن مكاناً للقبائل الثمودية المتنقلة والمستقرة، ويقال أنها سكنت وتنقلت في البلاد الأردنية التي تمتد من شمال جزيرة العرب وحتى جنوب بلاد الشام، حيث كان مستقر العرب النازحين من اليمن عندما تصيبهم المصائب ومنها انفجار سد مأرب ثلاث مرات، أو عندما أصاب الجفاف الشديد والتصحّر أراضي شبه الجزيرة العربية. وقد ترك هؤلاء نقوشاً أرخت لهم في الفترة ما بين ١٤٠٠-٨٠٠ ق.م.

الكنعانيين وفدوا مع الاموريين في هجرة واحدة من شبه الجزيرة العربية في حوالي منتصف
الالف الثالث قبل الميلاد، وأن المجموعتين الامورية والكنعانية تنتميان إلى أصل واحد
وهم متشابهون إلى حد بعيد. وذكر المؤرخ أبو جرير الطبري (المتوفى عام ٣١٠هـ/ ٩٢٢م)
أن «الكنعانيين هي من العرب البائدة، وأنهم يرجعون بأنسابهم إلى العمالقة». وقال ابن
خلدون عن الكنعانيين أخذًا عن الطبري: «...وأما الكنعانيون هم من العمالقة، كانوا قد
انتشروا ببلاد الشام وملكوها». وقال أيضاً: «وكانت طسّم والعماليق وأميم وجاسم يتكلمون بالعربية»^(١)

وعليه فقد نجد اسم الكنعانيين واسم الاموريين يذكران معاً في بعض المصادر، ومنها
الكتاب المقدس كما ورد في التثنية ٢٠: ١٧ «الْحِثِّيَّيْنَ وَالْأَمُورِيِّيَّيْنَ وَالْكَنْعَانِيِّيَّيْنَ وَالْفِرِزِّيَّيْنَ
وَالْحَوِثِّيَّيْنَ وَالْيَبُوسِيِّيَّيْنَ»، وقد يذكر أحدهما في إشارة إلى الآخر في مصادر أخرى.

أول ذكر للأموريين في التوراة جاء في سفر التكوين الاصحاح السابع كالتالي:

١ وَحَدَّثَ فِي أَيَّامِ أَمْرَافَل مَلِكِ شِنْعَارَ، وَأَزْيُوكَ مَلِكِ الْأَسَارَ، وَكَدْرَلَعُومَرَ مَلِكِ عِيْلَامَ،
وَتَدْعَالَ مَلِكِ جُوبِيمَ، ٢ أَنَّ هَؤُلَاءِ صَنَعُوا حَرْبًا مَعَ بَارَعِ مَلِكِ سَدُومَ، وَبِرِشَاعِ مَلِكِ عَمُورَةَ،
وَشِنَابَ مَلِكِ أَدَمَةَ، وَشَمِئِيرَ مَلِكِ صَبُوبِيمَ، وَمَلِكِ بَالَعِ الَّتِي هِيَ صُوغَرُ. ٣ جَمِيعُ هَؤُلَاءِ
اجْتَمَعُوا مُتَعَاهِدِينَ إِلَى عُمُقِ السَّدِيمِ الَّذِي هُوَ بَحْرُ الْمِلْحِ. ٤ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً اسْتَعْبَدُوا
لِكَدْرَلَعُومَرَ، وَالسَّنَةُ الثَّالِثَةُ عَشْرَةَ عَصَوْا عَلَيْهِ. ٥ وَفِي السَّنَةِ الرَّابِعَةِ عَشْرَةَ أَتَى كَدْرَلَعُومَرُ
وَالْمُلُوكُ الَّذِينَ مَعَهُ وَضَرَبُوا الرِّفَائِيِّيْنَ فِي عَشْتَارُوثَ قَرْنَائِمَ، وَالزُّوزِيِّيْنَ فِي هَامَ، وَالْإِيمِيِّيْنَ
فِي شَوَى قَرْنَائِمَ، ٦ وَالْحَوِثِيِّيْنَ فِي جَبْلِهِمْ سَعِيرَ إِلَى بَطْمَةَ فَارَانَ الَّتِي عِنْدَ الْبَرِّيَّةِ. ٧ ثُمَّ
رَجَعُوا وَجَاءُوا إِلَى عَيْنِ مِشْفَاطِ الَّتِي هِيَ قَادِشُ. وَضَرَبُوا كُلَّ بِلَادِ الْعَمَالِقَةِ، وَأَيْضًا الْأُمُورِيِّيْنَ
السَّاكِنِينَ فِي حَصُونِ تَامَارَ^(٢).

أما الاموريون فقد كانوا يعيشون في فلسطين قبل أن يصلها النبي إبراهيم، فقد دخلوا في

(١) تاريخ الطبري.

(٢) حصون تامار يقال أنها تقع إلى الجنوب الغربي من البحر الميت على الطريق من الخليل إلى إيلات.

صراع على ما ورد في التوراة مع النبي يعقوب الذي حمل لقب إسرائيل^(١)، والذي منحها لابنه يوسف كما ورد في التكوين ٤٨: ٢١ وقال إسرائيل ليوسف ها أنا أموت؛ ولكن الله سيكون معكم ويردكم إلى أرض آبائكم ٢٢ وأنا قد وهبت لك سهماً واحداً فوق إخوتك أخذته من يد الأموريين بسيفي وقوسي». وحين جرى توزيع الأراضي على القبائل في عصر يشوع، انتزع أراضي الأموريين بالقوة وقدمها هبةً لسبط إسرائيل صغير هو سبط يوسف.

وتقول التوراة أيضاً في سفر التثنية ٢: ١٩ فَمَتَى قَرُبْتَ إِلَى تَجَاهِ بَنِي عَمُونَ، لَا تُعَادِهِمْ وَلَا تَهْجُمُوا عَلَيْهِمْ، لِأَنِّي لَا أُعْطِيكَ مِنْ أَرْضِ بَنِي عَمُونَ مِيراثاً، لِأَنِّي لِبَنِي لُوطٍ قَدْ أَعْطَيْتُهَا مِيراثاً. ٢٠ هِيَ أَيْضاً تُحْسَبُ أَرْضَ رَفَائِيَّينَ. سَكَنَ الرَفَائِيُّونَ فِيهَا قَبْلاً، لَكِنَّ الْعَمُونِيِّينَ يَدْعُونَهُمْ زَمْزَمِيِّينَ. ٢١ شَعْبٌ كَبِيرٌ وَكَثِيرٌ وَطَوِيلٌ كَالْعَنَاقِيِّينَ، أَبَادَهُمُ الرَّبُّ مِنْ قُدَّامِهِمْ، فَطَرَدُوهُمْ وَسَكَنُوا مَكَانَهُمْ.

وتصف التوراة الأموريين كالتالي: «إِنَّ عُوجَ مَلِكِ بَاشَانَ وَخَدَهُ بَقِيَ مِنْ بَقِيَّةِ الرَفَائِيَّينَ. هُوَذَا سَرِيرُهُ سَرِيرٌ مِنْ حَدِيدٍ. أَلَيْسَ هُوَ فِي رَبَّةِ بَنِي عَمُونَ؟ طُولُهُ تِسْعُ أَذْرُعٍ، وَعَرْضُهُ أَرْبَعُ أَذْرُعٍ بِذِرَاعِ رَجُلٍ». (تث ٣: ١١) والرفائيون شعب كنعاني ذكر بالعهد القديم، سكنوا الأردن وفلسطين، أما باشان فهي في أرض كنعان وتقع جنوب سورية وشرقي الأردن بين جبلي حرمون (جبل الشيخ) وجلعاد، ويبدو أن عاصمتها انتقلت بين عمون وحشبون.

من ملوكها المعروفين عوج وسيحون، أما الملك عوج فيقال أن اسمه عوج بن عنق أو عوج بن عوق وفقاً للتوراة، وهو الملك الأموري الذي قتل مع جيشه من قبل موسى ورجاله في معركة درعا. وفي التراث اليهودي يذكر بأن عوج كان واحداً من العمالقة الذين نجوا من الفيضان، وأما في التراث الإسلامي فإنه أيضاً نجا من الطوفان فيقال: «وما نجا من الكفار من الغرق غير عوج بن عنق كان الماء إلى حجزته، وكان السبب في نجاته على ما ذكر أن نوحاً عليه السلام احتاج إلى خشب ساج للسفينة فلم يمكنه نقلها، فحمل عوج تلك الخشبة إليه

(١) أنظر المقال حول تسمية إسرائيل آخر الكتاب.

من الشام. فشكر الله تعالى ذلك له ونجاه من الغرق»^(١)

ويرد عنهم معلومات أخرى في التوراة في عدة مواضع منها: «لأنَّ حَشْبُونَ كَانَتْ مَدِينَةً سِيحُونَ مَلِكِ الْأُمُورِيِّينَ، وَكَانَ قَدْ حَارَبَ مَلِكُ مُوَابَ الْأَوَّلَ وَأَخَذَ كُلَّ أَرْضِهِ مِنْ يَدِهِ حَتَّى أَرْنُونَ. لِذَلِكَ يَقُولُ أَصْحَابُ الْأَمْثَالِ: «إِيتُوا إِلَى حَشْبُونَ فَتُبْنِي، وَتُصْلَحَ مَدِينَةُ سِيحُونَ. لِأَنَّ نَارًا خَرَجَتْ مِنْ حَشْبُونَ، لَهَبًا مِنْ قَرْيَةِ سِيحُونَ. أَكَلَتْ عَارَ مُوَابَ. أَهْلُ مُرْتَفَعَاتِ أَرْنُونَ. وَبَلَّ لَكَ يَا مُوَابُ. هَلَكْتَ يَا أُمَّةَ كَمُوشَ. قَدْ صَيَّرَ بَنِيهِ هَارِبِينَ وَبَنَاتِهِ فِي السَّبْيِ لِمَلِكِ الْأُمُورِيِّينَ سِيحُونَ. لَكِنْ قَدْ رَمَيْنَاهُمْ. هَلَكْتَ حَشْبُونَ إِلَى دِيبُونَ. وَأَخْرَبْنَا إِلَى نُفُوحِ اللَّيْلِ إِلَى مِيدَبَا.» (عد ٢٦: ٣٠-٣١).

١ ثُمَّ تَحَوَّلْنَا وَصَعِدْنَا فِي طَرِيقِ بَاشَانَ، فَخَرَجَ عُوجُ مَلِكِ بَاشَانَ لِلْقَائِنَا هُوَ وَجَمِيعُ قَوْمِهِ لِلْحَرْبِ فِي إِذْرَعِي. ٢ فَقَالَ لِي الرَّبُّ: لَا تَخَفْ مِنْهُ، لِأَنِّي قَدْ دَفَعْتُهُ إِلَى يَدِكَ وَجَمِيعُ قَوْمِهِ وَأَرْضِهِ، فَتَفَعَّلْ بِهِ كَمَا فَعَلْتَ بِسِيحُونَ مَلِكِ الْأُمُورِيِّينَ الَّذِي كَانَ سَاكِنًا فِي حَشْبُونَ. ٣ فَدَفَعَ الرَّبُّ إِلَيْنَا إِلَى أَيْدِينَا عُوجَ أَيْضًا مَلِكِ بَاشَانَ وَجَمِيعُ قَوْمِهِ، فَضَرْبْنَاهُ حَتَّى لَمْ يَبْقَ لَهُ شَارِدٌ. ٤ وَأَخَذْنَا كُلَّ مُدْنِهِ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ. لَمْ تَكُنْ قَرْيَةٌ لَمْ نَأْخُذْهَا مِنْهُمْ. سِتُونَ مَدِينَةً، كُلُّ كُورَةٍ أَرْجُوبٍ مَمْلُوكَةٍ عُوجَ فِي بَاشَانَ. ٥ كُلُّ هَذِهِ كَانَتْ مُدْنًا مُحَصَّنَةً بِأَسْوَارٍ شَامِخَةٍ، وَأَبْوَابٍ وَمَزَالِيجَ. سِوَى فُرَى الصَّخْرَاءِ الْكَثِيرَةِ جَدًّا. ٦ فَحَرَمْنَاهَا كَمَا فَعَلْنَا بِسِيحُونَ مَلِكِ حَشْبُونَ، مُحَرِّمِينَ كُلَّ مَدِينَةٍ: الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْأَطْفَالَ. ٧ لَكِنَّ كُلَّ الْبَهَائِمِ وَغَنِيمَةِ الْمُدُنِ نَهَبْنَاهَا لَأَنْفُسِنَا. ٨ وَأَخَذْنَا فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ مِنْ يَدِ مَلِكِي الْأُمُورِيِّينَ الْأَرْضَ الَّتِي فِي عِبْرِ الْأُرْدُنِّ، مِنْ وَادِي أَرْنُونَ إِلَى جَبَلِ حَزْمُونَ» (ث ٣).

«لأنَّنا قَدْ سَمِعْنَا كَيْفَ يَسَّسَ الرَّبُّ مِيَاهَ بَحْرِ سُوفَ قَدَّامَكُمْ عِنْدَ خُرُوجِكُمْ مِنْ مِصْرَ، وَمَا عَمِلْتُمُوهُ بِمَلِكِي الْأُمُورِيِّينَ الَّذِينَ فِي عِبْرِ الْأُرْدُنِّ: سِيحُونَ وَعُوجَ، الَّذِينَ حَرَّمْتُمُوهُمَا.» (يش ١٠: ٢).

«فَامْتَلَكُوا كُلَّ تَخَمِ الْأُمُورِيِّينَ مِنْ أَرْنُونَ إِلَى الْيَبُوقِ وَمِنْ الْقَفْرِ إِلَى الْأُرْدُنِّ.» (قض ١١:

(١) الكشف والبيان عن تفسير القرآن.

تجدر الإشارة إلى أن الأموريين كانوا مرتبطين بمنطقة القدس، وربما كان اليوسيون فرعاً منهم فقيّل: وَقُلْ: هَكَذَا قَالَ السَّيِّدُ الرَّبُّ لِأُورُشَلِيمَ: مَخْرُجُكَ وَمَوْلِدُكَ مِنْ أَرْضِ كَنْعَانَ. أَبُوكَ أُمُورِيٌّ وَأُمُّكَ حَثِّيَّةُ (حزقيال ١٦: ٣). وتُسمى المنحدرات الجنوبية لجبال الخليل (يهودا) بجبل الأموريين (تثنية ١: ٧، ١٩، ٢٠).

ويشير الكتاب المقدس في سفر العدد ٢١ إلى أن الأرض التي حاول موسى وشعبه اجتيازها كانت أمورية فيقول: ٢١ وَأَرْسَلَ إِسْرَائِيلُ رُسُلًا إِلَى سِيحُونَ مَلِكِ الْأَمُورِيِّينَ قَائِلًا: ٢٢ «دَعْنِي أَمُرَّ فِي أَرْضِكَ. لَا نَمِيلُ إِلَى حَقْلٍ وَلَا إِلَى كَرْمٍ وَلَا نَشْرَبُ مَاءً بِئْرٍ. فِي طَرِيقِ الْمَلِكِ نَمْشِي حَتَّى نَتَجَاوَزَ تُخُومَكَ». ٢٣ فَلَمْ يَسْمَحْ سِيحُونُ لِإِسْرَائِيلَ بِالْمُرُورِ فِي تُخُومِهِ، بَلْ جَمَعَ سِيحُونُ جَمِيعَ قَوْمِهِ وَخَرَجَ لِلِقَاءِ إِسْرَائِيلَ إِلَى الْبَرِّيَّةِ، فَاتَى إِلَى يَاهِصَ وَحَارَبَ إِسْرَائِيلَ».

نلاحظ أنه قال: دعني أمر في أرضك... وقال أيضًا تخومك!

مملكة أدوم:

يقدم الكتاب المقدس رؤيته حول مملكة أدوم على أنهم من نسل عيسو الابن الأكبر لإسحق وسمي أدوم لأنه ولد مغطى باللون الأحمر، وهو من باع بكريته (حق الابن الأكبر) إلى شقيقه يعقوب مقابل حساء لحم أحمر. ١ وَهَذِهِ مَوَالِيدُ عَيْسُو، الَّذِي هُوَ أَدُومُ (سفر التكوين ٣٦) وكان بني أدوم على الأغلب يحملون عداوة تجاه اليهود يفسرها البعض على أنها ترجع إلى أيام يعقوب وعيسو حيث اغتصب الأول البكرية منه (تكوين ٢٧). وتظهر أدوم في السجلات التاريخية المكتوبة المتعلقة بأواخر العصر البرونزي والعصر الحديدي في المشرق، تشمل هذه السجلات المكتوبة كل من التناخ وسجلات فرعونية وسجلات من بلاد الرافدين، حيث ذكرت في قائمة للفرعون المصري سيتي الأول (ماعت رع) نحو عام ١٢١٥ قبل الميلاد بالإضافة إلى سجل إحدى الحملات العسكرية لرمسيس الثالث

(الذي حكم بين عامي ١١٨٦ و ١١٥٥ قبل الميلاد)، بينما يقدم بعض المؤرخين رأياً مغايراً للأدوميين حيث يرونهم على أنهم شعباً سامياً وصل إلى المنطقة غالباً نحو القرن الرابع عشر قبل الميلاد وانتهت هذه المملكة غالباً في القرن السادس قبل الميلاد، ومن تبقى من الأدوميين هاجر نحو جنوب فلسطين على ما يظن. لكن وصل من أين؟ لا أحد يجيب، لا علم الآثار ولا علم التاريخ، وحتى إن قدم بعض العلماء رأياً أنهم من الجزيرة العربية أو من سيناء فإن ذلك اعتقاد قائم على فرضية وليس مكتشفات أثرية. بعد الغزو البابلي على مملكة يهوذا ٥٨٦ ق.م استوطن الإدوميون في جنوب الخليل وانتهت مملكتهم فعلياً في القرن الثاني ق.م عندما أخذ الأنباط أراضيهم.

ويخبرنا الكتاب المقدس أن هذه الأرض كانت أدومية، وأن شعب موسى طلب الإذن بالمرور عبر أراضي أدوم فيقول في سفر العدد ٢٠: ١٤ وَأَرْسَلَ مُوسَى رُسُلًا مِنْ قَادَشَ إِلَى مَلِكِ أَدُومَ: «هَكَذَا يَقُولُ أَخُوكَ إِسْرَائِيلُ: قَدْ عَرَفْتَ كُلَّ الْمَشَقَّةِ الَّتِي أَصَابَتْنَا. ١٥ إِنْ أَبَاءَنَا انْحَدَرُوا إِلَى مِصْرَ، وَأَقَمْنَا فِي مِصْرَ أَيَّامًا كَثِيرَةً وَأَسَاءَ الْمِصْرِيُّونَ إِلَيْنَا وَإِلَى آبَائِنَا، ١٦ فَصَرَخْنَا إِلَى الرَّبِّ فَسَمِعَ صَوْتُنَا، وَأَرْسَلَ مَلَكًَا وَأَخْرَجَنَا مِنْ مِصْرَ. وَهَا نَحْنُ فِي قَادَشَ، مَدِينَةٍ فِي طَرَفِ تَخُومِكَ. ١٧ دَعْنَا نَمُرَّ فِي أَرْضِكَ. لَا نَمُرُّ فِي حَقْلٍ وَلَا فِي كَرَمٍ، وَلَا نَشْرَبُ مَاءَ بئرٍ. فِي طَرِيقِ الْمَلِكِ نَمْشِي، لَا نَمِيلُ يَمِينًا وَلَا يَسَارًا حَتَّى نَتَجَاوَزَ تَخُومَكَ». ١٨ فَقَالَ لَهُ أَدُومُ: «لَا تَمُرُّ بِي لِيَلَّا أَخْرُجَ لِلِقَائِكَ بِالسَّيْفِ». ١٩ فَقَالَ لَهُ بَنُو إِسْرَائِيلَ: «فِي السَّكَّةِ نَصْعَدُ، وَإِذَا شَرِبْنَا أَنَا وَمَوَاشِيَّ مِنْ مَائِكَ أَدْفَعُ ثَمَنَهُ. لَا شَيْءَ. أَمُرُّ بِرِجْلِي فَقَطْ». ٢٠ فَقَالَ: «لَا تَمُرُّ». وَخَرَجَ أَدُومُ لِلِقَائِهِ بِشَعْبٍ غَفِيرٍ وَبِيدٍ شَدِيدَةٍ. ٢١ وَأَبَى أَدُومُ أَنْ يَسْمَحَ لِإِسْرَائِيلَ بِالْمُرُورِ فِي تَخُومِهِ، فَتَحَوَّلَ إِسْرَائِيلُ عَنْهُ.

لاحظ أيها القارئ الكريم تلك الجمل أيضاً: أرضك.. تخومك.. مائك!

ويذكر الكتاب المقدس بأن الأدوميين باعوا بني إسرائيل كعبيد، حيث قاموا بأسرهم وبيعهم لمن يرغب في شرائهم. وهذه الإشارة تحمل دلالة عميقة، إذ تسلط الضوء على أحد الأسباب الجوهرية وراء كراهية اليهود للأدوميين، والدعوات التي أطلقها أنبياء بني إسرائيل

ضدّهم. وقد تنبأ عن خرابهم كل من إرميا وصفنيا وحزقيال وعوبديا، ففي الأصحاح الأول من سفر عوبديا نجد الكراهية اليهودية لأدوم إذ أن ما فعله الأدوميون تجاه اليهود أثناء محنتهم على يد نبوخذ نصر، ظل اليهود يتذكرونه بحزن وهم في السبي ببابل. كانوا يذكرون خيانة الأدوميين في اليوم الذي دمر فيه نبوخذ نصر أورشليم. وقد رتلوا في السبي هذه الآية في المزمور ١٣٧: «٧ أذكر يا رب لبني أدوم يوم أورشليم، القائلين هُدوا، هُدوا حتى إلى أساسها».

ويقال أن الملك هيرودس (أيام السيد المسيح) كان أدومياً.

يشار إلى أن مملكة أدوم انتقلت بعدها إلى جنوب فلسطين ولم يعد لها وجود فعلي في الأردن.

وردت أسماء لملوك أدوم وسجل أسماء ملوكهم وأمرائهم في التوراة في تكوين السفر ٣٦ فذكر منهم: ٣٢ ملك في أدوم بالغ بن بعور، وكان اسم مدينته دنهابة ٣٣ ومات بالغ، فملك مكانه يوباب بن زارج من بصرة ٣٤ ومات يوباب، فملك مكانه حوشام من أرض التيماني ٣٥ ومات حوشام^(١)، فملك مكانه هداد بن بداد^(٢) الذي كسر مديان في بلاد موآب، وكان اسم مدينته عويت ٣٦ ومات هداد، فملك مكانه سملة من مسريقة ٣٧ ومات سملة، فملك مكانه شأول من رحوبوت النهر ٣٨ ومات شأول، فملك مكانه بعل حانان بن عكبور ٣٩ ومات بعل حانان بن عكبور، فملك مكانه هدار وكان اسم مدينته فاعو، واسم امرأته مهيطبيل بنت مطرد بنت ماء ذهب.

ويكمل:

«وهذه أسماء أمراء عيسو، حسب قبائلهم وأماكنهم بأسمائهم: أمير تمناع وأمير علوة وأمير يتيث وأمير أهوليامة وأمير إيلة وأمير فينون وأمير قناز وأمير تيمان وأمير مبصار وأمير مجدبيل وأمير عيرام. هؤلاء أمراء أدوم حسب مساكنهم في أرض ملكهم. هذا هو عيسو أبو

(١) قد يكون هناك رابط بين حوشام وحسام، والحسام في اللغة العربية السيف القاطع.

(٢) يبدو أنه شخصية بارزة جداً ونقل المملكة الأدومية لعصر جديد.

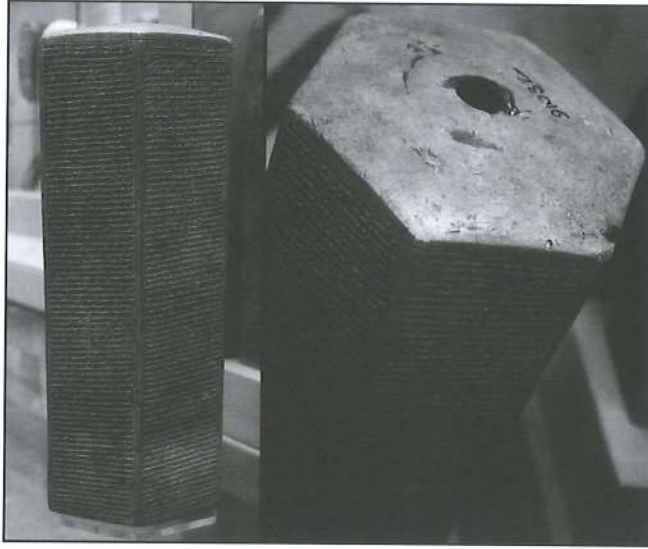
أَدُومَ. «(تك ٣٦: ٤٠-٤٣).

ثم ورد أسماء أخرى لملوك أدوم:

١- قوس ملك: ذُكر في الحوليات الآشورية في زمن الملك تغلث فلاسر الثالث (٧٤٥-٧٢٧ ق.م)، وهو أقدم ذكر لإله أدوم «قوس»، وتشير إحدى الحوليات بأن تغلث فلاسر الثالث استولى على معظم المدن الساحلية في سورية وفلسطين، وقطع إمدادات الأخشاب عن مصر، وأرسل قوة إلى عسقلان وغزة، وفي عام ٧٣٤، أغلقت الحدود مع مصر جيوش من عمون وأدوم وموآب^(١)

٢- أيا-رامو: أو ملك رمو ذُكر في المصادر الآشورية في زمن الملك سنحاريب (حوالي ٧٠٥ قبل الميلاد).

٣- وورد في مسلة (موشور) اسرحدون الذي قد يكون صنع في الفترة بين ٦٨٣-٦٧٣ ق.م اسم ملك أدومي هو قوسو جبري^(٢)



كما كشفت الحفريات الأثرية في المنطقة عن ختم ملكي هو ختم أم البيارة، التي يعد (١) هذا التفسير لم أجد مرجع يؤكد. لكن أعرضه للقارئ بحذر حتى يتم تأكيد المعلومة من مصدر علمي يعتد به.

(٢) أو قوس جبري.

الختم الملكي الوحيد المكتشف في المنطقة، ويعود للعصر الحديدي. يتميز الختم بثلاثة خانات، نقشان تتوسطهما صورة أسد مجنح، وهو رمز ملكي يؤكد مكانة الختم



ختم البيارة

أما النقشان فموزعان على سطرين، السطر الأول: ق و س ج (ب ر) والسطر الثاني: م ل ك أ (د م) ويقرأ: السطر الأول قوس جبر -السطر الثاني: ملك أدوم ، أما فيما يتعلق بتفسير الاسم، فقد حلله المختصون في اللغات القديمة إلى شقين: جبر مشتق من الجذر اللغوي جَبَرَ، الشائع في لغات المنطقة، والذي يحمل معاني القوة والقدرة والجبروت وقوس هو اسم الإله المعروف لأدوم، والذي استمرت عبادته حتى عهد الأنباط وبذلك، يمكن فهم الاسم على أنه المستمد قوته وقدرته من الإله قوس.



تصوير نبطي للإلهة أترعتا يعود تاريخه إلى عام ١٠٠ م. ويعتقد أن النسر الموجود على رأسها هو رمز للإله قوس.

مملكة عمون

العمونيون أحد الشعوب السامية القديمة التي استوطنت في شرق الأردن منذ القرن الثاني عشر قبل الميلاد (١٢٠٠ ق. م إلى عام ١١٠١ ق. م) إلى جانب الأدوميين والمؤابيين، وكانت عمّان عاصمة لهم. تُشير مصادر متعددة أن مملكة عمون انتهت تدريجيًا على ما يظن في الفترة تقارب ٣٣٠ ق. م. حتى أصبحت مملكة ضعيفة جدًا وذاب ما تبقى من شعبها في المجتمعات التي سكنت المنطقة، منها المملكة السلوقية ومملكة الأنباط ومملكة الغساسنة.

قائمة بأسماء ملوك عمون:

هناك عدة قوائم لملوك عمون لكن نظرًا لعدم توفر تسلسل واضح لهؤلاء الملوك سنعتمد على الأسماء أكثر من التسلسل والترتيب الزمني:

١- الملك ناحاش (١٠٢٠ - ١٠٠٠ ق.م.) أي الحنش، وعاصر هذا الملك كل من الملكين

شاول وداوود ومات خلال فترة حكم داوود وهذه روايته كما وردت في ١ صم ١١: ١
وَصَعَدَ نَاحَاشُ الْعَمُونِيُّ وَنَزَلَ عَلَى يَابِيشَ جَلْعَادَ. فَقَالَ جَمِيعُ أَهْلِ يَابِيشَ لِنَاحَاشَ: «أَقْطَعْ
لَنَا عَهْدًا فَتُسْتَعْبَدَ لَكَ». ٢ فَقَالَ لَهُمْ نَاحَاشُ الْعَمُونِيُّ: «بِهَذَا أَقْطَعْ لَكُمْ. بَتَقْوِيرِ كُلِّ عَيْنٍ
يُمْنَى لَكُمْ وَجَعَلَ ذَلِكَ عَارًا عَلَى جَمِيعِ إِسْرَائِيلَ». ٣ فَقَالَ لَهُ شُيُوحُ يَابِيشَ: «أَتْرَكْنَا سَبْعَةَ
أَيَّامٍ فَتُرْسِلَ رُسُلًا إِلَى جَمِيعِ تُخُومِ إِسْرَائِيلَ. فَإِنْ لَمْ يَوْجَدْ مَنْ يُخَلِّصُنَا نَخْرُجُ إِلَيْكَ ٤
فَجَاءَ الرُّسُلُ إِلَى جَبْعَةَ شَاوُلَ وَتَكَلَّمُوا بِهَذَا الْكَلَامِ فِي آذَانِ الشَّعْبِ، فَرَفَعَ كُلُّ الشَّعْبِ
أَصْوَاتَهُمْ وَبَكَوْا. ٥ وَإِذَا بِشَاوُلَ آتٍ وَرَاءَ الْبَقَرِ مِنَ الْحَقْلِ، فَقَالَ شَاوُلُ: «مَا بَالُ الشَّعْبِ
يَبْكُونَ؟» فَقَصَّوْا عَلَيْهِ كَلَامَ أَهْلِ يَابِيشَ. ٦ فَحَلَّ رُوحُ اللَّهِ عَلَى شَاوُلَ عِنْدَمَا سَمِعَ هَذَا
الْكَلَامَ وَحَمِيَ غَضَبُهُ جِدًّا. ٧ فَأَخَذَ فِدَّانَ بَقَرٍ وَقَطَعَهُ، وَأَرْسَلَ إِلَى كُلِّ تُخُومِ إِسْرَائِيلَ يَدِ
الرُّسُلِ قَائِلًا: «مَنْ لَا يَخْرُجُ وَرَاءَ شَاوُلَ وَوَرَاءَ صَمُوئِيلَ، فَهَكَذَا يَفْعَلُ بِبَقَرِهِ». فَوَقَعَ رُغْبُ
الرَّبِّ عَلَى الشَّعْبِ، فَخَرَجُوا كَرَجُلٍ وَاحِدٍ. ٨ وَعَدَّهُمْ فِي بَارَاقَ، فَكَانَ بَنُو إِسْرَائِيلَ ثَلَاثَ
مِئَةِ أَلْفٍ، وَرِجَالُ يَهُوذَا ثَلَاثِينَ أَلْفًا. ٩ وَقَالُوا لِلرُّسُلِ الَّذِينَ جَاءُوا: «هَكَذَا تَقُولُونَ لِأَهْلِ
يَابِيشَ جَلْعَادَ: غَدًا عِنْدَمَا تَحْمِي الشَّمْسُ يَكُونُ لَكُمْ خَلَاصٌ». فَاتَى الرُّسُلُ وَأَخْبَرُوا أَهْلَ
يَابِيشَ فَفَرَحُوا. ١٠ وَقَالَ أَهْلُ يَابِيشَ: «غَدًا نَخْرُجُ إِلَيْكُمْ فَتَفْعَلُونَ بِنَا حَسَبَ كُلِّ مَا يَحْسُنُ
فِي أَعْيُنِكُمْ ١١ وَكَانَ فِي الْغَدِ أَنَّ شَاوُلَ جَعَلَ الشَّعْبَ ثَلَاثَ فِرَقٍ، وَدَخَلُوا فِي وَسْطِ
الْمَحَلَّةِ عِنْدَ سَحَرِ الصُّبْحِ وَضَرَبُوا الْعَمُونِيِّينَ حَتَّى حَمِيَ النَّهَارُ. وَالَّذِينَ بَقُوا تَشَتَّتُوا حَتَّى
لَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ اثْنَانِ مَعًا». وناحاش هو أحد ملوك عمون، ذكر في الكتاب المقدس. وتقول
الرواية أنه ناحاش ظهر فجأة كمهاجم يابيش جلعاد^(١)، التي كانت تقع خارج الأراضي
التي طالب بها. وبعد أن أخضع المحتلين للحصار، سعى هؤلاء إلى شروط الاستسلام،
وأخبرهم ناحاش أن لديهم خيار الموت بالسيف أو اقتلاع أعينهم اليمنى. وحصلوا
على مهلة سبعة أيام من ناحاش، يُسمح لهم خلالها بطلب المساعدة من بني إسرائيل،

(١) منطقة ذكرت في الكتاب المقدس وتقع على جبال جلعاد شرقي الأردن، إلى الجنوب الشرقي من بيت
شان وإلى الجنوب من بيللا. ويعتقد أنها تل أبو خرز وتل المقبرة إلى الجهة الشمالية من وادي اليباس أو
وادي اليبس.

وبعد ذلك سيتعين عليهم الخضوع لشروط الاستسلام. طلب المحتلون المساعدة من شعب إسرائيل، وأرسلوا رسلاً في جميع أنحاء المنطقة، واستجاب شاول، وهو راعي ماشية في ذلك الوقت، بحشد جيش هزم ناحاش وحاشيته هزيمة حاسمة. وقد أورد يوسيفوس في «عادات اليهود ٦: ٦٨-٧٠» بأن الشروط القاسية الغريبة التي وضعها ناحاش للاستسلام بأنها ممارسة ناحاش المعتادة. بينما قدمت مخطوطات البحر الميت (دُرج يُشار إليه بالرمز a4QSam)^(١) تفسير أكثر اكتمالاً رغم عدم وجودها في النص السبعيني أو الماسوري، حيث عُثر على مقطع تمهيدي يسبق هذه الرواية في نسخة من سفر صموئيل ضمن المخطوطات التي عُثر عليها في الكهف الرابع أن ناحاش سيضغط بشدة على أحفاد جاد وأحفاد رأوبين وسيقلع كل عين اليمنى، ولم يتم توفير أي منقذ لإسرائيل ولم يبق أحد من بني إسرائيل في عبر الأردن لم يقلع ناحاش ملك العمونيين عينه اليمنى، وبعبارة أخرى، كان ناحاش قد غزا أراضي سبط جاد ورأوبين، وهرب قسم من السكان منه إلى يابيش جلعاد، ولهذا السبب حاصرها. ولم يُذكر المزيد عن ناحاش في سفر صموئيل حتى وفاته، في بداية عهد داود، في هذه المرحلة، تنص الرواية على أن داود أرسل وفد تعزية إلى حانون، وريث ناحاش، لأن ناحاش أظهر لطفًا لداود: ١ وَكَانَ بَعْدَ ذَلِكَ أَنَّ مَلِكَ بَنِي عَمُونَ مَاتَ، وَمَلَكَ حَانُونُ ابْنُهُ عَوْضًا عَنْهُ. ٢ فَقَالَ دَاوُدُ: «أَصْنَعْ مَعْرُوفًا مَعَ حَانُونِ بْنِ نَاحَاشَ كَمَا صَنَعَ أَبُوهُ مَعِيَ مَعْرُوفًا». فَأَرْسَلَ دَاوُدُ بِيَدِ عَبِيدِهِ يُعْزِيهِ عَنْ أَبِيهِ. فَجَاءَ عَبِيدُ دَاوُدَ إِلَى أَرْضِ بَنِي عَمُونَ. ٣ فَقَالَ رُؤَسَاءُ بَنِي عَمُونَ لِحَانُونِ سَيِّدِهِمْ: «هَلْ يُكْرِمُ دَاوُدُ أَبَاكَ فِي عَيْنَيْكَ حَتَّى أَرْسَلَ إِلَيْكَ مُعْزِينَ؟ أَلَيْسَ لِأَجْلِ فَحْصِ الْمَدِينَةِ وَتَجَسُّسِهَا وَقَلْبِهَا أَرْسَلَ دَاوُدُ عَبِيدَهُ إِلَيْكَ؟» ٤ فَأَخَذَ حَانُونُ عَبِيدَ دَاوُدَ وَحَلَقَ أَنْصَافَ لِحَاهُمُ، وَقَصَّ ثِيَابَهُمْ مِنَ الْوَسْطِ إِلَى أَسْتَاهِهِمْ، ثُمَّ أَطْلَقَهُمْ. ٥ وَلَمَّا أَخْبَرُوا دَاوُدَ أَرْسَلَ لِلْقَائِمِينَ لَأَنَّ الرِّجَالَ كَانُوا خَجَلِينَ جِدًّا. وَقَالَ الْمَلِكُ: «أَقِيمُوا فِي أَرِيحَا حَتَّى تَنْتَبِثَ لِحَاكُمُ ثُمَّ ارْجِعُوا». صموئيل ثاني ١٠ وادعى يوسيفوس (ضد أبيون: آثار اليهود القديمة، ٧٩: ٦) أن ناحاش قُتل عندما هزم شاول العمونيين، وهو ما من شأنه - إذا كان صحيحًا -

(١) نشر كل من فرانك مور كروس، دونالد دبليو. باري، ريتشارد جيه. سالي ويوجين أولريش، بحثًا في جامعة أكسفورد في عام ٢٠٠٥ تحدثوا فيه عن هذه الجزئية. أنظر المرجع الثالث من المراجع باللغة الإنجليزية.

أن يجعل ناحاش الذي رثى داود موته شخصًا مختلفًا؛ ومن غير الواضح على أي أساس يستند يوسفوس^(١). هناك أيضًا رجل يُدعى ناحاش، وصفه صموئيل الثاني ١٧: ٢٧-٢٩ بأنه والد الملك شوبي، وهو من ساعد داود ضد أبشالوم. هناك نظرية بأن والد أبيجايل، ملك العمونيين، ووالد شوبي، كانا نفس الشخص، مما يجعل شوبي وحنون وداود إخوة غير أشقاء. ونتيجة لهذا الرأي، يبدو أن شوبي شارك والده وجهة نظر إيجابية عن داود، بينما رأى حانون، شقيق شوبي والأخ غير الشقيق لداود، داود عدوًا. ومع ذلك، نظرية أخرى ترى بأن شوبي كان في الواقع حانون؛ وفي هذه الحالة، لا بد أن حانون قد اختلف مع داود عندما تولى كلاهما السيطرة على عروشهما.

٢- الملك حانون بن ناحاش وعاصر الملك داود.

٣- الملك شوبي بن ناحاش.

٤- الملك رحوب

٥- الملك بعشا بن رحوب وورد ذكره ضمن السجلات الآشورية.

٦- الملك سانيو وورد ذكره بحوليات الملك الآشوري تجلات بلاستر الثالث.

٧- الملك بيدويل (بودو إيل) وورد ذكره في موشور أسرحدون المؤرخ بين (٦٨٣ - ٦٧٣ ق.م).

٨- الملك باراتشيل وقد يكون حكم في الفترة بين (٦٧٣ - ٦٥٠ ق.م) ويقال أن ختمًا حمل اسمه وجد في إحدى الحفريات^(٢)

(١) اسجل هنا أن بعض المعلومات التي ذكرها يوسفوس قد تكون غير دقيقة ولعله أخذها من آخرين، ويؤكد هذا ستيف ماسون Steve Mason هو أستاذ كرسي كيربي لينغ Kirby Laing Chair لتفسير العهد الجديد في كلية اللاهوت والتاريخ والفلسفة بجامعة أبردين، المملكة المتحدة. درّس ماسون سابقًا في جامعة يورك في تورنتو، وهو متخصص في كتابات يوسفوس، ولديه عدد من المؤلفات بهذا الخصوص.

(٢) هذه الختم محفوظ في المجموعة الخاصة للسيد شلومو موسايف في لندن، نُشر أصلًا في كتاب مايكل: دراسات تاريخية وكتابية تكريمًا للأستاذ الدكتور مايكل هيلتز، ١٩٩٩ ونشره مجددًا تحت اسم «ختم ملكي من الأمونيت» روبرت دويتش. وبما أن لا معلومات واضحة توصلنا إليها حول مكان اكتشاف الختم والطريقة والتاريخ فإن هذا الختم يبقى في موضع «الشك».



صورة للختم

٩- عمي ندب (عمينادب) الأول وتولى الحكم في الفترة ٦٥٠ - ٦٤٠ ق.م وذكر في نقش تل سيران.

١٠- حصائيل وتولى الحكم في الفترة من ٦٤٠ - ٦٢٠ ق.م وذكر في نقش تل سيران.

١١- عمي ندب (عمينادب) الثاني وتولى الحكم في الفترة بين ٦٢٠ - ٦٠٠ ويقال حتى ٥٩٠ ق.م وورد ذكره في نقش تل سيران.

١٢- بعليس (Baalis) وتولى الحكم في الفترة من ٥٩٠ - ٥٨٢ ق.م وورد ذكره في سفر أرميا النبي «وَقَالُوا لَهُ: «أَتَعْلَمُ عِلْمًا أَنَّ بَعْلِيْسَ مَلِكَ بَنِي عَمُّونَ قَدْ أَرْسَلَ إِسْمَاعِيلَ بْنَ نَشِيَا لِيَقْتُلَكَ؟» فَلَمْ يُصَدِّقْهُمْ جَدْلِيَا بْنُ أَخِيْقَامَ» (ار ٤٠: ١٤) وهذا الملك وجد في فترة نبوخذ نصر الثاني (٦٠٥ - ٥٦٢ ق.م).

١٣- الملك شانيب وورد اسمه في قاعدة تمثال وجد في عمان.

١٤- الملك زاكور بن شانيب وورد اسمه في قاعدة التمثال الذي وجد في عمان.

١٥- الملك يرح عزربن زاكور.

١٦- بدو الو وورد اسمه في سجلات سنحاريب.

١٧- طوبيا وهذا يقال أنه آخر ملوك العمونيين ووصفه سفر نحميا بالعبد! وقد يكون ذلك لكون لونه أسود! وذكر في العهد القديم: نح ٤: ٣ وَكَانَ طُوبِيَا الْعُمُونِيَّ بِجَانِبِهِ، فَقَالَ: «إِنَّ مَا يَبْنُونَهُ إِذَا صَعِدَ ثَعْلَبٌ فَإِنَّهُ يَهْدِمُ حِجَارَةَ حَائِطِهِمْ». ٧: وَلَمَّا سَمِعَ سَنْبَلَطُ وَطُوبِيَا وَالْعَرَبُ وَالْعُمُونِيُّونَ وَالْأَشْدُودِيُّونَ أَنَّ أَسْوَارَ أُورُشَلِيمَ قَدْ رُمِّمَتْ وَالثُّغْرَ ابْتَدَأَتْ تُسَدُّ، غَضِبُوا جِدًّا. وقد يكون هو نفسه المذكور اسمه أمام أحد كهوف عراق الأمير بالقرب من قصر العبد في وادي السير.

قد لا يكون الترتيب لقائمة ملوك عمون هنا مثاليا لكنه الأقرب للدقة.



تمثال الملك العموني يرح عزر.

مملكة مؤاب:

ملوك مملكة مؤاب:

قائمة ملوك مؤاب تتضمن عددًا من الملوك المهمين نذكر منهم بالاق بن صفور، كموش ياتي، ميشع، وسلمانو. يذكر العهد القديم الملك بالاق بن صفور. كما ورد ذكر «كموش ياتي» في نقش ميشع ونقش الكرك. ويذكر الملك ميشع في نقش ميشع وسفر الملوك.

وهم حسب ترتيب غير مؤكد:

١- بالاق بن صفور: ذكر في العدد: وَلَمَّا رَأَى بَالَاقُ بْنُ صِفُّورَ جَمِيعَ مَا فَعَلَ إِسْرَائِيلُ بِالْأَمُورِيِّينَ، فَقَالَ مُوآبُ لِشُيُوخِ مَدْيَانَ: «الآنَ يَلْحَسُ الْجُمْهُورُ كُلُّ مَا حَوَّلْنَا كَمَا يَلْحَسُ الثَّوْرُ خُضْرَةَ الْحَقْلِ». وَكَانَ بَالَاقُ بْنُ صِفُّورَ مَلِكًا لِمُوآبَ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ (عد ٢٢: ٢، ٤).

٢- عجلون: وسنورد سرديته لاحقًا.

٣- كموش: أو كموش اللات وكموش إله مؤابي ولكن هذا الملك ذكر في نقش ميشع ونقش الكرك، وقد يكون هو من ذكر في منشور تايلور^(١)، الذي يروي الحملة ضد حزقيا، وهو من دفع الجزية لسرجون بصفته سيده. وذكر «فان زيول» في كتابه أنه ورد عن هذا الملك أنه هزم الملك اومو لادي ملك قدري وأسر به، وقام بتكيله بالسلاسل الحديدية وأرسله إلى ملك آشور^(٢). ولعله الملك كامش الذي عاصر آشور بانيبال الذي حكم في الفترة ٦٦٨-٦٢٧ قبل الميلاد. يشار إلى ورود اسم كموش - نداب في ثورة ضد الآشوريين عام ٧١٣ قبل الميلاد، ولعل اسم كموش كان لأكثر من ملك، بالتالي قد يكون كموش نداب وكموش اللات شخصان مختلفان.

٤- ميشع: ذكر في نقش ميشع وفي سفر الملوك، ومما ذكر في العهد القديم: «وَكَانَ مِيشَعُ مَلِكُ مُوآبَ صَاحِبَ مَوَاشٍ» (٢ مل ٣: ٤) ويصف «فان زيول» في كتابه المؤابيون دور ميشع

(١) مصدر غير مؤكد.

(٢) صفحة ٦٦ من كتاب "المؤابيون".

فيقول: «وقد كال ميشع الضربات الشديدة للقوات الإسرائيلية لذا لم يقوا هؤلاء على مهاجمة أي جزء من مناطق شرق الأردن واحتلالها خاصة وأن القوات الآرامية المتقدمة كانت تشاغلها»^(١).

٥- سلمانو: ذكر في نقوش متعددة. وفي العهد القديم.

٦- كموسو نادبي: وورد في سجلات سنحاريب.

٧- موصوري: ذكر في منشور أسرحدون.

أما سرديّة الملك عجلون فيقال: استطاع المؤابيون بقيادة الملك عجلون إعادة سيطرتهم الكاملة على أراضيهم الواقعة إلى الشمال من وادي الموجب (أرنون)، والمسمّاة عربوت مؤاب، وعقب ذلك استطاع عجلون استثمار الحالة السياسية القائمة وتشكيل حلف يجمع المؤابيين والعمونيين والعماليق، وعندما استقر الأمر للملك عجلون، وثبت نفوذه، قام بفرض الجزية على القبائل العبرانية القاطنة تحت سلطته، وأخذ الجزية منهم لمدة ثمانية عشر عاماً، فضاعت قبيلة بنيامين بالحال القائم، فرتب أحد زعماء قبيلة بنيامين، وهو أهود البنياميني أمر اغتيال الملك عجلون، حيث زار الملك في معسكره أثناء حملة تفقدية للمناطق الواقعة تحت نفوذه لتقديم الجزية والهدايا، ثم انصرف ليحاول بث الطمأنينة في قلب الملك وحاشيته، ثم ما لبث أن عاد مدعيّاً أنه يحمل نبوءة حول الحروب التي سيخوضها الملك عجلون، بالإضافة إلى معلومات عن أعدائه، وطلب أن يجتمع بالملك وحيداً، وحينها استطاع بنيامين أن يغتال الملك عجلون ويلوذ بالفرار، واستغل العبرانيون حالة الفوضى عقب مقتل ملكهم، وخرجوا عن السيطرة المؤابية.

يكاد يجرّم معظم العلماء أن مملكة مؤاب انتهت بعد غزو البابليين لمملكته، لكن بقيت أراضيهم تحمل اسم مملكتهم مؤاب حتى وقتنا الحاضر، من هذه الأراضي عربوت مؤاب **Arboth Moab** وهي المنطقة التي تقع شرق الأردن، وتحديدًا في منطقة غور الأردن، وتعتبر جزءاً من أراضي مملكة مؤاب القديمة، وهي منطقة منخفضة تقع شرق البحر الميت

(١) صفحة ٥٨ «المؤابيون».

شمال وادي الموجب (نهر أرنون) و«عربوت» تعني البادية أو الأرض القاحلة، و«مؤاب» تشير إلى مملكة مؤاب القديمة. وكانت أهم المدن في هذه المنطقة حشبون وديون ونيصح (نيفعة - ميفعة) وميدبا (مادبا)، أما بعل بور (بيت بور)^(١) فمدينة أو مكان لا يُعلم إن كانت عامرة في بداية المملكة المؤابية، لكنها كانت من المراكز الدينية المؤابية المشهورة بعد جيل واحد من استقرار المؤابيين في أرض مؤاب، لذلك فالأرجح أنها كانت عامرة في هذه الفترة المتقدمة من القرن الثالث عشر قبل الميلاد كذلك الأمر بالنسبة لياهص^(٢) وياموت (مدينتين مؤابيتين). وتصف التوراة هذا المكان بأنها عربوت مؤاب وبهذا الصدد يقول فان زيول A.H. Van Zyl في كتابه المؤابيون: «كيف للإسرائيليين حق الادعاء بأن هذه المنطقة هي من مناطقهم... من المعروف أن حق المؤابيين غير متنازع عليه في هذه المنطقة وهذا واضح عندما لم يسمح المؤابيون للإسرائيليين في عبور هذه المنطقة عندما طلبوا الإذن بذلك، وإن محاولة إسرائيل كما ورد في الكتاب المقدس إثارة الشكوك حول هذا الحق ما هو إلا تأكيد لحق المؤابيين بهذه المنطقة. لذا فمن الثابت أن اسم عربوت مؤاب كان هو الاسم الذي يعود إلى الفترة التي لم يكن فيها صراع ما بين الإسرائيليين والمؤابيين حول هذه المنطقة وهي الفترة التي رفض المؤابيون فيها السماح للإسرائيليين بعبور هذا الوادي.

آرام

لم تكن مملكة آرام مملكة فعلية، بل كانت مجموعات قبلية، وقد استطاعت هذه المجموعات الآرامية ما بين القرنين الثاني عشر والثامن قبل الميلاد أن تكون دويلات عديدة سيطرت على بلاد واسعة في سورية ولبنان والأردن، وبعضها أسس دويلات زراعية مستقرة.

(١) فغور جبل في مؤاب (عدد ٢٣: ٢٨)، ومنه سُميت بَت فغور (تث ٣: ٢٩، إلخ). وقد أُطلق اسمه على البعل الذي كان يُعبد هناك.

(٢) اسم مؤابي معناه «موضع مداس». وهي مدينة مؤابية (عد ٢١: ٢٣؛ تث ٢: ٣٢؛ اش ١٥: ٤؛ إر ٤٨: ٣٤). وتدعى أيضًا يهصة (يش ١٣: ١٨؛ ٢١: ٣٦؛ أخبار ٦: ٧٨؛ إر ٤٨: ٢١). وفي هذا الموضع انتصر العبرانيون على سيجون، فاستدلوا على الأرض بين أرنون وبيوق ولكن يبدو أن المؤابيين عادوا فأخذوها. ويظن أنها في موضع على بُعد ميل جنوبي زرقاء ماعين وأثني عشر ميلا شرقي البحر الميت، ولم يستدل على موقعها حتى الآن.

وقد أطلق اسم الآراميين على البلاد التي سكنوها، فدُعيت باسم بلاد آرام قرونًا عدة قبل أن تعرف منذ العصر الهلنستي السلوقي باسم سورية، إحدى هذه الدويلات امتد نفوذها من دمشق شمالًا وحتى نهر الزرقاء جنوبًا وسميت آرام دمشق. بينما يصف «فان زيول» مملكتهم بأنها سيطرت على جنوب شرق الأردن ولذا لم يستطع المؤابيون الامتداد بنفوذهم إلى الشمال من أرنون، بينما كان في مقدور مجموعات صغيرة التحرك إلى الشمال طالما اظهرت هذه المجموعات الصغيرة عدائها إلى إسرائيل.

وقد يكون «نقش دير علا» يعود لهذه المملكة! ويدعى هذا النقش بنقش بلعام، حيث تم كشفت الحفريات خلال عمليات التنقيب عن مبنى متعدد الغرف دمره زلزال خلال الفترة الفارسية، وقد كتب على جداره قصة تحكي رؤى بلعام بن باعوراء، «رائي الآلهة»، الذي قد يكون هو نفس بلعام المذكور في سفر العدد الاصحاحات من ٢٢-٢٤ وفي مقاطع أخرى من الكتاب المقدس، لكن يختلف شخص بلعام الموجود في نقش دير علا عن ذلك الموجود في سفر العدد. حيث يرتبط إله بلعام بالآلهة شاغار عشتار. وتسلط القصة الغامضة الواردة في النقش الضوء أيضًا على مجلس الآلهة، كما تحتوي أيضًا على كلمة إلهمين والتي تعني آلهة في صيغة الجمع وليس الإله الواحد العبري. يصف كتاب أكسفورد للدراسات الكتابية بأن هذا النقش أقدم مثال لكتابة بلغة سامية غربية مكتوب بالأبجدية، وأقدم قطعة من الأدب الآرامي.

لا بد أن نذكر هذا النص أيضًا عن آرام في الكتاب المقدس: سفر حزقيال - الأصحاح ٢٧. ١٦ أَرَامُ تَاجَرْتُكَ بِكَثْرَةِ صَنَائِعِكَ. تَاجَرُوا فِي أَسْوَاقِكَ بِالْبَهْرَمَانِ وَالْأَرْجَوَانِ وَالْمُطَرِّزِ وَالْبُوصِ وَالْمُرْجَانِ وَالْيَاقُوتِ.

السيطرة المتقلبة

دخلت الأردن في الفترات الآشورية والبابلية واليونانية والرومانية بحالة من عدم الاستقرار البطيء، فبعد سقوط نينوى عاصمة المملكة الآشورية، ثارت جميع الشعوب التي كانت تخضع للآشوريين، وسيطرت مملكة بابل على المنطقة ومنها شرقي الأردن،

فتآلف ملوك مؤاب وعمون وصور وصيدا لصدهجمات بابل، إلا أن الملك البابلي نبوخذ نصر تمكن من الانتصار عليهم واخضاع مؤاب وعمون، إلا أن بابل سقطت في أيدي الفرس سنة ٥٤٠ ق م. وخضعت الأردن والمنطقة تحت الحكم الفارسي. وفي عهد الإمبراطور الفارسي داريوس (٥٣١ - ٤٨٥ ق م) قسمت الإمبراطورية الفارسية إلى عشرين ولاية، وكانت شرقي الأردن وقبرص جزءا من الولاية الفلسطينية. استمر الحكم الفارسي على المنطقة بما فيها الأردن حتى انهيارها أمام الأسكندر الأكبر عام ٣٣٢ ق م. الذي بسط النفوذ اليوناني على الأردن والمنطقة، وبعد وفاة الأسكندر انقسمت الإمبراطورية اليونانية إلى ثلاثة أجزاء وكانت الأردن وجنوب سوريا تحت حكم بطليموس (فترة البطالسة) وكانت عمان في تلك الفترة قد تعرضت لخراب كبير، فأعاد اليونان بناء المدينة وأطلقوا عليها اسماً جديداً هو فيلادلفيا بدلاً من ربة عمون، نسبة إلى بطليموس فيلادلفوس الثاني (٣٨٣-٣٤٦ ق م). فازدهرت المدينة في الفترة اليونانية، وصارت إحدى مدن تحالف المدن العشرة وتم تحصينها لمواجهة الموجات البدوية القادمة من الصحراء. لم يقتصر تطوير المدن في الشرق وإعطائها صبغة يونانية - رومانية، بل وصل الأمر إلى نقل الثقافة واللغة اليونانية للمنطقة كما سكنها العديد من اليونان والرومان، جنباً إلى جنب مع السكان المحليين، وهذا الاختلاط الثقافي ساهم لحد كبير في إحداث فراغ ضخم بين الفترة السابقة والفترة اللاحقة.

حدث صراع بين القسم المصري والقسم السوري للإمبراطورية اليونانية بين أتباع بطليموس في مصر، والسلوقيين في سوريا، الذين رأوا أهمية المدينة، وأهمية السيطرة عليها، فقام الملك أنطيوخس الثالث حاكم سورية بقيادة جيش ضخم وضرب حصاراً طويلاً على قلعة فيلادلفيا، ثم احتلالها في عام ٢١٨ ق م. فيما يسمى الحرب السورية الثالثة، وبقي اليونانيون في عمان مدة تقارب مائة عام بعد هذا الاحتلال حتى طردهم منها الأنباط.

أما الفترات الثلاثة التي يمكن تقسيم الأردن فيها فهي:

١- الفترة القديمة التي تمثل ممالك عمون ومؤاب وأدوم وما قبلها والتأثير الأشوري البابلي الفارسي.

٢- الفترة الوسيطة وهي الفترة الهلنستية والتي تمثل التأثير اليوناني الروماني البيزنطي.

٣- الفترة الإسلامية والتي فتح فيها العرب الأردن وكامل المنطقة.

كل من هذه الفترات لها تأثيرها ومراحلها الخاصة وثقافتها ودورها على الأردن.

الديكابولس

باللاتينية Decapolis باليونانية Δεκάπολις وهو حلف من عشرة مدن وتعني كلمة ديكا عشرة وبولس تعني المدن، وهو تحالف روماني صنعه الجنرال بومبيوس الكبير عام ٦٤ ق.م. خلال الفترة الهلنستية للمنطقة، ضم الحلف عشرة من أهم مدن شمال الأردن وما حولها، ويقال أن الغرض منه الوقوف ضد نفوذ الأنباط في الجنوب.

تشكل هذه التحالف بين هذه المدن بسبب اللغة والثقافة والموقع، حيث كانت كل مدينة منهم وكأنها دولة مستقلة «دولة المدينة»، لكن هذا التحالف لا يعني أنها كانت تتمتع بوحدة سياسية.

كانت مدن الديكابولس مركز للثقافة اليونانية والرومانية في المنطقة لكن كان سكانها من الكنعانيين والعرب والآراميين والأنباط ويتحدثون اللغات السامية. وفي عهد الإمبراطور تراجان، وضعت المدن ضمن مقاطعة سوريا والمقاطعة العربية (العربية البترائية- فلسطين الثالثة) وأضيفت العديد من المدن في وقت لاحق في مقاطعتي سوريا وفلسطين الثانية^(١). تقع معظم مدن حلف الديكابولس اليوم في الأردن، باستثناء دمشق وقنوات (اللتان تقعان في سورية)، والحصن وبيسان (اللتان تقعان في فلسطين)، وأكبر هذه المدن حينها بيسان،

(١) ساهم هذا الأمر بفكرة أن الأردن كان جزءاً من سورية أو جزءاً من فلسطين، وسبق وذكرنا أن التسمية بسورية أو فلسطين أو بلاد الشام لاحقاً كانت تسميات لمناطق تتسع حيناً وتضيق حيناً، وأنها كان تسمية تنبع من شهرة آنية في فترات معينة ولا تعني أن الأردن حينها كان غير موجود. بدليل أن الأراضي التي كانت تحيط بنهر الأردن كانت وما زالت تسمى بشرقي الأردن أو غربي الأردن، وأن المناطق السورية الداخلية كانت تسمى في فترات الأراضي الآرامية أو السورية (السريانية)... إلخ. إن الحدود التي نعرفها اليوم ما هي إلا حدود سايس بيكو وبالتالي كانت قبلها الناس على تواصل وإتصال دائم ولا مشكلة بينهم في ذلك في أيام السلم.

وتوسع التحالف حتى وصل إلى ثمانية عشر أو تسعة عشر مدينة يونانية رومانية أُعْتُبرت كجزء من الديكابوليس.

سُمح لهذه المدن باستقلال سياسي كبير تحت كنف الإمبراطورية الرومانية. كانت كل مدينة بمثابة «دولة مدينة»، مع سلطة على منطقة من الريف المحيط بها. قامت كل مدينة منهم بصك العملات المعدنية، حيث احتوت العديد من هذه العملات على عبارات مثل «مستقلة» أو غيرها، والتي تشير نوعاً ما إلى حالة من الحكم الذاتي.

مملكة بيرية

بيرية (بالإنجليزية: Perea) مملكة قصيرة الأمد، ولا توجد مصادر كثيرة تتحدث عنها، كما أن المصادر التي توفرت «لي» عن هذه المملكة قليلة، كما أنها تظهر أن هذه المملكة لم تعمر طويلاً ولذلك لا بد من بحثٍ طويل حول هذه المملكة. المصادر تخبرنا أن هذه المملكة كانت على الجانب الشرقي من نهر الأردن وحدودها من بحيرة طبريا حتى البحر الميت، ولا تمتد كثيراً نحو الشرق. وبعض المصادر تخبرنا أنها كانت مملكة تابعة للحكم الروماني بينما تشير مصادر أخرى أنها تعود للقرن الرابع الميلادي، وحكمتها ملكة تدعى ماوية (Queen Mavia of the Tanukh) وهذه كانت ملكة حكمت تحالفاً مكوناً من العرب في جنوب بلاد الشام في شرق الأردن في النصف الثاني من القرن الرابع. وقادت قواتها في ثورة ضد الحكم الروماني، وتقدمت على رأس جيشها إلى فينيقيا وفلسطين. قدمت بعض المصادر وجهة نظر مختلفة قليلاً وذلك بأن بيرية كانت جزء من مملكة هيرودس الكبير وتستخدم للدلالة على الجزء الشرقي لمملكة هيرودس، والتي كانت تمتد على طول الجانب الشرقي من وادي نهر الأردن أو من جنوب جرش حتى البحر الميت وضمت مدناً منها السلط التي على ما يبدو والتي كانت تدعى حينها البلقاء عند العرب، وتنتهي تقريباً عند وادي الموجب، وحظيت بيرية زمن الرومان بحكم مشترك وكان يقاسم هيرودس أنتيوس هيرودس الكبير حكمها بالإضافة لمشاركته أيضاً حكم الجليل.

معظم ما عرفناه عن ماوية جاء من مصادر مسيحية، منها كتابات المؤرخ روفينوس^(١). ومن ضمن المصادر التي تحدثت عن ماوية أن أسلافها من تنوخ الذين هاجروا من الجزيرة العربية لشمالي الأردن. وأن مورخي الكنيسة سجلوا حروبها، وركزوا خصوصاً على الشرط الذي وضعته للهدنة مع الروم. فقد كتب روفينوس في تاريخه أن ماوية ملكة عرب الصحراء شنت حرباً شعواء في المنطقة، وأنهكت الروم في معاركها فطلبوا منها التفاوض على السلام. وقد وافقت على ذلك بشرطٍ وهو تعيين الراهب موسى أسقفاً على شعبها. وعن موسى كتب سقراط^(٢) أنه من مواليد عرب الصحراء، وعاش حياة رهبنة، وصار معروفاً بشدة التقوى والإيمان والمعجزات، واقترح سقراط أن ماوية رغبت في أن يكون هذا الرجل أسقفاً على شعبها، ووعدت أن تنهي الحرب بذلك الشرط^(٣). أما المؤرخ يوسفوس فيذكر في كتابه عن مريم من بيت زوبا^(٤)، ووصف في القصة التي أوردها أكل لحوم البشر كنتيجة للمجاعة والموت جوعاً خلال حصار القدس، ويروي يوسفوس أن مريم، ابنة العازار، كانت من قرية بيت زوبا في قضاء بيرية، شرق نهر الأردن. ووصف هذه المنطقة بأنها أكبر بكثير في الواقع من الجليل، كما وصفها بالصحراء والوعرة، ووصفها بالصحراء كان غير دقيق مما يؤكد الشكوك بأنه لم يصل لهذه الأرض، وأن القصة قد تكون مختلفة.

كما ذكرنا سابقاً فإن هذه المملكة تحتاج لبحثٍ طويل لتأكيد وجودها والفترة التي كانت بسطت نفوذها على الأردن، حيث لم أتمكن من الوصول إلى بحثٍ عن آثار تؤكد وجود هذه المملكة حتى تاريخه.

أما العهد الجديد فوصف الأردن حينها بعبارة عبر الأردن، أو بأسماء أخرى مثل كورة الجدرين (الجراسيين) في إشارة للمنطقة الواقعة مقابل الجليل من الجهة الشرقية والتي وصلها السيد المسيح.

(١) راهب ومترجم ومؤرخ كنسي (٣٤٥ - ٤١٠ م) وكتب حول التاريخ الكنسي من القرن الأول وحتى نهاية القرن الرابع الميلادي.

(٢) مؤرخ كنسي من القرن الرابع الميلادي.

(3) https://archive.archaeology.org/online/features/iron_ladies/mavia.html

(٤) قد تكون قرية زوبيا في محافظة أربد.

الاحتلال المكابي

سيطر عدد من المحاربين اليهود على مناطق من فلسطين في الفترة التي كانت فيها فلسطين جزءاً من الإمبراطورية السلوقية (المقدونية اليونانية)، وينتمي المكابيون إلى السلالة الحشمونية التي حكمت من ١٦٧ قبل الميلاد إلى ٣٧ قبل الميلاد، وكانت مملكة مستقلة تماماً من حوالي ١١٠ إلى ٦٣ قبل الميلاد. أعاد المكابيون تعاليم الدين اليهودي جزئياً عن طريق التحول القسري، ووسعوا حدود مملكتهم بالغزوات والاحتلال منها شرقي الأردن في فترات معينة، ومع ذلك لا يوجد أثراً ما يؤكد امتداد هذه المملكة للأردن وإن ورد في سفر المكابيين أن «وَأَمَّا يَهُوذَا الْمَكَابِيُّ وَيُونَانَانُ أَخُوهُ؛ فَعَبَّرَا الْأُرْدُنَّ وَسَارَا مَسِيرَةً ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ فِي الْبَرِّيَّةِ.» (١ مك ٥: ٢٤) وتروي الترجمة السبعينية للكتاب المقدس تاريخ المكابيين في سفري المكابيين الأول والثاني (الاسفار القانونية الثانية) ومنها أحداث كثيرة هي أقرب للرواية ولا يمكن أن نجد لها آثار تدعمها.

الأنباط

الأنباط قبائل عربية من العرب القدماء الذين كانوا يقطنون في شمال الجزيرة العربية وجنوب الأردن ويتمون إلى نبط بن إسماعيل، ولا رابط بينهم وبين الأدوميين كما يروج أصحاب السردية المقابلة. قد يكون النبط من أصل قيدار لأنه كان من المعروف أن القيداريين والأنباط كانوا يتمتعون بعلاقات وثيقة فيما بينهم ويعملون معاً كحلفاء في زمن الحرب ضد الآشوريين. في المقابل تُشير قراءة^(١) لاسطوانة رسام^(٢) إلى أن جنوداً آشوريين طاردوا عرباً يمتطون الجمال (٦٠٠-٦٥٠ قبل الميلاد) وتتضمن الرواية أن آشور بانيبال هزم أديا ملكة

(1) The Arab Campaigns of Aššurbanipal: Scribal Reconstruction of the Past, Gerardi, Pamela 1992

(٢) أسطوانة مسمارية كُتبت خلال فترة حكم الملك الآشوري آشوربانيبال في عام ٦٤٣ قبل الميلاد، تعتبر المسلة ذات ١٠ جوانب هامة جداً لأنها تؤرخ لفترة مهمة جداً من تاريخ المنطقة وتعتبر سجلاً أثرياً يُعتمد به، كما أنها من أكثر السجلات اكتمالاً من سجلات الملك آشوربانيبال. تم اكتشاف الاسطوانة في قصر نينوى الشمالي على يد عالم آثار عراقي يدعى هرمز رسام عام ١٨٥٤ ومن هنا جاءت تسميتها، وهي موجودة الآن في المتحف البريطاني.

العرب وأن الملك ياوتا بن حزائيل ملك العرب القيداريين هرب إلى زعيم قبلي هو نتنو Natnu ملك الأنباط الذي رفضه وظل موالياً للملك الآشوري^(١).



إن هذا النقش يطرح أسئلة حول تاريخ الوجود الحقيقي للأنباط! فالمعروف أن مملكة الأنباط بدأت منذ عام ١٦٩ ق.م. تقريباً^(٢) لكن هجرتهم من الجزيرة العربية نحو الأردن بدأت منذ القرن الرابع قبل الميلاد كما تشير بعض المصادر، حيث بدأت سيطرتهم على مناطق الأدوميين تقريباً سنة ٣١٢ ق.م. لكن حسب هذه الإسطوانة المهمة فإن الأنباط كانوا موجودين في الأردن منذ القرن السابع قبل الميلاد! وهذا الأمر يدعو المؤرخين والآثارين الأردنيين لإعادة قراءة تاريخ الأردن في ضوء السجلات للحضارات القريبة من الأردن.

(١) يتحفظ الكثير من المؤرخين والآثارين على هذا التفسير، ويقولون بأن نتنو ومملكته كانت جماعة تختلف عن الأنباط.

(٢) أنظر كتاب تاريخ العرب قبل الاسلام لجواد علي. وكتاب تاريخ العرب قبل الاسلام لعبد الحميد حسين.

أما خلال العصر الهلنستي، أصبحت البترا (البتراء) عاصمة الأنباط وملجأهم الحصين، وامتدت مملكتهم في القرن الأول ق.م. من سيناء إلى الحجاز حتى مدائن صالح، وشمالاً حتى حدود دمشق، ولم يكن لمملكتهم حدود مستمرة ودائمة، لكنها شملت معظم أراضي الأردن، باستثناء الشمال الغربي. وضمت مملكتهم مناطق زراعية ومراعي.

كشفت التنقيبات الأثرية عن أهم قرنين من تاريخ المملكة النبطية في الفترة بين القرن الأول قبل الميلاد والقرن الأول الميلادي، كما قدمت النقوش الكتابية والعملات المكتشفة معلومات عن الملوك الذين تعاقبوا على حكم المملكة؛ ومنها نستنتج أن المملكة النبطية كانت قوة إقليمية.

وكشفت التنقيبات الأثرية عن تطور البترا في عهد عبادة الثالث (٣٠-٩ قبل الميلاد)، والحارثة الرابع (٩ ق.م. - ٤٠ م.)، ازدهار مجتمع هلنستي مميز ومتطور ومنفتح على التأثيرات الرومانية وحتى المصرية. كما كشفت الحفريات عن أن آخر ملك نبطي وهو رب إيل الثاني (٧٠-١٠٦ م.) والذي جعل بصرى عاصمته.

تمكن علماء الآثار من اكتشاف تطور الأنباط تجارياً من خلال سيطرتهم على الطرق التجارية مع النقب وسيناء، وأنهم صدروا بضائعهم إلى الإسكندرية وغزة وشملت صادراتهم مواد مثل القار من البحر الميت، والذي كان يستعمل في مصر للتحنيط وجلفطة السفن، وسلع أخرى مثل البخور، والصمغ، والتوابل، والتي كانت تأتي براً وبحراً من بلاد العرب السعيدة (اليمن) ومن الخليج العربي والمحيط الهندي عبر ميناء أيلة (العقبة)، كما يعتقد أن تجارتهم وصلت إلى شواطئ أوروبا.

وفي سنة ١٠٦ م أرسل الإمبراطور تراجان حملة ضد الأنباط احتلت فيها البترا دون مقاومة، وبسقوط البترا بيد الرومان انتهت دولة الأنباط وجعلوها ولاية رومانية، وأصبحت جزءاً من المقاطعة العربية التي أنشأها الرومان في الطرف الجنوبي من سورية للحماية من هجمات العرب البدو.

حل مكان مملكة الأنباط إمارات تابعة للروم من قبائل نبطية جديدة وهي تنوخ التي منها اللخميون حكام الحيرة، والغساسنة حكام الأردن وجنوب سوريا.

ملوك الأنباط

الملك	فترة الحكم
حارثة الأول	١٦٩ ق.م - ١٢٠ ق.م
حارثة الثاني	١٢٠ ق.م - ٩٥ ق.م
عبادة الأول	٩٥ ق.م - ٨٨ ق.م
رب إيل الأول	٨٨ ق.م - ٨٧ ق.م
حارثة الثالث	٨٧ ق.م - ٦٢ ق.م
عبادة الثاني	٦٢ ق.م - ٥٩ ق.م
مالك الأول	٥٩ ق.م - ٣٠ ق.م
عبادة الثالث	٣٠ ق.م - ٩ ق.م
حارثة الرابع	٩ ق.م - ٤٠ م.
مالك الثاني	٤٠ - ٧٠ م.
رب إيل الثاني	٧٠ - ١٠٦ م.

تميز بعض ملوك الأنباط بخصلات نذكر منها:

الحارث الأول أحد ملوك مملكة الأنباط ويُعتقد انه كان أول ملوك النبط بدأ حكمة عام ١٦٨-١٦٩ ق.م وانتهى عام ١٢٠ ق.م، اشتهر بمواقفه المناوئة لأطماع اليهود في السيطرة على مملكة الأنباط ورد ذكره في التوراة باسم أرتاس وكان معاصرًا لأنطيوخس أبيفانوس (حوالي ١٧٠ ق.م). «وَكَاثَتْ خَاتِمَةُ أَمْرِهِ مُنْقَلَبًا سَيِّئًا، لِأَنَّ أَرْتَاَسَ زَعِيمَ الْعَرَبِ طَرَدَهُ؛ فَجَعَلَ يَفِرُّ مِنْ مَدِينَةٍ إِلَى مَدِينَةٍ، وَالْجَمِيعُ يَنْبَذُونَهُ وَيُبْغِضُونَهُ بِغُضَّةٍ مِّنْ ارْتَدَّ عَنِ الشَّرِيعَةِ، وَيَمَقُّتُونَهُ مَقَّتَ مَنْ هُوَ قَتَالٌ لِأَهْلِ وَطَنِهِ حَتَّى دُحِرَ إِلَى مِصْرَ». (٢ مك ٥: ٨)، وقد ذُكر بالأول لتمييزه عن من جاء بعده من ملوك مملكة الأنباط وحملوا اسم حارثة أو الحارث.

إن إشارة سفر المكابيين إلى أرتاس بزعيم العرب يؤكد أن الأنباط كانوا عربًا وهذا أكبر دليل على كذبة أن الأنباط كانوا يهود، كما يحاول بعض متبني السردية المقابلة تسويقها.

عبادة الأول

دخل الملك عبادة الأول بأول صدام مباشر مع اليهود عسكرياً فحاصر جيشه اليهود في أم قيس ودفعوا بهم للهروب، هذه الحرب جعلت الأردنيين الأنباط يردعون اليهود من التقدم باتجاه حوران الأردنية والجولان وجلعاد وعمون ومؤاب.

الحارث الثالث

استمر الصراع النبطي -اليهودي في عهده.

مالك الثاني

شارك بفرقة من الجيش قوامها ألف فارس وخمسة آلاف من المشاة في الحملة التي قادها القائد الروماني تيتوس عام ٧٠ ميلادي للقضاء على التمرد اليهودي الذي نشب في القدس، والذي انتهى بالقضاء على وجودهم في فلسطين.

الحارث الرابع

ورد ذكره في العهد الجديد في رسالة بولس الرسول الثانية إلى أهل كورنتوس الاصحاح ١١: ٣٢ فِي دِمَشْقَ، وَآلِي الْحَارِثِ الْمَلِكِ كَانَ يَحْرُسُ مَدِينَةَ الدَّمَشْقِيِّينَ، يُرِيدُ أَنْ يُمَسِّكَنِي، ٣٣ فَتَدَلَّيْتُ مِنْ طَاقَةٍ فِي زَنْبِيلٍ مِنَ السُّورِ، وَنَجَوْتُ مِنْ يَدَيْهِ. في عهده حدثت حرب بين الأنباط و اليهود في مكان عرف بإسم جمالا شمال نهر اليرموك وشرق بحيرة طبريا انتصر به الأنباط انتصاراً كبيراً على اليهود وصفه يوسيفوس في كتابه بالغضب الإلهي على هيرودس بسبب قتله ليوحنا المعمدان، البعض يسمي هذه المعركة بمعركة جلعاد ويؤرخها في عام ٧م.

الخضوع للحكم الروماني

خضعت منطقة الديكابولس ومملكة الأنباط للحكم الروماني المباشر في القرن الثاني الميلادي بداية من عام ١٠٦ بعد الميلاد، عندما تم ضم المملكة النبطية في عهد الإمبراطور تراجان. قُسمت الأردن حينها بين مقاطعتي فلسطين الثانية و فلسطين الثالثة (العربية البترائية

- المقاطعة الجديدة). استمرت المدن الأردنية حينها في التميز الواحدة عن الأخرى داخل المقاطعة الواحدة، لكن احتفظت هذه المدن بالهوية الهلنستية.

الضعف الروماني والقبائل العربية في الأردن

يصف إدوارد جيون الإمبراطورية الرومانية في نهاية القرن الثاني بأنها مملكة من الحديد والصدأ في إشارة لبداية لضعف الإمبراطورية منذ أن استلم الحكم الإمبراطور كومودوس (١٦١ - ١٩٢ م) حيث أخذ عهد كومودوس كبداية إنحدار الإمبراطورية الرومانية. وبعد إنهيار سلالة سيفيران، دخلت الإمبراطورية الرومانية بأزمة القرن الثالث، وهي فترة من الغزوات والاضطراب المدني، والانهار الاقتصادي والطاعون. واستطاعت مملكة تدمر أن تستقل بذاتها وتسيطر على كافة بلاد الشام ومنها الأردن، وخلال حكم أوريليان الذي حكم بين ٢٧٠-٢٧٥ قاد الإمبراطورية من حافة الهاوية وأرجع إستقرارها وبسط نفوذه ثانية على بلاد الشام.

استغلت القبائل البدوية العربية التي كانت تعيش في الجزيرة العربية والصحراء الأردنية حالة الفراغ والتوتر شرقي الأردن في القرنين الثاني والثالث الميلادي، لتتوسع نحو المدن والتي جاءت بعد الضعف والانهار الذي أصاب الدفاعات الرومانية في تلك الفترة، وكانت تتقدم نحو المدن والحوضر الأردنية أو تنسحب منها حسب الحالة السياسية والعسكرية في المنطقة. وبالرغم من محاولات الأمبراطورية الرومانية صد هجمات القبائل العربية إلا أنها لم تتمكن من منع القبائل العربية من التمدد نحو الأردن، وهو ما يفسر لجوء الدولة البيزنطية لاحقاً للقبائل الدول الوسيطة في حماية حدودها في المنطقة.

أما القبائل العربية التي دخلت الأردن، فكانت:

سليح

(وهم من قضاة) وكانت تحكم في الشمال ورأسهم حماطة، وهو ضجع بن سعد بن سليح بن حلوان، وإليه يُنسب الضجاعمة، وكان الضجاعمة ملوكاً أو سادة بالشام قبل

غسان، حيث أن بعض المصادر لا تصف سيطرة الضجاعة على بلاد الشام بمملكة بل بحكم أشبه بما يسمى بحكم شيوخ قبائل. وبني كلب وعاملة في الوسط (البلقاء) وطيء في الصحراء الشرقية، وجدام ولخم في الجنوب من الكرك وحتى العقبة.

الضجاعة

Al-Dagajimah - Al-Dagajimah يخبرنا محمد شفيق البيطار^(١) أنهم قبيلة قضاية جدهم حماطه ودُعي بضجعم. ويرجح أن (Zocomus أو Zeokomos) الذي كان عاملاً للروم على عرب الشام، في أواخر القرن الرابع الميلادي، ما هو إلا تحريف للاسم العربي (ضَجَعَم)، حيث أن الروم أمروه على العرب بعد قضائهم على زنوبيا سنة ٣٧٢ للميلاد.

انتقل الضجاعة السليحيين وغيرهم من قضاة في الجزيرة العربية إلى الشمال نحو الأردن في نفس الفترة تقريباً التي انتقل فيها التنوخيون الذين صاروا ملوك العراق ومنهم المناذرة والذين كانوا يقطنون جنوب الأردن والجزيرة العربية. وكان الضجاعة يحكمون بادية الشام وأطرافها ثم توسعوا نحو فلسطين وبلاد مؤاب التي بدأ يطلق عليها في حينه «أرض البلقاء»^(٢)، والبلقاء اسم عربي وكانت تنسب عمان إليها؛ فيقال: عمان البلقاء، وقد وردت عمان بهذه النسبة في الحديث النبوي الشريف (حَوْضِي مِنْ عَدَنَ إِلَى عَمَانَ الْبَلْقَاءُ، مَاؤُهُ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ وَأَكْوَابُهُ عَدَدُ نُجُومِ السَّمَاءِ، مَنْ شَرَبَ مِنْهُ شَرِبَ، لَمْ يَظْمَأْ بَعْدَهَا أَبَدًا)، والعرب هم من أطلقوا هذا الاسم على مناطق العمونيين والمؤابيين، بسبب جمالها الذي لم يروه في الجزيرة العربية، فالبلقاء من البلق، والبلق هو السواد والبياض، والألوان الجميلة الكثيرة، والخيرات الوفيرة، ولذلك كانت عمان تُنسب إلى البلقاء؛ كما في الحديث أنف الذكر. ووصفها ياقوت الحموي في معجم البلدان: (البلقاء كورة^(٣) بين

(1) <https://mail.arab-ency.com.sy/details/7468>

(2) بعض المصادر تقول أن أحد أسماء الأردن في تلك الفترة كان البلقاء، وعليه فإن ورود "البلقاء" كاسم في مصادر كان يعني الأردن.

(3) الكورة: البقعة التي يجتمع فيها قرى ومَحَالٌّ. جمع: كُورٌ: المَدِينَةُ وَكُلُّ بُقْعَةٍ تَجْتَمِعُ فِيهَا الْمَسَاكِينُ وَالْقُرَى، كَمَا تُطْلَقُ عَلَى الْمُقَاطَعَةِ الرَّيْفِيَّةِ.

الشام ووادي القرى قصبتها عَمَّان، وفيها قرى كثيرة ومزارع واسعة، وبجودة حنطتها يضرب المثل، ذكر هشام بن محمد عن الشرقي بن القطامي أنها سميت البلقاء لأن بالقي من بني عمان بن لوط عليه السلام عمرها، ومن البلقاء قرية الجبارين التي أراد الله تعالى بقوله: ﴿إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ﴾، وقال قوم: وبالبلقاء مدينة الشراة؛ شراة الشام، أرض معروفة، وبها الكهف والرقيم، فيما زعم بعضهم، وذكر بعض أهل السير أنها سميت ببلقاء بن سويدة من بني عسل بن لوط عليه السلام، وأما الاشتقاق فهو من البلق، وهو سواد وبياض مختلطان، ولذلك قيل: أبلق وبلقاء، والبلق أيضاً الفسطاط).

وقد وصلت إلينا أسماء عدد من ملوك الضجاعة السليحيين وأمرائهم، منهم: داود اللثقي بن هُبالة (هبولة) بن عمرو بن عوف بن ضجعم، ومقامه في مادبا^(١) كما يقال، إلا أن الحفريات الأثرية لم تكشف هذا المقام حتى تاريخه، وقد تنصّر فكره الدماء والقتل، وبني ديراً، فكان ينقل الطين والماء على ظهره، فلُقِّبَ اللَّثَّقُ^(٢)، لِلثُّوقِ ثِيَابِهِ بجسده، ونُسِبَ الدَّيرِ إليه فسمي دير داود، فلما تعبَدَ ضَعُفَ، فأمره ملك الروم^(٣) بالغزو، وكان على خيله جعفر بن صبح التنوخي. وفي جيشه زهير بن جناب الكلبي، وثعلبة الفاتك بن عامر الأكبر الكلبي، ومعاوية بن حجر المَشَجَعِي، وكلهم من قضاعة، فغزوا عبد القيس فغنموا ورجعوا، وفي الطريق تذاكر رجال قضاعة ما دخلهم من الذل بسبب داود، فتواعد ثعلبة الفاتك ومعاوية بن حجر على قتله، حتى إذا كان في موضع يقال له (برقة حارب) من أرض الشام، وأمامه شمعة، تقدّما فأطفأها وقتلاه.

ومن ملوكهم ابن عمّ داود (ذياد بن هبولة ابن عمرو) بالذال؛ ومنهم من يسميه (زياد بن هبالة) بالزاي، ويجعله أخا داود، وكان معاصراً لآكل المرار، حجر بن معاوية بن الحارث

(١) أنظر مقالتي حول هذا الموضوع في آخر الكتاب والذي نُشر في موقع الحوار المتمدن بتاريخ ٢٠٢٥/٧/١٨ الحوار المتمدن-العدد: ٨٤٠٧ - ٢٠٢٥ / ٧ / ١٨ - ٢٠:٤٩

(٢) اللَّثَّقُ: الماء والطِّينُ المختلطان، وحل، ويقال: لَثَّقْتُ ثِيَابَهُ أي نَدَيْتَ

(٣) لا بد أن نفرق بين الروم قبل بداية حكم قسطنطين العظيم سنة ٣٢٥م والروم بعده، والبعض يفرق بين الروم على تاريخ تنصّر قسطنطين سنة ٣١٥م، وآخرين على بناء القسطنطينية سنة ٣٣٠م، وآخرين على وفاته عام ٣٣٧م. بالرغم من هذا الاختلاف إلا أن التقارب بين التواريخ يجعل الأمر هيناً فعندما نقول الروم قبل قسطنطين فإننا نعني الإمبراطورية الرومانية وكانت إمبراطورية وثنية، وعندما نقول الروم بعد قسطنطين فإننا نقصد الإمبراطورية الرومانية الشرقية أو البيزنطية والتي كانت مسيحية.

الكندي، جد امرئ القيس، وفي زمن (زياد) كان أول قدوم الغساسنة إلى الشام، بعد تهديم سد مأرب، بقيادة ثعلبة بن عمرو بن المجالد ابن عمرو بن عدي بن مازن بن الأزد، ف وقعت بينهما حربٌ ظهرت فيها سليح، فاتفقوا على أن تؤدّي غسان إلى سليح إتاوة عن كل رجل؛ وكأن الحرب هي المقصودة بقولهم في المثل «يوم كيوم القسطل»، وهو موضعٌ أدركت سليح فيه غسان، و(القسطل) قرية قديمة بين دمشق وحمص من أرض القلمون قريبة من بادية الشام التي كان فيه السليحيون، فلعلها المقصودة.

ومن ملوكهم أيضًا سبيط بن المنذر بن عمرو بن عوف بن ضجعم وبعضهم يسميه سبطه جاء يجبي الإتاوة وشدّد في طلبهم، فأرسله ثعلبة بن عمرو إلى أخيه (جذع بن عمرو) وكان فاتكًا، فقتل سبيطًا في خبر يذكرونه عند الحديث عن المثل (خذ من جذع ما أعطاك)، ف وقعت لذلك الحرب بينهم ثانية، في موقع يقال له المحفّف ولا يمكن الجزم بموقع هذا المكان وإن كان على الأغلب في بادية الشام قريبًا من حوران، وامتنعت منهم غسان، فأرسل ملك الروم إلى الغساسنة، فأقرهم مكان الضّجاعمة، وكان ذلك في زمن ملك الروم (أنستاسيوس الأول) الذي حكم بين (٤٩١ - ٥١٨ م).

وتعدّ سليح من القبائل العربية المنتصرة، وهم ممّن وقف في وجه المسلمين في فتوح الشام، وفي حروب الردة.

الغساسنة

يخلط البعض بين الغساسنة والسرّيان فورد في بعض المصادر أن الغساسنة سرّيان، إلا أنّهما في الحقيقة قوميتان مختلفتان، لكن الغساسنة اتبعوا الكنيسة السريانية في عقيدتهم وطقوسهم الدينية.

الغساسنة قبائل عربية هاجرت من اليمن إلى بلاد الشام في القرون الأولى للميلاد^(١)، واستقروا في منطقة حوران واتخذوا من بصرى عاصمة لهم. بينما السريان شعب له هويته

(١) يرى جواد علي في كتابه تاريخ العرب قبل الإسلام أنه من الصعب التحقق من رواية هجرة الغساسنة بسبب سيل العرم وهدم سد مأرب، لافتًا أنه لم يحدد أهل الأخبار زمان حدوث هذا السيل، كما أنه ليس سيلًا واحدًا، ليتمّ اعتباره مبدأ لتأريخ هجرة الأزد من اليمن إلى الشمال، ومن ثمّ إن تحديد وقت وصول الغساسنة إلى بلاد الشام يفتقد للدقة إلى حد ما.

العرقية واللغوية الخاصة به، وعاشوا في شمال ووسط سورية والعراق وامتد تأثيرهم نحو مناطق استقرار الغساسنة كما أن الغساسنة أمتد حكمهم في المناطق المأهولة بالسريان، وهذا الاختلاط شكل تأثيراً متبادلاً، خصوصاً عندما اعتنق الغساسنة المسيحية، فتأثر الغساسنة بالثقافة واللغة السريانية، حيث كانت السريانية اللغة الطقسية لدى الغساسنة. بالمقابل، تأثر السريان الذين عاشوا تحت حكم الغساسنة بالثقافة العربية واتقنوها بالإضافة إلى لغتهم الأم، ولأن معظم الغساسنة اعتنقوا العقيدة يعقوبية (المنوفيزيتية) فإنهم كانوا أتباع إلى الكنيسة السريانية مما شكل شرخاً بين الغساسنة والروم (الحكومة البيزنطية) التي كانت تعتقد بالعقيدة الملكانية، مما عزز من التقارب الغساني - السرياني، بينما وقع بعض الغساسنة وملوكهم للإضطهاد من الحكومة البيزنطية.

لقد تمكنت المنوفيزيتية في بلاد غسان وازدهرت فيها أبرشيات عامرة، وتسلسل مطارنتها وأساقفتها جيلاً بعد جيل قرونًا عديدة، نذكر منها أبرشية بصرى، ودرعا أو أدرعت، وغيرها، ذلك ما عدا أبرشيات العرب الرُّحَّل كعرب تغلب، ومعد، وكتب وغيرها، وقد تولاها أساقفة كانوا تارة من السريان وتارة أخرى من غسان أي من العرب مع الحفاظ على اللغة السريانية في الطقوس.

ومن الجدير ذكره أنه بعد الفتح الإسلامي للشام انهارت الدولة الغسانية وذاب الغساسنة وكثير من القبائل في العرب واعتنق الكثير منهم الإسلام، بينما استمر الوجود السرياني وتطور خصوصاً في عهد الدولة الأموية.

أما قصة الغساسنة فتبدأ من اليمن التي تعتبر أصل العرب، فالغساسنة قبائل من اليمن، هناك نشأت مملكة سبأ بالقرب من سد مأرب، وملكهم عمرو بن عامر «الميزقياء»، وعندما علم هذا الملك أن السد سينهار، جمع هذا الملك القبائل الأزدية وبدأ يتحرك نحو بلاد الشام، وأول مكان استقروا فيه هو جبل السروات جنوب الجزيرة العربية، ورأى بعض قبائل الأزدية أن يستقروا هناك، فبقيت قبليتي نصر وقبيلة بني عوف لكن الملك عمرو بن عامر وباقي القبائل الأزدية رحلوا بعد استراحتهم نحو الشام، وبعد فترة من التنقل استقروا في

تهامة بالقرب من بئر اسمه غسان، وهناك أُطلق على القبائل الأزدية التي استقرت بالقرب من بئر غسان بالغساسنة، وبعد فترة من الاستقرار رحل الغساسنة شمالاً ووصلوا إلى مكة فاستقروا على أطرافها، وكانت تحكم مكة حينها قبيلة جُرهم، وهناك استقرت بعض القبائل الأزدية في مكة وسميوا بخزاعة لأنهم انخزعوا عن القبائل الأزدية، ثم اكملت ما تبقى من قبائل الأزدية التي تحمل اسم الغساسنة في طريقهم للشام، فوصلوا يثرب (المدينة المنورة) والتي كان يسكنها اليهود، وقررت القبائل الاستراحة في يثرب لفترة من الزمان، وعندما استقر الرأي للرحيل شمالاً قررت قبيلتين البقاء، هما قبيلتي الأوس والخزرج، وفي الطريق شمالاً مات الملك عمرو بن عامر قبل وصوله للشام، وبعد وفاته تولى ابنه جفنة بن عمرو مُلك القبائل الأزدية، ووصلت تلك القبائل إلى حوران في الشام حيث يؤرخ وصولهم إلى جنوب الشام بين ٢٠٠-٣٠٠ بعد الميلاد، وحوالي ٤٠٠ بعد الميلاد، أصبحوا المهيمين في صحراء الأردن وجنوب شرق الشام، وعند وصولهم إلى حوران في بداية القرن الخامس الميلادي وجد الغساسنة قبيلة تسكن تلك البقاع اسمها الضجاعة وملكهم عمرو بن مالك، فطلب الغساسنة من الضجاعة الاستقرار بجانبهم، فوافق الضجاعة على طلب الغساسنة بشرط دفع أتاوة سنوية، فوافق الغساسنة والتزم الطرفان بالاتفاق، حتى قرر عمرو بن مالك ملك الضجاعة رفع قيمة الأتاوة على الغساسنة، وخيرهم بين الحرب أو الرحيل، فبدأت الحرب بينهما، فناصر الروم الضجاعة ضد الغساسنة، لكن النصر كان حليف الغساسنة فأصبح المُلك للغساسنة، لكن الغساسنة لم يتردوا الضجاعة من أرضهم، ولكن انتزع المُلك منهم وأصبح جفنة بن عمرو^(١) ملك الغساسنة في الشام، ومن نتائج هذه الحرب أن الروم كرهت الغساسنة لأنهم قتلوا جيش الروم الذي ساند الضجاعة في حربهم.

وعندما مات جفنة تولى المُلك ابنه عمرو بن جفنة الذي اعتنق النصرانية وبنى عدة أديرة، وقام بتوسيع حكمه إلى كامل الأراضي الأردنية، وعمل على التحالف مع القبائل العربية التي كانت تحيط بمملكته بما في ذلك قبيلة الضجاعة، وكانت علاقته مع الدولة الرومية تتسم بالخصاص والخلاف.

(١) لذلك يُطلق على الغساسنة لقب أبناء جفنة أيضاً.

ولأن الغساسنة كانت على طرف الأمبراطورية الرومية، فكان لا بد من أن تكون الدولة المجاورة حليفة للروم وخاضعة لها، ولذلك كان التفكير لدى الروم بضرورة أن تحكم هذه المنطقة قبيلة أو مملكة عربية تدين بالولاء للإمبراطور البيزنطي، وكانت رغبة الروم حينها أن لا تحكم غسان تلك البقعة المهمة من الأرض العربية. وفي أحد الأيام قرر عمرو بن جفنة أن يذهب لزيارة منطقة بلعا (بلعة) ولعلها بلعما الآن في محافظة المفرق وكان ملك (أعتقد أن اللقب الأنسب هو شيخ) بلعا حارثة القضاعي العربي في جزيرة العرب، وقد وصلت هذه الأخبار إلى قيصر الروم دقيوس (دقيانوس) فقرر القيصر الغدر بعمرو عن طريق غزو بالعة سرّاً لقتله وتدمير مُلكه، وقد أعد القيصر خطة لذلك وقام بجمع كُلّ الروم المتواجدين في الأردن وأمر سكان بالعة من قبيلة بنو سليح حلفاء الروم بأن يُساعدوا الروم على محاربة الغساسنة، فقال فُرسان قبيلة بنو سليح: «نغدرُ بإخواننا وقد لجئوا إلينا ولم نرى منهم إلا خيراً؟!»، فقال رجل منهم: «إنكم بين أمرين: إما قيصر وإما غسان! فكونوا بأجسامكم مع قيصر وبقلوبكم مع غسان» فقرروا أن يُساعدوا الروم في الظاهر، وقد علِم الغساسنة بالمعركة المنتظرة فتجهزوا لها، وفي يوم القتال التقى الجيشان، وكان بنو سليح قد اتفقوا مع بعضهم أنهم لن يُقاتلوا مع الروم ولن يحاربوا الغساسنة وبل يساعدونهم على الفوز بطريقة غير مباشرة، سعيّاً بأن لا يغدروا بإخوانهم العرب ولا يدمروا علاقتهم الجيدة مع الروم، وكان الغساسنة على علم بهذا الاتفاق، فقاتل غسان الروم مقتلةً عظيمةً وفازوا عليهم، وبعد قتل الروم وفوز قبيلة الغساسنة، توترت العلاقة أكثر، فالتقى الغساسنة مع الروم في معركة أُخرى وقعت في مرج الظباء في منطقة قنسرين جنوب حلب، وفي هذه المعركة التي سميت بيوم حليلة، كان الروم أكثر من ذي قبل بينما كان الغساسنة (بنو جفنة) قلة ومن معهم قليل أيضاً ولكنّ جيش الغساسنة صبروا واقتتلوا مع الروم قتالاً شديداً، وقد رأى عمرو بن جفنة قلة قومه وازدياد الروم وكان يُقاتل إلى جانبهم من العرب جنود من قبيلة بنو سليح وكنانة وقبيلة جذام. وحينما كانت المعركة تميل لصالح الروم قام فارس من كنانة يُسمى زيد بن نمر الكناني بالصراخ على العرب قائلاً: «والله تأنف النفوس من هذا!! ما ترون الروم يقتلون غسان ويهدمون بني قحطان؟! ونحن نُسرّ بذلك ونعين عليهم»، وبعد ذلك صرخ

الملك عمرو بن جفنة على جيشه: «يا بني جفنة أطيعوني في أمرٍ أُشير به عليكم، قد افترق عنكم من هولكم وفشت فيكم الجراح وتكالت العلوج^(١) عليكم، والله لأمرن السيف على ودجي قبل أن أولي ظهري أعجمياً^(٢)!!»، فسأله فرسانه: «فماذا ترى؟ رأيك يا عمرو؟»، فأرسل عمرو رسالة إلى قيصر الروم الذي كان يقود الجيش المُقابل يطلب منه الهدنة، فرد عليه القيصر: «لا صلح حتى ترمونَ سلاحكم وتسلموا أنفسكم للبلاء! لنا!» وعندما سمع الغساسنة ذلك أخذتهم عزة النفس والكرامة وزاد غضبهم ونهضوا للقتال من جديد واشتد أمرهم على الروم، فأرسل لهم القيصر: «احبسوا أسلحتكم وأسمعوا وأطيعوا!!»، فأرسل ملكهم عمرو إلى الروم قائده جذع بن سنان الغساني ليتفاوض معه ويرد عليه، فقال جذع للقيصر عندما وصل له: «نحن قومٌ لم تجر علينا طاعةً لأحدٍ غير تبع وكانت علينا وعليكم، ولكن أرى ما أحببتَ غير هذين (يقصد بـ «هذين» السمع والطاعة)»، فاشترط عليه القيصر أن يعطيه كُلَّ غسانيٍّ ديناراً ذهبي كجزية في موعد محدد كل فترة فوافق الغساسنة وتصالحوها مع الروم على أن يعطوهم ديناراً عن كل شخصٍ منهم وانتهت المعركة بين الجيشين.

ثم حدثت حادثة جذع بن سنان الغساني، ففي السنة التي بعدها كانت ديار الغساسنة قد أصبحت أرضها جافة لا ينبت فيها الزرع وجف منها الماء ولا ينزل عليها مطراً، لذا اضطرت قبيلة غسان على أن ترحل لفترة إلى أرض أخرى تُنبت وتزرع فذهبوا في الشتاء إلى وادي يُقال له المحفف (قد يكون المجفف وهو في وادي الموجب في الأردن) فمضى الشتاء عليهم هناك بصعوبةٍ شديدة، وفي ذات الوقت حيث كان الغساسنة يُعانون من نقص الطعام والماء والمال أرسل إليهم القيصر رسولاً له عربياً من قبيلة بنو سليح من عشيرة الضجاعة اسمه وسيط بن عوف الضجعمي حيث قام القيصر بإرساله مع أصحابٍ له ليقوم بجمع الإتاوة، وأمر القيصر وسيط بن عوف الضجعمي بأن يكون غليظاً فظاً ومُسيئاً، وجمع وسيط الإتاوة رغم فقر الناس إلى أن وصل إلى بيت الفارس جذع بن سنان الغساني فدخل بيته وتحرش بزوجه وطلب الإتاوة وهو يهينه، فأخذ الأخير سيفه وخدع وسيط وقام بإعطاؤه حذاءً بدلاً من

(١) أتذكرون اللقب الذي أطلقه وزير الإعلام العراقي على الحلفاء في حرب الخليج الثانية؟

(٢) لقب أطلقه العرب على غيرهم.

المال ثم وثب عليه وقطع رأسه ورماه على الأرض باتجاه الروم ثم نادى أولاده وأولاد أخيه وقال لهم: «عليكم بأولئك العلوج» فتوآب أقارب جذع على رجال الروم فقتلوه جميعهم وأخذوا ما معهم من المال الذي جمعه من الغساسنة، وبعد هذه الحادثة ثارت ثورة الروم وقبيلة بنو سليح بسبب قتل وسيط بهذه الطريقة، واشتعلت نيران الحرب بين غسان والروم، وانضمت قبيلة سليح إلى الروم لأخذ الثأر لوسيط، بينما أتى من شبه الجزيرة العربية الملك حارثة بن ثعلبة العنقاء بن عمرو مزقياء بن عامر ماء السماء الأزدي ابن عم الملك عمرو مع أبناء أعمامه حتى ينصروا ابن عمهم وأحضر حارثة معه أبناءه الأوس والخزرج لكي يشاركوا في المعركة، وأيضاً انضم إلى المعركة إلى جانب حارثة بن ثعلبة العنقاء عدد كبير من الأزد لأجل نصره الغساسنة، ولما وصلت هذه الأخبار إلى الروم جمعوا جمعاً عظيماً أيضاً، فالتقوا في وادي المحفف واقتتلوا قتالاً شديداً حيث كان عمرو بن جفنة الملك قائد جيش الغساسنة ومن جهة أخرى كان قيصر الروم قائداً عليهم فانهمزمت الروم ولما تيقن القيصر هزيمتهم خشي أن يحدث انشقاق ومشاكل في ملكه أكثر وخاف من حدوث فجوة بين رعيته وشعبه فأرسل إلى الغساسنة بعد الهزيمة يقول: «إن الرعية قد ظلمتكم، ولم أعلم بظلمكم حتى الآن» وطلب الصلح معهم فاتفقوا معه على ما يريدون ليتم الصلح فأعطاهم ما يريدون، ومن بعد هذه الحادثة تثبت حكم الغساسنة وقويت شوكتهم وعظم ملك عمرو بن جفنة، وتصلح قيصر الروم مع عمرو بن جفنة على أن لغسان ملك الشام وأن لأشراهم بالشام ما لأشراف الروم بأرض الروم، وأنه على الروم إذا ما غزا أحد الغساسنة وديارهم أن ينصروهم الروم بأربعة آلاف فارس وثمانية آلاف جندي من المشاة فأصبحوا حلفاء للروم، وقد كانت هذه الاتفاقية بين الروم والغساسنة جارية حتى فتح المسلمين الشام.

ملوك الغساسنة

يقول محمود عرفه محمود في كتابه: «العرب قبل الإسلام وأحوالهم السياسية والدينية وأهم مظاهر حضارتهم» حول ملوك الغساسنة: «كان للغموض الذي أحاط بتاريخ سني حكم ملوك الغساسنة وترتيب توليهم المملكة، أن اختلف المؤرخون في عدد ملوك هذه الدولة

وفي مدة حكمها، فذكر حمزة الاصفهاني أن ملوك غسان كانوا اثنين وثلاثين ملكًا، حكموا نحو ستمائة عام، وذكر أبو الفدا أنهم كانوا ثلاثين ملكًا، بينما يرى كل من المسعودي وابن قتيبة أنهم كانوا أحد عشر ملكًا فقط وعند نولدكة عشرة ملوك، ولدى هرشفلد سبعة ملوك، وهو العدد نفسه الذي يميل إليه المؤرخ اللبناني جرجي زيدان، كما أورد في كتابه «تاريخ العرب قبل الإسلام» ويشير المؤرخ محمد بيومي مهران في كتابه «دراسات في تاريخ العرب» إلى قلة المصادر التاريخية التي توثق تاريخ دولة الغساسنة، وفقدان كثير منها الموضوعية التاريخية التي يمكن الاعتماد عليها، مرجعًا ذلك لعدة أسباب، منها أولاً اختلاط أخبار الغساسنة بالقبائل العربية التي سبقتهم إلى سوريا، وكانت خاضعة لحكم الرومان؛ ثانيًا التزام المؤرخين الذين تناولوا أخبار الغساسنة بالناحية الأدبية وإهمال تاريخهم السياسي؛ ثالثًا التشابه في الأسماء بين حارث ومنذر ونعمان، والاختلاف حول عدد ملوك الدولة، وهو ما يدل على ما يحيط بأسرة آل جفنة من غموض بحسب رأيه.

وكان أول ملوك الغساسنة، جفنة بن عمرو بن مزريقاء فلما توفي، خلفه ابنه عمرو بن جفنة، ثم ولي من بعده ثعلبة ابن عمرو بن جفنة الذي ينسب إليه بناء صرح السدير في اطراف حوران مما يلي البلقاء. ولما توفي ثعلبة ولي بعده ابنه الحارث ثم حفيده جبلة الذي قام بغزو فلسطين سنة ٥٠٠م. ويعد الحارث الثاني بن جبلة (٥٢٨ - ٥٦٩م) الذي خلف أباه في مملكة الغساسنة، أعظم ملوكهم، فقد ولي عرش المملكة أكثر من أربعين سنة. وأقام علاقات وطيدة مع امبراطورية الروم واشترك معها في حروبها ضد الفرس وابلى بلاء حسنًا، فانعم عليه الامبراطور جستنيان (٥٢٧ - ٥٦٩م) بأعلى الألقاب الإمبراطورية فانعم عليه بالإكليل ومنحه لقب phylarch (شيخ القبائل)، ولقبه أيضًا بلقب (patricius)، وهو اعظم لقب بعد الامبراطور الذي كان يعد مقصورًا على أباطرة الروم، وعلى ذلك يعتبر الحارث الثاني أول ملوك الغساسنة الذي تلقب بلقبين كبيرين هما فيلارخ وبطريق... وعلى الرغم من معارضة الروم للمذهب اليعقوبي على اعتبار أنه مذهب مناهض لسياسة الإمبراطورية، إلا أن الحارث بن جبلة استطاع أن يقلل من غضب أساقفة الكنيسة الامبراطورية ومحاولة التقريب بين آراء رجال المذهبين، مما ساهم في بقاء المذهب اليعقوبي وانتشاره في بلاد

الشام، وقد سار المنذر بن الحارث على نهج أبيه في تأييد المذهب اليعقوبي مما قلل من تأييد الأباطرة له، لكنهم على الرغم من ذلك اضطروا للاستعانة بالمنذر للتصدي للمناذرة، الذين هددوا تخوم الإمبراطورية... وكان لإنصار المنذر بن الحارث على المناذرة، ومنعهم من الغزو والإغارة على حدود الإمبراطورية، أن دعاه الإمبراطور البيزنطي تييريوس الثاني قسطنطين (٥٧٨ - ٥٨٢م) لزيارة القسطنطينية، فلما وصل عاصمة الإمبراطورية، استقبل استقبالاً حافلاً، وأنعم الإمبراطور عليه بالتاج فلقبه مؤرخو العرب بلقب المنذر ملك العرب... وكان جبلة بن الايهم هو آخر ملوك البيت الغساني الذي استعان به الروم بعد استردادهم السيطرة على بلاد الشام. وقد اشترك جبلة بن الايهم مع الروم في واقعة اليرموك سنة ٦٣٦م. التي انتصر فيها المسلمون.

الغساسنة في الأردن

يمكن اعتبار ملوك الغساسنة خلفاء لملوك الأنباط في الأردن، وفي عهد الحارث بن جبلة الملعب بالأعرج^(١) (٥٢٩-٥٦٩م) بلغت المملكة الغسانية ذروة اتساعها، فقد امتدت من حدود البتراء إلى الرصافة شمال تدمر، واشتملت على البلقاء والصفاء^(٢) وحواران، لذلك يُطلق عليه اسم الملك الغساني الأردني بالإضافة لأسماء أخرى منها ملك العرب، والمحب للمسيح وغيرها.

مهد الحصار الاقتصادي على الأنباط وسقوط العاصمة بترا في أيدي الروم بعد محاولاتهم الكثيرة في القرن الأول والثاني إلى خلق جو من الفراغ السياسي. ودفع هذا الفراغ بالغساسنة إلى إنشاء كياناتهم السياسي المستقل ومد هذا الكيان نحو البتراء، وإرساء علاقات تحالف جيدة مع الروم والدفاع بشراسة عن حدودهم وأمانهم وحريتهم الدينية. وأغلب الظن أن الحكم في دولة الغساسنة كان أقرب لحكومة مركزية تتشعب منها حكومات محلية.

(١) أول شخصية متفق عليها في تاريخ الجفنيين، وعاصر الإمبراطور جستنيان وكسرى أنوشيروان والمنذر الثالث ملك الحيرة، وكانت تربطه علاقات قوية معهم، وكان رجلهم الأول في مواجهة ملك الحيرة.
(٢) الصفاء هنا كما وردت في عدة مصادر لكن إن كانت موقع أردني فقد تكون الصفراوي في البادية الأردنية الشمالية الشرقية.

أهمية كنيسة تل العمري الغسانية

تل العمري موقع أثري يقع في محافظة العاصمة، على بعد ١٦ كم جنوب عمان على طريق المطار، وهي جزء من موقع أثري أوسع يعود إلى عصور مختلفة، بما في ذلك العصر الحجري النحاسي والبرونزي والهيلينستي. والموقع تم حمايته أثناء توسعة طريق المطار.

يحمل الموقع الاثري آثار ثلاثة عصور هي الروماني المتأخر والبيزنطي والأموي، لكن أهم شيء أن التنقيب كشف عن أساسات مبنى ضخم تمثل كنيسة «بيزنطية» على النظام البازيلكي وتضم رواقا يتوسط الصحن، إضافة الى رواقين جانبيين صغيرين.

وكشف التنقيب كذلك عن نقش يوناني طوله ٣,٥ متر وعرضه ٧٠ سنتيمترا ويتكون من سبعة أسطر تخليدا لذكرى إنشاء الكنيسة، يذكر النقش الذي تم اكتشافه أنه تم رصف مقام القديس سرجيوس (سركيس)، شفيع الأردنيين الغسانية بالفسيفساء، وبأن هذا العمل مهدى للملك الأردني الغساني المنذر بن الحارث. ويخلد النقش أيضا بناء الكنيسة التي تم التنقيب عن آثارها حديثا ليتم الكشف عن صحنها وخزان ماء وعدة مرفقات أخرى.

ترجمة النص عن اليونانية: «يا رب ، تقبل قربان المتبرع صاحب الكتابة ، عبدك موسيليوس وأبناءه

يا رب يسوع المسيح ، إله القديس سرجيوس ، احمي القائد بالغ التعظيم المنذر

يا إله القديس سرجيوس، بارك خادمك أوزيبوس وأبناءه!

يا إله القديس سرجيوس، بارك ابنك يوانيس مع زوجته وأولاده!

يا إله القديس سرجيوس، بارك خادمك عبد الله وديونيسيوس و [— —]!

في عهد الأسقف بوليوكتوس، المحبوب من الله، تم رصف هذا الضريح للشهيد القديس سرجيوس بالفسيفساء بسعي من ماري، ابن ربوس، الكاهن الأكثر تقوى، وجورجيوس الشماس، وسابينوس وماريا. في شهر أبريل في وقت [..].»

تكمُن أهمية هذه الكنيسة في أنها كنيسة منوفيزية أي تتبع العقيدة يعقوبية، وهي العقيدة المخالفة للعقيدة الملكية الرسمية^(١)، وللمنذر بن الحارث (٥٦٩ - ٥٨١ م.) والمعروف لدى الروم بلقب (Flavios)، المذكور في النقش، دور في حماية هذه العقيدة وثبتت أركانها، ووصفه توفيق برو في كتابه تاريخ العرب القديم: «كان متطرفاً في تأييد مذهب الطبيعة الواحدة للمسيح، وقد حدث جفاء بينه وبين البيزنطيين بسبب ذلك، إذ ارتاب الإمبراطور جوستين» ابن أخي جوستينيان وخليفته «بؤلاء المنذر؛ نظراً لتعصبه الشديد لمذهبه» وهذا يقدم لنا أن هذه الكنيسة كانت واحدة من الكنائس التي بناها المنذر، ورغم أن النقش باليونانية وهي اللغة الرسمية، إلا أن الغساسنة كانوا عرباً يصلون صلاتهم الطقسية بالسريانية لذلك فهم يتبعون عقائدياً وطقسياً الكنيسة السريانية الأرثوذكسية.

العلاقات بين الأردن ومحيطه

لا بد للدليل السياحي الأردني من المعرفة الجيدة بموضوع العلاقات بين شطري نهر الأردن أو كما سمي بين ضفتي النهر، كذلك معرفة العلاقات بين الأردن ومحيطه. وإذا أردنا تقسيم هذه العلاقات إلى فترات أو حقب فإن هناك فترتين حساستين عبر التاريخ، الفترة الأكثر حساسية والتي تمتد من نهاية العصر النحاسي المتأخر والعصر الحديدي حتى صدر الإسلام، والفترة الثانية هي منذ عام ١٩٢١ وحتى الآن. وإذا كانت الفترة الثانية معروفة تقريباً كونها الأحداث، ناهيك عن أن هناك تقريباً ثبات نسبي في جوانب معينة، وقلة الأحداث التي مرت على الأردن، إلا أن الجدل القائم حالياً هو حول الفترة الأولى التي يمكن أن نقول عنها متميزة في تقلب الحضارات، وتعرض الأردن حينها لعددٍ لا يحصى من التقلبات السياسية والعسكرية.

بهذا الصدد نؤكد أن على الدليل السياحي معرفة تفاصيل بلده. هذه المعرفة التي يجب أن يتمتع بها الدليل السياحي، لا يجب طرحها فقط كموضوع سياحي، أو سردية اجتماعية،

(١) لا مجال للدخول في العقيدة في هذا الكتاب لكن يمكن للقارئ إن رغب بذلك معرفة الفرق بين عقيدة الملكية التي كانت تعتبر العقيدة الرسمية في الدولة البيزنطية والعقيدة يعقوبية أو المنوفيزية في مقال للكاتب نشر في الحوار المتمدن.

بل على الدليل أن يفهمها جيداً من الناحية الجوسياسية والقومية والفكرية أيضاً، وأن يكون جاهزاً لنقاش مع أي زائر مهما اختلفت توجهاته وانتماءاته ومرجعياته، ليس بهدف إظهار تطرف ديني أو تعنت سياسي، بل ليكون سفيراً متمكناً لوطنه، ولديه من المعارف ما يكفي ليقدم سردية تاريخية على أرض صلبة، وليدخل في نقاش ودي يدافع فيه عن الوطن والتاريخ الأردني والهوية الأردنية ضد أي محاولة مهما كانت لتهميش الأردن أو شعبه عبر العصور المختلفة أو وضع هذه الأرض والبقعة المميزة من العالم في موضع ثانوي.

لا نستطيع الجزم إن كانت علاقة الأدميين والمؤابيين والعمونيين فيما بينهم، جيدة دائماً فأحياناً كانت العلاقات فيما بينهم يسودها بعض التوتر والخلافات، والصراعات والحروب، كما توسعت بعض الممالك المتجاورة على حساب جاراتها من الممالك الأخرى في فترات القوة والضعف، لكن فيما يبدو أن الاحتكاك السياسي بين هذه الممالك الأردنية كان في حدودها الدنيا من حيث الخلافات، فيما تحالفوا كثيراً في وجه التهديدات الخارجية التي تحيق بوجودهم، والأمر المؤكد أن شعوب هذه الممالك من الأردنيين الأوائل، كانت تجمعهم علاقات جيدة وتحالفات، حيث لا يمكن بشكل من الأشكال عزل هذه الشعوب التي نشأت وتطورت في تزامن وتحت ظل ظروف مشتركة عن بعضها بعضاً.

العلاقات بين صفتي النهر:

إن القارئ للتوراة يعلم أن العلاقات بين ممالك مؤاب وعمون وأدوم من جهة وإسرائيل من جهة أخرى لم تكن جيدة، وكانت السمة العامة لهذه العلاقات التوتر والحروب، فأحياناً كان ينتصر هذا الطرف وأحياناً ينكسر، وأن الاحتلال اليهودي كان يمتد خلالها أو يتقلص، ولكن هذه الممالك في الأغلب لم تكن على علاقات طيبة مع الجانب الآخر من النهر. كما أن مسألة ميشع تقدم لنا سردية واحدة منها، كذلك كان الحال في الفترات اللاحقة خلال الحكم الفارسي والهلنستي حيث يمتد الاحتلال حيناً وينحسر حيناً أخرى، وهذا شرح مبسط لتلك الحالة:

١- ورد في العهد القديم أن الملك الأموري سيحون اتخذ من بلدة حشبون وهي حسان حاليًا عاصمة له، كما ورد فيه أن العبرانيين انتصروا على هذا الملك ودمروا حشبون: «وَأَرْسَلَ إِسْرَائِيلُ رُسُلًا إِلَى سِيحُونَ مَلِكِ الْأَمُورِيِّينَ قَائِلًا: «دَعْنِي أَمْرًا فِي أَرْضِكَ. لَا نَمِيلُ إِلَى حَقْلٍ وَلَا إِلَى كَرْمٍ وَلَا نَشْرَبُ مَاءَ بئر. فِي طَرِيقِ الْمَلِكِ نَمْشِي حَتَّى نَتَجَاوَزَ تُخُومَكَ». فَلَمْ يَسْمَعْ سِيحُونَ لِإِسْرَائِيلَ بِالْمُرُورِ فِي تُخُومِهِ، بَلْ جَمَعَ سِيحُونَ جَمِيعَ قَوْمِهِ وَخَرَجَ لِلِقَاءِ إِسْرَائِيلَ إِلَى الْبَرِّيَّةِ، فَاتَى إِلَى يَاهِصَ وَحَارَبَ إِسْرَائِيلَ. فَضَرَبَهُ إِسْرَائِيلُ بِحَدِّ السَّيْفِ وَمَلَكَ أَرْضَهُ مِنْ أَرْنُونَ إِلَى يَبُوقَ إِلَى بَنِي عَمُّونَ. لِأَنَّ تُخَمَ بَنِي عَمُّونَ كَانَ قَوِيًّا. فَأَخَذَ إِسْرَائِيلُ كُلَّ هَذِهِ الْأُمْدُنِ، وَأَقَامَ إِسْرَائِيلُ فِي جَمِيعِ مُدُنِ الْأَمُورِيِّينَ فِي حَشْبُونَ وَفِي كُلِّ قَرَاهَا. لِأَنَّ حَشْبُونَ كَانَتْ مَدِينَةَ سِيحُونَ مَلِكِ الْأَمُورِيِّينَ، وَكَانَ قَدْ حَارَبَ مَلِكُ مُوآبَ الْأَوَّلَ وَأَخَذَ كُلَّ أَرْضِهِ مِنْ يَدِهِ حَتَّى أَرْنُونَ. لِذَلِكَ يَقُولُ أَصْحَابُ الْأَمْثَالِ: «إِيتُوا إِلَى حَشْبُونِ فَتَبْنُوا، وَتُصْلَحَ مَدِينَةُ سِيحُونَ. لِأَنَّ نَارًا خَرَجَتْ مِنْ حَشْبُونِ، لَهَبًا مِنْ قَرْيَةِ سِيحُونَ. أَكَلَتْ عَارَ مُوآبَ. أَهْلَ مُرْتَفَعَاتِ أَرْنُونَ. وَيُلْ لَكَ يَا مُوآبَ. هَلَكْتَ يَا أُمَّةَ كَمُوشَ. قَدْ صَيَّرَ بَنِيهِ هَارِيبِينَ وَبَنَاتِهِ فِي السَّبْيِ لِمَلِكِ الْأَمُورِيِّينَ سِيحُونَ.» (عد ٢١: ٢١-٢٩).

٢- في أثناء حكم القضاة أي قبل ظهور ملوك اليهود كانت إسرائيل في أضعف فتراتها عسكريًا وكان الملك المؤابي عجلون الذي خلف الملك بولاق بن صفور اليد العليا على العبرانيين، وورد سرديته سابقًا كما ذكر في العهد القديم (قض ٣: ١٢-٣٠).

٣- بلغت العداوة ذروتها خلال حكم الملك شاول (طالوت) كما ورد اسمه في القرآن الكريم في سورة البقرة) والملك داود، ويذكر العهد القديم أن الملك سليمان ثالث ملوك المملكة الموحدة تزوج امرأة مؤابية، وأنه بنى لها في القدس (أورشليم) مكانًا لعبادة الإله كموش. «وَأَحَبَّ الْمَلِكُ سُلَيْمَانُ نِسَاءَ غَرِيبَةٍ كَثِيرَةً مَعَ بَنَاتِ فِرْعَوْنَ: مُوآبِيَّاتٍ وَعَمُّونِيَّاتٍ وَأَدُومِيَّاتٍ وَصِيدُونِيَّاتٍ وَحِثِّيَّاتٍ مِنَ الْأُمَمِ الَّذِينَ قَالَ عَنْهُمْ الرَّبُّ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ: «لَا تَدْخُلُونَ إِلَيْهِمْ وَهُمْ لَا يَدْخُلُونَ إِلَيْكُمْ، لِأَنَّهُمْ يُمِيلُونَ قُلُوبَكُمْ وَرَاءَ آلِهَتِهِمْ». فَالْتَصَقَ سُلَيْمَانُ بِهِؤْلَاءَ بِالْمَحَبَّةِ. وَكَانَتْ لَهُ سَبْعُ مِئَةٍ مِنَ النِّسَاءِ السَّيِّدَاتِ، وَثَلَاثُ مِئَةٍ مِنَ السَّرَارِيِّ،

فَأَمَلَتْ نِسَاؤُهُ قَلْبَهُ. وَكَانَ فِي زَمَانٍ شَيْخُوخَةً سُلَيْمَانَ أَنْ نِسَاءَهُ أَمَلْنَ قَلْبَهُ وَرَاءَ إِلَهَةٍ أُخْرَى، وَلَمْ يَكُنْ قَلْبُهُ كَامِلًا مَعَ الرَّبِّ إِلَهِهِ كَقَلْبِ دَاوُدَ أَبِيهِ. فَذَهَبَ سُلَيْمَانُ وَرَاءَ عَشْتَوْرَثَ إِلَهَةِ الصَّيْدُونِيِّينَ، وَمَلَكَوْمَ رَجَسَ الْعَمُونِيِّينَ. وَعَمِلَ سُلَيْمَانُ الشَّرَّ فِي عَيْنَيِ الرَّبِّ، وَلَمْ يَتَّبِعِ الرَّبَّ تَمَامًا كَدَاوُدَ أَبِيهِ. حِينَئِذٍ بَنَى سُلَيْمَانُ مُرْتَفَعَةً لِكُمُوشَ رَجَسَ الْمُوَابِيِّينَ عَلَى الْجَبَلِ الَّذِي تُجَاهُ أُورُشَلِيمَ، وَلِمَوْلِكَ رَجَسَ بَنِي عَمُونَ. وَهَكَذَا فَعَلَ لِكُلِّ نِسَاءِهِ الْغَرِيبَاتِ اللَّوَاتِي كُنَّ يُوقِدْنَ وَيَذْبَحْنَ لِأِلِهَتِهِنَّ. فَغَضِبَ الرَّبُّ عَلَى سُلَيْمَانَ لِأَنَّ قَلْبَهُ مَالَ عَنِ الرَّبِّ إِلَهِ إِسْرَائِيلَ الَّذِي تَرَاءَى لَهُ مَرَّتَيْنِ، وَأَوْصَاهُ فِي هَذَا الْأَمْرِ أَنْ لَا يَتَّبِعَ إِلَهَةً أُخْرَى، فَلَمْ يَحْفَظْ مَا أَوْصَى بِهِ الرَّبُّ. فَقَالَ الرَّبُّ لِسُلَيْمَانَ: «مِنْ أَجْلِ أَنْ ذَلِكَ عِنْدَكَ، وَلَمْ تَحْفَظْ عَهْدِي وَفَرَائِضِي الَّتِي أَوْصَيْتُكَ بِهَا، فَإِنِّي أَمْزُقُ الْمَمْلَكَةَ عَنْكَ تَمْزِيقًا وَأَعْطِيهَا لِعَبْدِكَ. إِلَّا إِنِّي لَا أَفْعَلُ ذَلِكَ فِي أَيَّامِكَ، مِنْ أَجْلِ دَاوُدَ أَبِيكَ، بَلْ مِنْ يَدِ ابْنِكَ أَمْزُقُهَا. عَلَى أَنِّي لَا أَمْزُقُ مِنْكَ الْمَمْلَكَةَ كُلَّهَا، بَلْ أَعْطِي سِبْطًا وَاحِدًا لَابْنِكَ، لِأَجْلِ دَاوُدَ عَبْدِي، وَلِأَجْلِ أُورُشَلِيمَ الَّتِي اخْتَرْتُهَا» (١ مل ١١: ١-١٣).

٤- انقسمت مملكة سليمان بعد وفاته إلى مملكتين كما ذكرنا سابقاً، هما مملكة إسرائيل في الشمال، ومملكة يهوذا في الجنوب. وأدى هذا الأمر إلى تمتع مؤاب بفترة من السلام، حتى تولى الملك عمري مملكة إسرائيل في القرن التاسع ق.م.^(١)، فقام بمهاجمة مملكة مؤاب. لكن سيطرة الإسرائيليين على مؤاب لم تدم طويلاً؛ إذ تمكن الملك المؤابي ميشع من طردهم من مؤاب وتحرير مؤاب في حوالي سنة ٨٥٠ ق.م. كما تمكن من الانتصار على الملك الإسرائيلي آحاب بن عمري، وخَلَدَ هذا الانتصار على مسلة ميشع.

العلاقات مع آشور وبابل:

أصبحت مؤاب في القرن الثامن قبل الميلاد خاضعة للإمبراطورية الآشورية. وقد ورد اسم مؤاب في نص من زمن الملك الآشوري سرجون الثاني (حوالي ٧٢١-٧٠٥ ق.م)،
(١) هو سادس ملوك إسرائيل. حكم ما بين عام ٨٨٤ ق.م و٨٧٣ ق.م. وقد كان قبل توليه العرش قائداً لجيش بني إسرائيل في عهد الملكين بعشا وابيلة، ويقول العهد القديم: "فِي السَّنَةِ الْوَاحِدَةِ وَالثَّلَاثِينَ لَأَسَا مَلِكِ يَهُوذَا، مَلِكِ عُمَرِيِّ عَلَى إِسْرَائِيلَ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً. مَلِكٌ فِي تَرْصَةَ سِتِّ سِنِينَ" (١ مل ١٦: ٢٣)، "وَأَخَابُ بْنُ عُمَرِيِّ مَلِكٌ عَلَى إِسْرَائِيلَ فِي السَّنَةِ الثَّامِنَةِ وَالثَّلَاثِينَ لَأَسَا مَلِكِ يَهُوذَا، وَمَلِكِ أَخَابُ بْنُ عُمَرِيِّ عَلَى إِسْرَائِيلَ فِي السَّامِرَةِ اثْنَتَيْنِ وَعِشْرِينَ سَنَةً" (١ مل ١٦: ٢٩)

ويبدو حينها أن ثورة قامت في كل المناطق الشرقية ضد الحكم الآشوري بينها ثورة شارك بها ملك مؤاب في حينه، وهو الملك كموش نداب مع ملوك مدن الضغة الغربية لنهر الأردن في عام ٧١٣ ق.م. ويبدو أن الملك الآشوري استطاع قمع هذه الثورة والتغلب عليها، ودفعت مؤاب الجزية للأشوريين. وسارع الملك المؤابي كموش نداب إلى تقديم الهدايا للملك الآشوري سنحاريب (حوالي ٧٠٤-٦٨١ ق.م) الذي خلف الملك سرجون الثاني. ويشير نص من زمن الملك الآشوري أسرحدون (حوالي ٦٨٠-٦٦٩ ق.م) إلى أن الملك موصوري، كغيره من الملوك الآخرين، أرسل بعض المواد لآشور مثل الخشب والجرانيت والشيد لاستخدامها في بناء قصر للملك الآشوري في نينوى. وقد توقف صراع مؤاب مع الممالك المجاورة بعد سقوط الدولة الآشورية، التي أعقبها الاحتلال البابلي لبلاد الشموال حوالي سنة ٥٨٢ ق.م. وبعد سقوط بابل على يد الفرس حوالي سنة ٥٣٩ ق.م، بدأ التلاشي التدريجي لكافة الممالك الشرقية ومنها مملكة مؤاب.

مصطلحات وجب شرحها

أرض الموعد أو أرض الميعاد في المفهوم المسيحي يختلف عن مفهومها في الدين اليهودية، ولعل هذا الأمر يختلف بين طائفة وأخرى فهناك طوائف قدمت مفهومًا جديدًا بعيدًا عن الفكر اليهودي وهناك طوائف ما زالت تتبنى المفهوم اليهودي القديم، وأكثر المسيحيين المقبلين بفكرة أن فلسطين كانت وما زالت أرض الميعاد طوائف البروتستانت، مع الإشارة أن بعض الجماعات البروتستانتية لا تقبل علناً المفهوم اليهودي لكن السؤال المطروح: ماذا تعني أرض الميعاد للمسيحي؟

قبل أن نجيب على هذا السؤال لا بد من أن نأخذ بما ورد في الأناجيل عن لسان المسيح، فقد قال: «طُوبَى لِلَّذِينَ يَرْتُونَ الْأَرْضَ» مت ٥: ٥ فالأرض هنا لا وليس لليهود، والأرض هناك مكان السعادة وليست أرضاً محددة بعينها وقد تشير لـ

في الوعي المسيحي يعلم معظم الناس أن العهد القديم قد انتهت مفاعليه، وأن العهد جديد بكل ما فيه هو الفاعل في الإيمان المسيحي، بالتالي لا الشريعة اليهودية ولا الفكر يهودي يجب أن يستمر في الإيمان المسيحي لأنه: «إِذَا إِنَّ كَانَ أَحَدٌ فِي الْمَسِيحِ فَهُوَ خَلِيقَةٌ بَدِيدَةٌ: الْأَشْيَاءُ الْعَتِيقَةُ قَدْ مَضَتْ، هُوَذَا الْكُلُّ قَدْ صَارَ جَدِيدًا.» (٢ كو ٥: ١٧).

أما العهد القديم فيعلم أن علاقة الله بإسرائيل كانت في إطار العهد، وخضعت أرض الميعاد لبنود هذا العهد، فقد أعطى الله عز وجل الأرض «للشعب الذي اختار أن يحصره، أنبياء» في إطار عهد، وكانت هذه الأرض بمثابة وكالة أو أمانة أو ضمان، أي أنها كانت كالله سبحانه وتعالى، ومسؤولية الإنسان. وبما أن الإنسان فقد المكان الذي اختبر فيه صور الله معه بشكل خاص التي هي جنة عدن، فإن الله عز وجل اختار سيدنا إبراهيم لمنحه ملة «كل نسله» وعدًا بالخلاص وبالأرض في محاولة أو فرصة لاسترداد ما فقد في عدن. الوعد بالأرض فقد ارتبط بشعب معين لمرحلة معينة، لأن الله اختار من نسل هذا الشعب خلص الذي هو السيد المسيح الذي هو حسب المعروف من نسل داوود.

نعلم الأنجيل أن «يسوع» المسيح، قد جاء إلى الأرض - أرض الميعاد - ليدشن وت الله على كل الأرض، وإذا كان هو ملك ورب فإنه لم يختار لنفسه أرضًا ولا مملكة شعب خاص به، بالتالي لا يوجد في الأرض بقعة اسمها «أرض الميعاد» لأن الأرض لله، فأرض الميعاد الأرضية هي رمز للأرض الموعودة في السماء، بالتالي فقدت هذه خصوصيتها ورمزيتها كأرض الميعاد بمجرد ما أصبح الخلاص قائمًا، وملكوت رات هو الأرض الموعودة. ولا يوجد شعب يطلق عليه لقب «شعب الله المختار» لأن ب كلها هي ملك لله، والخلاص لكل الأمم، وشعب الله هو المؤمنون بخلاصه، فهو خاصًا بقومية معينة ولا بنسل معين، ذلك الخلاص المجاني، الخلاص الذي لا يقوم ثمة معينة ولا هو مخصص لفئة معينة بل لكل الأمم والشعوب، وأن الملكوت السماوي

هو أرض الميعاد الحقيقية وهو الموضوع الرئيسي في الأناجيل، ولا نبالغ في قولنا إن محور رسالة يسوع المسيح وأغلب تعاليمه كانت عن الملكوت السماوي، لا عن مُلك أرضي ولا عرش أرضي ولا شعب يتمتع بخصوصية وباقي شعوب الأرض عبيدًا لهم.

إن صهيون في العهد القديم وكل الكلام عن أورشليم (أي القدس) وأمجادها وعن حضور الله في قدسه ما هي إلا إشارات أرضية إلى واقع سماوي. وعليه فإن شرعية صهيون وهيكلها في العهد القديم تكمن في إشارتها إلى هيكل السماء أي حضور الله، والهيكل في المسيح هو السيد المسيح^(١) وليس بناء حجري من صنع البشر، وبمجرد أن تم الخلاص، فإن قيمة فعلية لصهيون، ولا قدسية لهيكل فقد «السكينة» (حضور الرب الساكن أو المستقر والروح القدس الذي كان حاضرًا في الهيكل الأول) بالتالي ما عاد هنالك حاجة لتلك الرموز ولا لذلك الحجاب الذي يفصل قدس الأقداس في الهيكل الأرضي عن الجميع. بمعنى آخر ما عاد هناك فاصل بين السماء والأرض وبين الله سبحانه وتعالى وبين البشر، «لأنَّهُ يُوحَا إِلَهُ وَاحِدٌ وَوَسِيطٌ وَاحِدٌ بَيْنَ اللَّهِ وَالنَّاسِ: الْإِنْسَانُ يَسُوعُ الْمَسِيحُ» (١ تي ٢: ٥) في المختصر لقد انتهى العهد القديم بكل مفاعيله وبدأ العهد الجديد بكل مفاعيله. أورشليم السماوية وموسى الجديد الذي هو المسيح والخلاص لجميع الأمم وليس لفئة محددة.

إن استخدام الكتاب المقدس لتبرير أو تأييد خيارات أو عود صهيونية ومواقف سياسية أمر مرفوض. لا يمكن أبدًا قراءة آية أو إصحاح أو سفر من هذا الكتاب المقدس دون فهم بالشكل الصحيح، كما لا يمكن قراءة آية أو إصحاح أو سفر من الكتاب المقدس بمعزل عن باقي الآيات والأسفار.

إن أي ظلم يفرضه إنسان على إنسان أو شعب على شعب آخر، يحول الدين إلى أيديولوجية بشرية ويجرد كلمة الله عز وجل من قداستها وقدسيتها، وشموليتها وحقيقتها.

(١) يوحنا ٢: ١٨ فَأَجَابَ الْيَهُودُ وَقَالُوا لَهُ: «آيَةَ آيَةٍ تُرِينَا حَتَّى تَفْعَلَ هَذَا؟» ١٩ أَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُمْ: «انْقَضُوا هَذَا الْهَيْكَلُ، وَفِي ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ أَقِيمُهُ.» ٢٠ فَقَالَ الْيَهُودُ: «فِي سِتٍّ وَأَرْبَعِينَ سَنَةً بُنِيَ هَذَا الْهَيْكَلُ، وَأَنْتَ فِي ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ تَقِيمُهُ؟» ٢١ وَأَمَّا هُوَ فَكَانَ يَقُولُ عَنْ هَيْكَلِ جَسَدِهِ. ٢٢ فَلَمَّا قَامَ مِنَ الْأَمْوَاتِ، تَبَيَّنَ لَهُمْ

مع بداية العهد الجديد.

إلا أنه وبعد حركة الإصلاح الديني (الإنشقاق عن الكنيسة الكاثوليكية) في القرن السادس عشر، انفتحت قريحة التفسيرات المتعددة للكتاب المقدس، وتعددت الانشقاقات التفسيرات المبنية على مفاهيم محدودة وخاطئة وأحياناً ذات صبغة سياسية غير بريئة، ظهرت لاحقاً تلك الطوائف والإتجاهات «الصهيومسيحية» في أوروبا وأمريكا، والتي تؤمن أن قيام دولة إسرائيل عام ١٩٤٨ كان ضرورة ورسالة سماوية تمهد لعودة السيد المسيح لأرض ليحكم العالم قبل نهايته، وأن قيام إسرائيل تنمة لنبؤات الكتاب المقدس بعهديه: قديم والجديد، معتبرين قيام دولة إسرائيل المقدمة لمجيء المسيح الثاني إلى الأرض ملكاً منتصر لألف عام، بعد حرب سيخوضها ضد الشر في العالم، وما هذا التفسير إلا سير قديم ظهر بين مسيحيين من أصول يهودية حافظوا على جزء كبير من الأفكار اليهودية فريسية عند انتقالهم شكلاً واسماً للمسيحية، فقاموا بتفسير الكتاب المقدس تفسيراً قائماً على تأويل حرفي لنصوص الكتاب المقدس خاصة ما ورد في سفر الرؤيا يوحنا (٢٠: ٣ -) فهم يعتقدون بأن المسيح سيعود إلى عالمنا هذا مع ملائكته والقديسين ليحكم الأرض ملكاً مدة ألف عام ومن هنا جاءت تسمية الكنائس أو الطوائف الألفية.

يعتقد المسيحيون المتصهينون من الجماعات البروتستنتية صاحبة الفكر الأصولي متطرف، وجذورهم اليهودية الضاربة في النسيج الفكري المسيحي أن من واجبهم الدفاع عن الشعب اليهودي بشكل عام وعن الدولة العبرية بشكل خاص، فيعارضون أي نقد أو هجوم لإسرائيل ويعتبرونه معادياً للسامية أو معادياً لخطط الله، أو ضد حقوق يهود ما بعد ملوكوس! بالأخص في الولايات المتحدة الأمريكية، إذ يشكلون جزءاً من اللوبي المؤيد لإسرائيل. إلا أن المسيحية في مفهومها الروحاني والوجودي لا تتقبل فكرة مملكة أرضية على سماوي لشعب محدد، ولا لحقوق إضافية لليهود تختلف عن حقوق كل شعوب أرض.

من الفلاسفة الذين ناقشوا موضوع شعب الله المختار الفيلسوف باروخ سبينوزا (Baruch Spinoza)^(١) مؤكداً بأن الغبطة التي يشعر بها اليهود من خلال الاعتقاد أنهم متفوقون، ما لم تكن طفولية تماماً، فإن مصدرها سوف لن يكون سوى الحسد وسوء النية.. وحول قول موسى أن الله اختار العبرانيين من بين سائر الأمم قال سبينوزا: إن الأمر كذلك لسبب بسيط هو تحفيز العبرانيين لمعرفة الشريعة وبسبب عدم جدية أفكارهم، وبما أنهم لا يستطيعوا الوصول للبهجة الحقيقية بواسطة الأنوار الطبيعية للعقل، كان من اللازم أنه يقدم لهم (أي موسى) خطاباً ملائماً يحفزهم على اتباع الشريعة الإلهية التي تتلخص في ممارسة العدل والإحسان، بهذا المعنى يكون موسى قد تأقلم مع عقل العبرانيين المتصلب وقلوبهم... ويضيف فريدريك لونوار في شرحه للفلسفة السبينوزية: يبتعد سبينوزا كثيراً عن القراءة الحاخامية وحتى المسيحية التقليدية للتوراة لأنه لا يرى في انتخاب الشعب العبري قراراً إلهياً، بل رواية مفتعلة ذات وظيفة بيداغوجية^(٢)، الهدف منها هو أن يفهم العبرانيون وأن يطبقوا الشريعة الإلهية التي تكمن في القوانين الأزلية للطبيعة^(٣).

السبي:

ما الفرق بين السبي والإحتلال؟

الإحتلال هو أخذ أرض لشعب آخر وحكم الأرض والشعب بالقوة والسلاح تماماً كاحتلال الكيان الصهيوني حالياً لفلسطين، أما السبي فهو غزو أرض لشعب آخر ثم أخذ الشعب أو جزء منه سبايا وعبيد، وثم ترك الأرض دون احتلالها. وعليه يمكن وصف ما

(١) فيلسوف هولندي من أهم فلاسفة القرن السابع عشر الميلادي، ولد في عام ١٦٣٢ في أمستردام، ألف العديد من المؤلفات، التي أحدثت تأثيراً واسعاً في الفكر الفلسفي، وخاصة كتاب «الأخلاق». ومن كتبه المشهورة «رسالة في اللاهوت والسياسة» والذي يبحث بأسلوب نقدي في العلاقة بين الدين والسياسة، والمؤسسة الدينية والدولة. ويتناول فيه قضية العلاقة بين العقل والإيمان، والسلطة الدينية والسلطة السياسية، وفيه يثبت أن التفلسف ليس خطراً على الدولة أو على الإيمان، وأن الحرية الفكرية والدينية ضرورية في دولة ديمقراطية حديثة، وقد نشره سبينوزا في ١٦٧٠ دون وضع اسمه على الغلاف، (٢) الوظيفة البيداغوجية (Pedagogy) هي مجموع الأساليب والممارسات التي يستخدمها المعلم لتوصيل المعرفة والمهارات إلى المتعلم، بهدف تحقيق أهداف محددة. (٣) كتاب المعجزة السبينوزية.

حدث لليهود بالسبي وليس بالاحتلال، وقد جرى نوعين من السبي هما: السبي الآشوري والسبي البابلي.

الهدف من السبي الأول المسمى السبي الآشوري:

كان الآشوريون يريدون تأمين ممر بين منطقتهم والبحر المتوسط فشنوا غزوات متعددة على بلاد الشام بشكل عام وقد استمرت غزواتهم بين عامي ٧٤٠ - ٧٢٢ ق.م.

في عام ٧٢٧ ق.م. هاجم ملك آشور شلمنأصر الخامس مملكة إسرائيل بسبب توقفها عن دفع الجزية وأجبر ملكها هوشع بن أيلة على دفعها حتى عاد الملك للتمرد ثانية على الآشوريين فحاصروهم ثانية حتى وفاته دون إخضاعها، وعند قدوم خليفته سرجون، حاصر مملكة إسرائيل حتى أخضعها عام ٧٢٢ ق.م. ودمروا عاصمتها شاكيم (السامرة - نابلس) وسبوا عدداً من سكانها ويقال أنه سبي شامل لكل الشعب تقريباً إلا من هرب شمالاً أو جنوباً، وأسكن بدلاً منهم شعوباً أخرى.

عندما تم سبي مملكة الشمال (إسرائيل) فإن اليهود الذين نقلوا لآشور تزوجوا واختلطوا بسكان آشور ومع الوقت نسيوا أرضهم.

ويعتقد اليهود من غير السامريين أن السامريين ليسوا من بني إسرائيل، وإنما قومٌ جاء بهم الآشوريون بعد السبي الآشوري، وأن الإسرائيليين أخرجوا من السامرة وملاها الآشوريون بقوم حملوهم من بلادهم مما يعني أن السامريين خليط عرقي، وقد وافقهم علماء مسلمون من أمثال المقرئ في هذا وأنها تهودوا بعد سكنائهم لبلاد الشام، واستندوا في ذلك إلى ما ورد في سفر الملوك الثاني: «وَأَتَى مَلِكُ أَشُورَ بِقَوْمٍ مِنْ بָبِلَ وَكُوثَ وَعَوَا وَحَمَاةَ وَسَفَرَوَايِمَ، وَأَسْكَنَهُمْ فِي مَدْنِ السَّامِرَةِ عَوَضًا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَأَمْتَلَكُوا السَّامِرَةَ وَسَكَنُوا فِي مَدْنِهَا» (٢ مل ١٧: ٢٤).

السبي الثاني السبي البابلي أو سبي يهوذا:

تم هذا السبي على ثلاث مراحل في عهد ثلاثة ملوك وثلاثة أنبياء (البعض يقول أن السبي تم على أربعة مراحل) كالتالي:

الملك البابلي	ملك يهوذا	النبي	السنة / السفر
نبوخذ نصر	يهوياقيم	دانيال	٦٠٨ - ٦٠٦ ق.م. / سفر دانيال
نبوخذ نصر	يهوياكيم	حزقيال	٥٩٧ ق.م. / ٢ أخ: ٣٦ وحز ١
نبوخذ نصر	صدقيا	أرميا	٥٨٦ ق.م. / ٢ أخ: ٣٦ وأرميا ١

«في السنة الثالثة من ملك يهوياقيم ملك يهوذا، ذهب نبوخذنصر ملك بابل إلى أورشليم وحاصرها» (دانيال ١: ١) وفي السبي الثالث تم تدمير الهيكل الأول «بيت الرب وبيت الملك وكل بيوت العظماء، أحرقتها بالنار» (٢ مل ٢٥: ٩) ويقال أن السبي جرى على مدار ٢٠ سنة واستثنى الشيوخ والعجائز والأطفال والمرضى وشمل فقط الشباب والفتيان وأصحاب الصناعات والكهنة.

العودة بأمر كورش في ٥٣٨ ق.م.

عندما استولى كورش الفارسي على بابل وقضى عليها في ٥٣٩ ق.م. انتعشت آمال المسبيين، فقد كان كورش «الفأس» التي سيسحق بها «يهوهط بابل (إر ٥١: ٢٠). وقد تنبأ إشعياء قائلاً: «(الرب) القائل عن أورشليم ستعمر ولمدن يهوذا ستبنين وخربها أقيم، القائل للُّجَّة انشفي وأنهارك أجفف... ويقول عن أورشليم ستبنى وللهيكل ستؤسس» (إش ٤٤: ٢٦-٢٨).

إعادة بناء الهيكل في ٥٣٦ ق.م.

لم تمض سنة على دخول كورش إلى بابل، حتى أصدر مرسومًا بمنح المسبيين الإذن بالعودة وبناء بيت الرب في أورشليم (٢ أخ: ٣٦، ٢٢، ٢٣؛ عز ١: ١-٤) كما أخرج آية الهيكل التي أحضرها نبوخذنصر إلى بابل وسلمها إلى شيشبصر رئيس يهوذا، فأصعدها شيشبصر معه عند «إصعاد السبي من بابل إلى أورشليم» (عز ١: ٧-١١). أنظر كل من سفر عزرا ونحميا وحجي وزكريا.

رجع عدد من المسيبين بقيادة شيشبصر علاوة على العبيد، في أيام يشوع بن صادوق الكاهن وزربابل، وبنوا المذبح ووضعوا أساسات الهيكل، ولكن العمل توقف لمقاومة السامريين لعملية البناء، لأنهم مُنعوا من المشاركة في البناء. وهنا قام النبيان حجي وزكريا بحث الشعب على استئناف العمل وتشجيعهم بالقول بأن مجد هذا البيت سيكون أعظم من مجده الأول (حجي ٢: ٩) وفي السنة السادسة لداريوس الملك (٥١٥ ق.م) تم العمل واحتفلوا بالفصح فيه (عز ٦: ١٥-١٨). لكن ولم يكن في الهيكل الثاني أي من هذه الأشياء: تابوت العهد، الذي يحوي لוחي العهد، أمامها جرة من المنّ وعصا هارون، الأوريم والتميم (حجران مقدسان)، الزيت المقدس، النار المقدسة. وفي الهيكل الثاني، كان قدس الأقداس معزولاً بستائر لا بجدار كما كان في الهيكل الأول. ولكن، في قدس أقداس الهيكل الثاني كان: منارة الهيكل (المصباح الذهبي)، مائدة الخبز (خبز الوجوه - هو خبز الفطير الذي كان يُصنع كل سبت ويُقدم على مائدة الذهب ساخناً، وكان يقدم منه اثنا عشر رغيفاً بقدر عدد أسباط بني إسرائيل، وكان في هيكل سليمان عشر موائد لخبز الوجوه كما كان فيه عشر منائر. ولكن يظهر أنه لم يستخدم إلا مائدة واحدة في وقت واحد، أما مائدة خبز الوجوه التي كانت في الهيكل الثاني فقد حملها معه أنطيوخس أبفانيس، ولكن يهوذا المكابي صنع مائدة جديدة وقد حمل تيطس الروماني هذه أيضاً معه إلى روما سنة ٧٠م)، مذبح العطور الذهبي، وفيه مباخر ذهبية. تقول المشناة إن «حجر الأساس» قام مقام التابوت، ووضع الكاهن الأعلى مبخرته عليه في يوم الغفران. كما حوى الهيكل الثاني (هيكل زربابل) أيضاً أوعية الذهب الأصلية التي أعادها البابليون، لكن التلمود البابلي يقول: إن الهيكل لم تكن فيه السكينة (حضور الرب الساكن أو المستقر، ولا الروح القدس الذي كان حاضراً في الهيكل الأول) وبالتالي لم يصدق حجي وزكريا في مقولتهما أن مجد الهيكل الثاني أكثر من مجد الهيكل الأول، وسبب ذكرنا لهذه الأشياء هو تنبيه العرب بأن المتطرفين اليهود قد يسعون لإعادة بناء الهيكل الثالث مع علمهم بأن هذه الأشياء كلها غير موجودة حالياً. وسبق وشرحنا هذا الأمر لاحقاً، وأنه من الضروري ذكرها في هذا الكتاب ليفهم القارئ الأيدولوجيا الدينية والسياسية

اليهودية المتطرفة، خصوصاً بعد سعي الحكومات المتطرفة في الكيان المحتل بالعمل على
يهودية الدولة وتفريغ فلسطين من سكانها العرب سواء المسيحيين أو المسلمين.

الفصل الرابع

السرديات الدينية الأردنية

تأسيس السردية التاريخية

لا بد لضمان إيجاد سياحة حقيقية من وجود قصة مكان. وقصة المكان تعني قصة لموقع أثري (متعارف عليه كموقع تراث ثقافي)، وهي بمعنى آخر سردية أقرب للقصة الأدبية، بحيث يقوم الدليل بروايتها للسائح، ضمن أعلى درجة ممكنة من المصدقية والأمانة والحياد والدقة. مع الانتباه أن القصة يجب أن تتناسب ووقت الزائر، ودون إبهاره بمعلومات أو قصص لا علاقة للموقع فيها.

أما عناصر السردية (قصة المكان) فهي:

١- المكان: سواء كان موقعاً أثرياً أو تراثياً، كبيراً كان أو صغيراً، وبغض النظر عن وظيفته. ويسمى أيضاً بالموقع أو بالتراث الملموس غير المنقول. وكلما كبر المكان كانت السردية أكثر عمومية، فالسردية الوطنية تُعنى بالوطن كاملاً فهي عامة، وسردية موقع محدد كمدينة أو قرية أو كورة أو ناحية هي سردية خاصة، وسردية مكان ما محدود الأحداث ككنيسة أو معبد أو معصرة أو قصر هي سردية أكثر خصوصية. ولعل السردية تصعب كلما اتجهنا نحو الخصوصية وكلما صغر المكان.

٢- الإنسان: سواء كان فرداً أو مجموعة، والمجموعة قد تعني مملكة أو قبيلة أو فئة أو مجموعة دينية أو عرقية أو سياسية أو عسكرية أو غيرها. والسردية تقوم على الأنسنة، فالإنسان هو محور السردية الأول ثم يأتي بعده المكان، والإنسان هو الذي يعطي المكان أهميته وخصوصيته وسرديته. ودور الإنسان في علاقته مع المكان أنه الشيء الذي يعطي المكان الروح والحركة، سواء كان هذا الإنسان ساكناً مُعمراً للمكان أو ماراً مرور الكرام، أو محارباً ضمن جيش أو أي دور آخر... وبما أن الإنسان هو محور القصة، ومحور المكان، فالمكان بدون الإنسان لا يعني شيئاً، والمكان دون الإنسان لا سردية له.

٣- الأحداث: سواء المذكورة في نصوص أو تلك المنقولة شفاهة، والأحداث هي تلك العادات والتقاليد والأفكار والمعتقدات والقصص والعبادات والتي يمكن تسميتها بالتراث الشفهي أو التراث غير الملموس. وقد تكون لدينا معلومات طويلة عن الأحداث أو معلومات قصيرة، وقد تكون لدينا معلومات مؤكدة أو معلومات غير مؤكدة، ولذا على الشخص الذي يكتب السردية أن يكون واضحًا ومحددًا حول كم ونوعية المعلومات، وأهميتها ودورها وكيفية استخدامها. يرتبط المكان بالإنسان بالأحداث ارتباطًا وثيقًا ويتضمن ذلك ولادة أو سيرة حياة أو موت، وقد تكون أحداثًا سعيدة كأفراح أو أحداثٍ تعيسة كحروب واحتلال وشقاء وموت. فالأحداث هي السردية التي جرت في المكان على يد الإنسان.

٤- الزمن: من المهم أن تحمل السردية مواعيد. قد تكون مواعيد طويلة أو قصيرة، محددة أو مبهم، مؤكدة أو تقريبية. والزمن هنا يعني التاريخ الذي جرت فيه الأحداث المسرودة عن الإنسان في الموقع.

في الأغلب فإن المواقع الأثرية واللقى الأثرية والفحوصات التي تجري عليها هي ما تقدم الزمان المفترض للأحداث التي قام بها الإنسان في هذا المكان.

أما تحليل بناء السردية (قصة المكان) ومشاكلها:

السردية عبارة عن بناء. وهذا البناء يحتاج لأساس متين وشم قواعد وجدران... وصولاً للسقف. البناء السردى مهم، وكلما كان البناء السردى متين وثابت كلما صمد أمام النقد.

قبل أن نعرج حول مشاكل بناء السردية لا بد لنا من تحليل البنية السردية، فهي تتكون من:

١- عناصر السردية والربط فيما بينها.

٢- نهج الكاتب أو الراوى أو الدليل السياحي الذي يعمل على نسج السردية وبناءها.

٣- النمط السردى والذي يقدم فيه الكاتب أو الراوى أو الدليل السياحي قدراته من جذب للقصة والانتقال بين الأحداث بتسلسل زمني صحيح، مراعيًا التركيز على الشخصيات المؤثرة والهامة.

٤- الأفكار والرسائل التي يريد الدليل إيصالها.

من هنا يمكننا تحديد مشاكل بناء السردية أو قصة المكان:

١- عدم وجود قصة مكان واحدة متفق عليها: بل قد تصل المشكلة إلى وجود أكثر من رواية حول المكان وقد تكون تلك القصص متضاربة فيما بينها.

٢- جهل الدليل بالقصة العامة أو القصة الخاصة أو كليهما: وهنا لا بد أن نوضح أن الدليل المجتهد هو الدليل المثقف والقارئ والملم. لا يكفي أن تتحدث لغة أو لغتين بطلاقة حتى تحصل على بعض الدنانير من السائح. السائح يريدك بجانبه لمساعدته في الطريق ومعرفة أفضل المعلومات، ويسمع منك سردية جميلة لكن صحيحة.

٣- التكتّم على القصة الحقيقية: قد تكون القصة لا تناسب فكر ومعتقد الدليل السياحي فيتجاهلها كلياً أو جزئياً، أو عدم رغبة الدليل في ذكر السردية لأسبابه الخاصة، أو إجراء تعديلات في السردية لتناسب وأفكار الدليل.

٤- المبالغة في السردية: بهدف إبهار السائح أو تقديم قصة مضخمة لا معنى من تضخيمها أو إعطاء عنصر أو مجموعة عناصر من السردية حجماً أكبر من الحجم الأصلي لها.

وإذا ما وجدت هذه المشاكل فإننا أمام سردية وهمية أو سردية مغلوطة أو سردية سوداء أو سردية غير سليمة البناء، ويتم التغلب على مشاكل السردية بما وثقه علم الآثار والمصادر عن تلك السردية.

أما النتائج من وجود قصص مكان مختلفة فهي:

١- فقدان المصداقية.

٢- إظهار الدليل السياحي كإنسان لا يعرف عمله.

٣- اختلاق قصص لا تمت للواقع بشيء.

٤- انطباع للسائح أو الزائر بأنه تعرض للخديعة أو التوجيه.

٥- تشويه صورة البلد.

السرديات الدينية المفترضة

سأشرح في هذا الجزء من الكتاب بعض القصص والأحداث الدينية وسأعرض لبعض الشخصيات من أنبياء ورسول وقديسين وصحابة ومؤثرين، لكن لا بد أن أنهه أن ما أوردته هنا ليس سردية متكاملة، ولعل المستقبل يساعد في هذا الشيء. قد أكون قدمت بعض قصص المكان لكن لم أبني سردية متكاملة متمنياً من الدولة الأردنية أن تتبنى فعلياً مشروعاً وطنياً طموحاً وشجاعاً وكبيراً لبناء سردية شاملة منها سردية دينية في المواقع المستهدفة دون أن تسمح للمتطرفين أو دعاة الفرقة أو ذوي الإتجاهات المشكوك فيها أو مؤيدي السردية المقابلة بالتدخل أو فرض آراء لا علاقة لنا بها. وحسب علمي وأثناء كتابة هذه الطبعة الجديدة من الكتاب فإن الدولة الأردنية تتجه لهذا العمل الجريء الذي أتمنى له النجاح.

سردية «مقام النبي نوح»

نوح هو شخصية هذا المكان، وهو نوح بن لامك بن متوشلخ بن خنوخ^(١) بن يارد بن مهلائيل أو مهلاييل أو مهللثيل بن قينان أو قين بن أنوش بن شيث بن آدم أبي البشر. ونوح هو نبي ورد ذكره في الكتب المقدسة بالإضافة إلى ورود ذكره في ميثولوجيا بلاد الرافدين. ونوح حسب الديانات الثلاث شخصية تاريخية حقيقية، وكان الحفيد التاسع أو العاشر لآدم وهو الأب الثاني للبشرية بعد نجاته ومن معه من الطوفان العظيم الذي أباد البشرية.

والمقام وقف إسلامي حيث ورد ذكر النبي نوح في القرآن الكريم وهذا نصه: «لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (٥٩) قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٦٠) قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٦١) أَبْلُغْكُمْ رَسُولَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحْ لَكُمْ وَأَعْلَمْ مِنْ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٦٢) أَوْعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (٦٣) فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا

(١) ويطلق على خنوخ اسم إدريس في الإسلام.

يرى المسلمون أن النبي نوح هو أول الرسل، ومن أولي العزم الخمسة، بعثه الله للبشرية لأن البشر عبدوا الأصنام والطواغيت، لذلك أرسل الله على قومه الطوفان، ونجى هو ومن ركب معه السفينة. هناك أيضًا قصص مشابهة في الأساطير القديمة تتحدث عن الطوفان.

ويذكر نوح في الكتاب المقدس في العهد القديم في سفر التكوين الاصحاح السابع: ١ وقال الرب لنوح: «ادخل انت وجميع بيتك الى الفلك، لاني اياك رايت بارا لدي في هذا الجيل. ٢ من جميع البهائم الطاهرة تاخذ معك سبعة سبعة ذكرا وانثى. ومن البهائم التي ليست بطاهرة اثنين: ذكرا وانثى. ٣ ومن طيور السماء ايضا سبعة سبعة: ذكرا وانثى. لاستبقاء نسل على وجه كل الارض. ٤ لاني بعد سبعة ايام ايضا امطر على الارض اربعين يوما واربعين ليلة. وامحو عن وجه الارض كل قائم عملته». ٥ ففعل نوح حسب كل ما امره به الرب. ٦ ولما كان نوح ابن ست مئة سنة صار طوفان الماء على الارض، ٧ فدخل نوح وبنوه وامراته ونساء بنيه معه الى الفلك من وجه مياه الطوفان. ٨ ومن البهائم الطاهرة والبهائم التي ليست بطاهرة، ومن الطيور وكل ما يدب على الارض: ٩ دخل اثنان اثنان الى نوح الى الفلك، ذكرا وانثى، كما امر الله نوحا. ١٠ وحدث بعد السبعة الايام ان مياه الطوفان صارت على الارض. ١١ في سنة ست مئة من حياة نوح، في الشهر الثانى، في اليوم السابع عشر من الشهر في ذلك اليوم، انفجرت كل ينابيع الغمر العظيم، وانفتحت طاقات السماء. ١٢ وكان المطر على الارض اربعين يوما واربعين ليلة. ١٣ في ذلك اليوم عينه دخل نوح، وسام وحام ويافث بنو نوح، وامرأة نوح، وثلاث نساء بنيه معهم الى الفلك. ١٤ هم وكل الوحوش كاجناسها، وكل البهائم كاجناسها، وكل الدبابات التي تدب على الارض كاجناسها، وكل الطيور كاجناسها: كل عصفور، كل ذي جناح. ١٥ ودخلت الى نوح الى الفلك، اثنين اثنين من كل جسد فيه روح حياة. ١٦ والداخلات دخلت ذكرا وانثى، من كل ذي جسد، كما امره الله. واغلق الرب عليه. ١٧ وكان الطوفان اربعين يوما على الارض. وتكاثر المياه ورفعت الفلك، فارتفع عن الارض. ١٨ وتعاضمت المياه وتكاثرت جدا على الارض، فكان الفلك يسير على وجه

المياه. ١٩ وتعاضمت المياه كثيرا جدا على الارض، فتغطت جميع الجبال الشامخة التي تحت كل السماء. ٢٠ خمس عشرة ذراعا في الارتفاع تعاضمت المياه، فتغطت الجبال. ٢١ فمات كل ذي جسد كان يدب على الارض من الطيور والبهائم والوحوش، وكل الزحافات التي كانت تزحف على الارض، وجميع الناس. ٢٢ كل ما في انفه نسمة روح حياة من كل ما في اليابسة مات. ٢٣ فمحا الله كل قائم كان على وجه الارض: الناس، والبهائم، والدبابات، وطيور السماء. فانمحت من الارض. وتبقى نوح والذين معه في الفلك فقط. ٢٤ وتعاضمت المياه على الارض مئة وخمسين يوما».

أما في العهد الجديد فقد شبه السيد المسيح حالة الناس عند مجيئه الثاني المنتظر بحالة البشر أيام نوح عند مجيء الطوفان: «لأنه كما كانوا في الأيام التي قبل الطوفان يأكلون ويشربون ويتزوّجون ويترزّجون، إلى اليوم الذي دخل فيه نوح الفلك، ولم يعلموا حتى جاء الطوفان وأخذ الجميع، كذلك يكون أيضا مجيء ابن الإنسان.» (مت ٢٤: ٣٨-٣٩). وكثيرا ما أشار الأنبياء والرسل إلى نوح وإلى الطوفان (اش ٥٤: ٩؛ حز ١٤: ١٤؛ ١ بط ٣: ٢٠؛ ٢ بط ٢: ٥).

ويصور العهد الجديد نوح كشخصية قريبة ومطبعة للرب ويضعه إنجيل مرقس في نفس منزلة إبراهيم ويعقوب، وفي بعض الكتابات المسيحية التي كتبت من القرن الرابع إلى القرن السادس من قبل معلمي الكنيسة ومنهم القديس أوغسطين، تم إعطاء أهمية دينية كبيرة لسفينة نوح حيث تم اعتبارها رمزا للخلاص من خلال تشبيه السفينة بالصليب (رمز الخلاص) وبالكنيسة. وهذه السردية هامة لا بد للدليل الاهتمام بها.

أما المقام فعباره عن مسجد صغير من غرفة واحدة دهنت من الخارج بالأبيض وقبته البسيطة -والتي يقال أنها جددت في الفترة العثمانية- دهنت بالأخضر وتحت القبة يوجد المقام أو القبر المغطى بالقماش الأخضر كعادة المقامات الإسلامية كلها تقريبا، وسبب استخدام اللون الأخضر في المقامات الإسلامية يعود لمكانته، فهو لون مرتبط بالجنة والطبيعة والحياة، وقد وصف القرآن الكريم الجنة بالمكان الممتلئ بالخضرة والماء والظل،

أما مساحة الغرفة فتقريبًا (٥٧ مترًا مربعًا) والبناء من الحجر والطين. يقع المقام في وسط مقبرة الكرك الإسلامية القديمة والتي سُميت باسم «مقبرة نوح». ويعود تاريخ البناء إلى الفترة المملوكية، والذي تهدم أكثر من مرة، وأعيد ترميمه في الفترة العثمانية في العام ١٩٢٠.

يتبع المقام لوزارة الأوقاف والمقدسات والشؤون الإسلامية، ورمم في فترة الحكم الهاشمي في الأعوام ٢٠١١ و ٢٠١٥ و ٢٠١٩، إلا أن المكان ما زال يفتقر لرؤية حديثة سياحية دينية، كما أن الموقع ليس ضمن مسار سياحي ديني معتمد ورسمي ومروج له بشكل علني، ولكن يمكن أن يكون جاذب للسياحة الدينية خصوصًا سياحة مسلمي جنوب شرق آسيا ومسلمي القوقاز.

سردية «إبراهيم ولوط»

ليس للنبي إبراهيم أو أبرآم - أبو الأنبياء - سردية في الأردن، لكن لا يمكن فصل إبراهيم عن لوط في عدة أحداث. فقد ذكر الكتاب المقدس سيرته وما مر بحياته من أحداث إلى يوم وفاته ودفنه، ولم يرد في الكتاب المقدس أنه وصل للأردن، لكن لا يمكن أن ننفي وصوله إليها سواء أكانت، كحركة نقل أو إقامة محدودة، خصوصًا أن حياة إبراهيم كانت حياة خيم وليست حياة مستقرة بمعنى الاستقرار الدائم، فهو تنقل بين أور ثم بابل ثم حاران ثم شكيم ثم بيت إيل ثم مصر ثم بيت إيل ثم حبرون ثم دمشق ثم حبرون ثم جرار ثم بئر السبع ثم مريا ثم بئر السبع وفي بيت إيل انفصل إبراهيم ولوط بسبب الأملاك الكثيرة وقلة المراعي، وقد سكن إبراهيم في حبرون حيث اشترى المغارة عند بلوطات ممرا. وتنقل إبراهيم في مناطق كنعان القريبة من حبرون مثل مدينة جرار وهي تقع جنوب شرقي غزة وكذلك مريا القريبة من القدس في الشمال، إلى أن مات في حبرون.

تتضارب الروايات حول وجود النبي إبراهيم تمامًا مثله مثل معظم الأنبياء، لكن من يؤمنون بوجود هذا النبي يعتبرون أنه وجد في الفترة بين ٢٣٢٤-١٨٥٠ ق.م. بعض التقديرات تشير أنه وجد قبل ١٨٠٠ عام من الميلاد. بالتالي فهو وجد على الأغلب في بداية إلى منتصف العصر البرونزي.

أما لوط فذكرت حياته في الكتاب المقدس عرضاً على هامش حياة شخصية إبراهيم، ثم تستقل شخصيته في الكتاب المقدس عن شخصية إبراهيم نوعاً ما، بسبب الافتراق بينهما في رواية خروجه من القرية المنكوبة.

فمن هما إبراهيم ولوط حسب الكتاب المقدس؟

من الضروري أن نفرق بين إبراهيم ولوط حسب الكتاب المقدس، وسيفهم القارئ سبب ذلك في معرض حديثنا عن كلا الشخصيتين.

إبراهيم دعاه الله أن يخرج من أرضه ومن عشيرته ومن بيت أبيه إلى الأرض التي يريه الله (تكوين ١٢: ١) ولوط في المقابل لم يتلق دعوة من الله، ولكن عمه أخذه معه (تكوين ١٢: ٥) ونال إبراهيم بركة من الله في دعوته وقال له الله أباركك وأبارك مباركك... وتكون بركة (تكوين ١٢: ٣٢) ولم يذكر الكتاب أن لوطاً نال مثل هذه البركة. كان إبراهيم في كل مكان يحل فيه يبني مذبحاً للرب، ويدعو باسم الرب (تكوين ١٢: ٨) و (تكوين ١٣: ١٨) أما لوط فلم يقل الكتاب أنه بنى مذبحاً للرب، ثم ذكر الكتاب أن إبراهيم تدخل لإنقاذ لوط من الكارثة (تكوين ١٩: ٢٩). ولإبراهيم مميزات أخرى فقد وعده الرب حينئذ بوارث فصدق وعده الرب وآمن به فحسبه له برّاً وقد وعده الرب بميراث أرض كنعان وأيد له هذا الوعد بعهد (تكوين ١٥) وأخذ إبراهيم هاجر جاريته زوجة، فولدت له إسماعيل (تكوين ١٦) ولما كان أبرام ابن تسع وتسعين سنة ظهر له الرب وغير اسمه من أبرام إلى إبراهيم ووضع له الختان علامة للعهد، وغير اسم ساراي امرأته إلى سارة، وكشف له مضمون العهد أن النسل الوارث سيكون من سارة وسيدعى اسمه إسحاق (إسحق) ويقيم الرب معه العهد (تكوين ١٧).

أما فراقه مع لوط فيسجله الكتاب المقدس كالتالي:

لما كثرت أغنامهما ومواشيهما وأملاكهما ولم تحتملهما الأرض أن يسكنا معا اعتزلا، فاختر لوط لنفسه الأرض المعشبة (تكوين ١٣: ١١) أما إبراهيم فأخذ الأرض التي اختارها له الرب (تكوين ١٣: ١٥ و ١٤).

أما مساحة الغرفة فتقريباً (٥٧ متراً مربعاً) والبناء من الحجر والطين. يقع المقام في وسط مقبرة الكرك الإسلامية القديمة والتي سُميت باسم «مقبرة نوح». ويعود تاريخ البناء إلى الفترة المملوكية، والذي تهدّم أكثر من مرة، وأعيد ترميمه في الفترة العثمانية في العام ١٩٢٠. يتبع المقام لوزارة الأوقاف والمقدسات والشؤون الإسلامية، ورمم في فترة الحكم الهاشمي في الأعوام ٢٠١١ و ٢٠١٥ و ٢٠١٩، إلا أن المكان ما زال يفتقر لرؤية حديثة سياحية دينية، كما أن الموقع ليس ضمن مسار سياحي ديني معتمد ورسمي ومروج له بشكل علني، ولكن يمكن أن يكون جاذب للسياحة الدينية خصوصاً سياحة مسلمي جنوب شرق آسيا ومسلمي القوقاز.

سردية «إبراهيم ولوط»

ليس للنبي إبراهيم أو أبرآم - أبو الأنبياء - سردية في الأردن، لكن لا يمكن فصل إبراهيم عن لوط في عدة أحداث. فقد ذكر الكتاب المقدس سيرته وما مر بحياته من أحداث إلى يوم وفاته ودفنه، ولم يرد في الكتاب المقدس أنه وصل للأردن، لكن لا يمكن أن ننفي وصوله إليها سواء أكانت، كحركة نقل أو إقامة محدودة، خصوصاً أن حياة إبراهيم كانت حياة خيم وليست حياة مستقرة بمعنى الاستقرار الدائم، فهو تنقل بين أور ثم بابل ثم حاران ثم شكيم ثم بيت إيل ثم مصر ثم بيت إيل ثم حبرون ثم دمشق ثم حبرون ثم جرار ثم بئر السبع ثم مريا ثم بئر السبع وفي بيت إيل انفصل إبراهيم ولوط بسبب الأملاك الكثيرة وقلة المراعي، وقد سكن إبراهيم في حبرون حيث اشترى المغارة عند بلوطات ممرا. وتنقل إبراهيم في مناطق كنعان القريبة من حبرون مثل مدينة جرار وهي تقع جنوب شرقي غزة وكذلك مريا القريبة من القدس في الشمال، إلى أن مات في حبرون.

تتضارب الروايات حول وجود النبي إبراهيم تماماً مثله مثل معظم الأنبياء، لكن من يؤمنون بوجود هذا النبي يعتبرون أنه وجد في الفترة بين ٢٣٢٤-١٨٥٠ ق.م. بعض التقديرات تشير أنه وجد قبل ١٨٠٠ عام من الميلاد. بالتالي فهو وجد على الأغلب في بداية إلى منتصف العصر البرونزي.

أما لوط فذكرت حياته في الكتاب المقدس عرضاً على هامش حياة شخصية إبراهيم، ثم تستقل شخصيته في الكتاب المقدس عن شخصية إبراهيم نوعاً ما، بسبب الافتراق بينهما في رواية خروجه من القرية المنكوبة.

فمن هما إبراهيم ولوط حسب الكتاب المقدس؟

من الضروري أن نفرق بين إبراهيم ولوط حسب الكتاب المقدس، وسيفهم القارئ سبب ذلك في معرض حديثنا عن كلا الشخصيتين.

إبراهيم دعاه الله أن يخرج من أرضه ومن عشيرته ومن بيت أبيه إلى الأرض التي يريه الله إياها (تك ١: ١٢) ولوط في المقابل لم يتلق دعوة من الله، ولكن عمه أخذه معه (تك ٥: ١٢) ونال إبراهيم بركة من الله في دعوته وقال له الله أبارك وأبارك مباركك... وتكون بركة (تك ٣٢: ١٢) ولم يذكر الكتاب أن لوطاً نال مثل هذه البركة. كان إبراهيم في كل مكان يحل فيه يبني مذبحاً للرب، ويدعو باسم الرب (تك ٨: ١٢) و (تك ١٨: ١٣) أما لوط فلم يقل الكتاب أنه بنى مذبحاً للرب، ثم ذكر الكتاب أن إبراهيم تدخل لإنقاذ لوط من الكارثة (تك ١٩: ٢٩). ولإبراهيم مميزات أخرى فقد وعده الرب حينئذ بوارث فصدق وعد الرب وآمن به فحسبه له براً وقد وعده الرب بميراث أرض كنعان وأيد له هذا الوعد بعهد (تكوين ١٥) وأخذ إبراهيم هاجر جاريته زوجة، فولدت له إسماعيل (تكوين ١٦) ولما كان أبرام ابن تسع وتسعين سنة ظهر له الرب وغير اسمه من أبرام إلى إبراهيم ووضع له الختان علامة للعهد، وغير اسم ساراي امرأته إلى سارة، وكشف له مضمون العهد أن النسل الوارث سيكون من سارة وسيدعى اسمه إسحاق (إسحق) ويقيم الرب معه العهد (تكوين ١٧).

أما فراقه مع لوط فيسجله الكتاب المقدس كالتالي:

لما كثرت أغنامهما ومواشيهما وأملاكهما ولم تحتلما الأرض أن يسكنا معا اعتزلا، فاختار لوط لنفسه الأرض المعشبة (تك ١١: ١٣) أما إبراهيم فأخذ الأرض التي اختارها له الرب (تك ١٣: ١٥ و ١٤).

ويشار إلى أن البقايا الأثرية تؤكد بأن هذه المناطق أقصد شرق البحر الميت كانت مأهولة بشكل أو بآخر قبل وجود لوط فيها وأن سكانها على ما يبدو كانوا يعتاشون على الصيد وبالأخص صيد الغزلان، فلا بد أن هذه الأراضي القاحلة الآن كانت كثيرة العشب على الأقل حتى فترة وجود لوط فيها، وهذا ليس فقط كما ورد في الكتاب المقدس، بل تُشير العديد من الاكتشافات الأثرية أن هذه المنطقة وحتى الصحراء وجد فيها مصائد الغزلان المسماه الطائرات الورقية، وأن بعض هذه المصائد تعود للعصر الحجري الحديث (٩٠٠٠ - ٤٥٠٠ قبل الميلاد أو العصر النيوليثي) أي قبل إبراهيم ولوط بفترة طويلة، وبما أنها مصائد غزلان فلا بد أن هذه المناطق كانت تعج بهذه الحيوانات العاشبة، دليل على وفرة العشب والماء، ولعل وجود الحيوانات العاشبة دليل على وجود حيوانات مفترسة أيضًا، وهذا يؤكد أن مناخ الأردن والشرق الأوسط كان في العصر الحجري وما قبله ماطرًا وعلى ما يبدو أنه بعد انتهاء العصر الجليدي وذوبان الثلوج انقلبت المعادلة فتغير المناخ حيث بدأ الجفاف في منطقة الشرق الأوسط بشكل تدريجي.

وبهذا الصدد تخبرنا المواقع الأثرية عن وجود قرى زراعية (قبل ممالك المدن) في الفترة الحجرية في الأردن.

بهذا الصدد لا بد لنا وضمن السردية التاريخية الأردنية أن نُشير إلى بعض المواقع الأردنية التي تعود للعصور الحجرية وهي (تليلات الغسول شمال البحر الميت) و (خربة الفجيج - الطفيلة) و (عين غزال - عمان) و (جاوا في البادية الشمالية الشرقية - المفرق) و (البيضا - البتراء) وغيرها. السؤال الذي يطرحه الآثاريون: لماذا وجدنا آثارًا تعود للعصور الحجرية لمجتمعات بدائية، بينما لم نجد أثرًا واحدًا لإبراهيم واسحق وإسماعيل وغيرهم؟

لم يذكر لنا العهد القديم شيئًا عن قداسة لوط إلا أنه -حسب القديس بطرس- كان يستاء مما يراه من القوم الذي اختار هو أن يعيش بينهم، وذكر عنه القديس بطرس الرسول إنه كان بارًا - وكانت نفسه تتعذب يومًا فيوماً بمناظر الناس الأشرار (٢ بط ٨: ٢) والإنسان البار في المسيحية تعني أيضًا القديس وهي منزلة عظيمة جدًا في المسيحية - لكن المسيحية

تختلف عن الاسلام في نظرتها للوط، فلوط في المسيحية بار وقديس لكن في الإسلام هو نبي من أنبياء الله. وفي المسيحية كان ضمن العشرة الأبرار الذين اتفق الرب مع إبراهيم إنهم - لو وجدوا في سادوم - لا يهلكها من أجلهم (تك ١٨: ٣٢) على أنهم لم يوجدوا. نعم في كل مرة كان يقع لوط في خطر (تك ١٣: ١٢-١٦) أو يتعرض لخطر (تك ١٨: ١٩) كان عمه إبراهيم هو الذي ينقذه.

أما المؤايون والعمونيون أبناء ابنتيه فلم يدخلوا في عداد شعب الله - حسب الرواية اليهودية - بل كأولاد للخطيئة (تك ١٩: ٣٦-٣٨) وهذه السردية اليهودية التي تشيطن الآخر وتحط من قيمته وتهينه ما هي إلا سردية استعلائية، بينما لا يوجد نصًا واحدًا في غير الكتاب المقدس يُشير للحدث الذي قدمه الكتاب حول قصة «مؤاب» و «بني عمي»، كما لا يوجد ما يؤكدها أثرياً.

نظرًا لوجود قبر محدد لإبراهيم في الخليل يعترف به أصحاب الديانات الثلاثة وفوقه أقيم على ما يعتقد في العصر الروماني مبني وسور، ثم مبني غير واضح الوظيفة في العهد البيزنطي ثم مسجد في العصور الاسلامية المتعاقبة، إلى أن أغلقه الاحتلال الاسرائيلي لفترة من الزمن إثر عملية هجوم إرهابي من قبل متطرف يهودي على المصلين المسلمين، ثم قُسم بين اليهود والمسلمين، فإن أي من المؤمنين بقديسة إبراهيم لم يحاول أن يقترح في مراحل متأخرة أو متقدمة قبرًا أو مقامًا لإبراهيم غير ذلك الموجود في الخليل في فلسطين المحتلة. وأثرياً لا يوجد ما يؤكد أن إبراهيم وعائلته دفنوا هناك!

أما الشخصية الثانية التي تكاد ترتبط جزئيًا بأبو الأنبياء إبراهيم فهو لوط.

فبعد أن قدم الكتاب المقدس طبيعة العلاقة بين إبراهيم ولوط، فإن انفصالا حدث في حياتهما وبالتالي جزئيًا في قصتهما لاحقًا، لكن قبل التطرق لهذا الرجل البار فإنه تجدر الإشارة إلى أن لا مقام للوط في الأردن بل كهف وأن هناك مقامًا مفترضًا له في فلسطين المحتلة.

وللوط قصة في الكتاب المقدس ارتبطت بحدثين مهمين ومكانين مهمين هما:-

سردية «سادوم وعمورة»

وصف المكان:

تعتبر سادوم وعمورة من ضمن «مدن السهل الخمسة»^(١)، وهي حسب الكتاب المقدس كل من: سادوم، وعمورة، وأذمة، وصبوييم، وبالع (صوغر)، وسمى الكتاب المقدس ملوكها أيام إبراهيم وهم بارع ملك سدوم، وبرشاع ملك عمورة، وشناب ملك أذمة، وشمئير ملك صبوييم، وملك بالع التي هي صوغر (تكوين ١٤: ٢) فهي إذا كانت مدن يحكمها ملوك وهذه رواية شيقة يستطيع أن يقدمها الدليل السياحي عن بداية نشوء المدن كممالك، ولنا في نهاية الكتاب شرح بسيط حول هذا الموضوع. وذكر الكتاب أن هذه المدن تعرضت لإعتداء من ملوك مدن أخرى سماهم الكتاب المقدس أيضًا، فيقول: «١١ وَحَدَّثَ فِي أَيَّامِ أَمْرَافَلِ مَلِكِ شِنْعَارِ^(٢)، وَأَزْيُوكَ مَلِكِ الْأَسَارِ^(٣)، وَكَدْرَلَعُومَرَ مَلِكِ عِيلَامِ^(٤)، وَتِدْعَالِ مَلِكِ جُويِيمِ^(٥)، ٢ أَنَّ هَؤُلَاءِ صَنَعُوا حَرْبًا مَعَ بَارِعَ مَلِكِ سَدُومَ، وَبِرْشَاعَ مَلِكِ عَمُورَةَ، وَشِنَابَ مَلِكِ أَدْمَةَ، وَشِمئِيرَ مَلِكِ صَبُويِيمَ، وَمَلِكِ بَالَعِ الَّتِي هِيَ صُوعَرُ ٣ جَمِيعَ هَؤُلَاءِ اجْتَمَعُوا مُتَعَاهِدِينَ إِلَى عُمُقِ السَّدِيمِ الَّذِي هُوَ بَحْرُ الْمَلْحِ. ٤ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً اسْتَعْبَدُوا لِكَدْرَلَعُومَرَ، وَالسَّنَةُ الثَّالِثَةُ عَشْرَةَ عَصَوْا عَلَيْهِ. ٥ وَفِي السَّنَةِ الرَّابِعَةِ عَشْرَةَ أَتَى كَدْرَلَعُومَرُ وَالْمُلُوكُ الَّذِينَ مَعَهُ وَضَرَبُوا الرِّفَائِيَّينَ فِي عَشْتَارُوثَ قَرْنَائِمَ، وَالزُّوزِيِّينَ فِي هَامَ، وَالْإِيمِيِّينَ فِي شَوَى قَرَيْتَائِمَ، ٦ وَالْحُورِيِّينَ فِي جَبْلِهِمْ سَعِيرَ إِلَى بُطْمَةِ فَارَانَ الَّتِي عِنْدَ الْبَرِّيَّةِ. ٧ ثُمَّ رَجَعُوا وَجَاءُوا إِلَى عَيْنِ مِشْفَاطِ الَّتِي هِيَ قَادِشُ. وَضَرَبُوا كُلَّ بِلَادِ الْعَمَالِقَةِ، وَأَيْضًا الْأُمُورِيِّينَ السَّاكِنِينَ فِي حِصُونِ تَامَارَ. ٨ فَخَرَجَ

(١) مصطلح في تفسير الكتاب المقدس.

(٢) مدينة في بلاد الرافدين

(٣) مكان في بابل. ويرجح أنه نفس لارسا القديمة. ومكانه اليوم سنكرة جنوبي شرقي ارك.

(٤) منطقة واسعة تقع حاليًا في إيران، لذلك يطلق عليها حضارة ما قبل إيرانية قديمة، وتوسعت في العصر الحديث إلى أقصى الغرب والجنوب الغربي من إيران، ممتدة من الأراضي المنخفضة التي تسمى الآن محافظة خوزستان ومحافظة عيلام، بالإضافة إلى جزء صغير جنوب العراق.

(٥) ليس من الواضح أين تقع هذه المملكة، لكن جوييم كلمة عبرية معناها أمم أي الشعوب الوثنية، لكن هنا تطلق كاسم علم علي منطقة بذاتها كان يملك عليها أحد حلفاء كدرلعومر ملك عيلام (تك ١٤: ١

و٩)، كما يذكر بين الملوك الذين هزمهم يشوع في عبر الأردن «ملك جوييم في الجبلجال» (يش ١٢:

٢٣) أو في الجليل كما جاء في الترجمة السبعينية.

مَلِكُ سَدُومَ، وَمَلِكُ عَمُورَةَ، وَمَلِكُ أَدْمَةَ، وَمَلِكُ صَبُيِّيمَ، وَمَلِكُ بَالَعَ، الَّتِي هِيَ صُوغَرَ، وَنَظَّمُوا حَرْبًا مَعَهُمْ فِي عُمُقِ السَّدِيمِ. ٩ مَعَ كَذَرَلْعَوْمَرَ مَلِكِ عِيلَامَ، وَتَدْعَالِ مَلِكِ جُويِّيمَ، وَأَمْرَافَلَ مَلِكِ شِنْعَارَ، وَأَزْيُوكَ مَلِكِ الْأَسَارَ. أَرْبَعَةُ مُلُوكَ مَعَ خَمْسَةِ. ١٠ وَعُمُقُ السَّدِيمِ كَانَ فِيهِ آبَارُ حُمَرٍ كَثِيرَةٌ. فَهَرَبَ مَلِكَا سَدُومَ وَعَمُورَةَ وَسَقَطَا هُنَاكَ، وَالباقُونَ هَرَبُوا إِلَى الْجَبَلِ. ١١ فَأَخَذُوا جَمِيعَ أَمْلَاكِ سَدُومَ وَعَمُورَةَ وَجَمِيعَ أَطْعَمَتِهِمْ وَمَضُوا. ١٢ وَأَخَذُوا لُوطًا ابْنَ أَخِي أَبْرَامَ وَأَمْلَاكَهُ وَمَضُوا، إِذْ كَانَ سَاكِنًا فِي سَدُومَ. ١٣ فَآتَى مِنْ نَجَا وَأَخْبَرَ أَبْرَامَ الْعِبْرَانِيَّ. وَكَانَ سَاكِنًا عِنْدَ بَلُوطَاتِ مَمْرَا الْأُمُورِيِّ، أَخِي أَشْكُولَ وَأَخِي عَانِرَ. وَكَانُوا أَصْحَابَ عَهْدٍ مَعَ أَبْرَامَ. ١٤ فَلَمَّا سَمِعَ أَبْرَامُ، أَنَّ أَخَاهُ سُبِّيَّ جَرَّ غِلْمَانَهُ الْمُتَمَرِّينَ، وَلَدَانِ بَيْتِهِ، ثَلَاثَ مِئَةٍ وَثَمَانِيَةَ عَشَرَ، وَتَبِعَهُمْ إِلَى دَانَ^(١). ١٥ وَانْقَسَمَ عَلَيْهِمْ لَيْلًا هُوَ وَعَبِيدُهُ فَكَسَرَهُمْ وَتَبِعَهُمْ إِلَى حُوبَةِ الَّتِي عَنْ شِمَالِ دِمَشْقَ. ١٦ وَاسْتَرْجَعَ كُلُّ الْأَمْلَاكِ، وَاسْتَرْجَعَ لُوطًا أَخَاهُ أَيْضًا وَأَمْلَاكَهُ، وَالنِّسَاءَ أَيْضًا وَالشَّعْبَ. ١٧ فَخَرَجَ مَلِكُ سَدُومَ لاسْتِقْبَالِهِ، بَعْدَ رُجُوعِهِ مِنْ كَسْرَةِ كَذَرَلْعَوْمَرَ وَالْمُلُوكِ الَّذِينَ مَعَهُ إِلَى عُمُقِ شَوَى^(٢)، الَّذِي هُوَ عُمُقُ الْمَلِكِ. ١٨ وَمَلِكِي صَادِقُ، مَلِكُ شَالِيمَ، أَخْرَجَ خُبْرًا وَخُمْرًا. وَكَانَ كَاهِنًا لِلَّهِ الْعَلِيِّ. ١٩ وَبَارَكَهُ وَقَالَ: «مُبَارَكُ أَبْرَامَ مِنَ اللَّهِ الْعَلِيِّ مَالِكِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، ٢٠ وَمُبَارَكُ اللَّهِ الْعَلِيِّ الَّذِي أَسْلَمَ أَعْدَاءَكَ فِي يَدِكَ». فَأَعْطَاهُ عَشْرًا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ. ٢١ وَقَالَ مَلِكُ سَدُومَ لِأَبْرَامَ: «أَعْطِنِي النُّفُوسَ، وَأَمَّا الْأَمْلَاكُ فَخُذْهَا لِنَفْسِكَ». ٢٢ فَقَالَ أَبْرَامُ لِمَلِكِ سَدُومَ: «رَفَعْتُ يَدِي إِلَى الرَّبِّ إِلَهِ الْعَلِيِّ مَالِكِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، ٢٣ لَا أَخْذَنْ لَا خَيْطًا وَلَا شَرَاكَ نَعْلٍ وَلَا مِنْ كُلِّ مَا هُوَ لَكَ، فَلَا تَقُولُ: أَنَا أَغْنَيْتُ أَبْرَامَ. ٢٤ لَيْسَ لِي غَيْرُ الَّذِي أَكَلَهُ الْغِلْمَانُ، وَأَمَّا نَصِيبُ الرِّجَالِ الَّذِينَ ذَهَبُوا مَعِي: عَانِرَ وَأَشْكُولَ وَمَمْرًا، فَهُمْ يَأْخُذُونَ نَصِيبَهُمْ» (تكوين ١٤: ١-٢٤).

وهكذا عرفنا أين تقع سادوم والمدن التي معها. ويلاحظ أن سادوم هي الكبرى بينهم وأن هذه المنطقة كانت تعتبر كجنة عدن لكثرة ما فيها من عشب وأيضاً فيها السديم^(٣) وأعمق مكان فيه وهو بحر الملح كما كانوا يطلقون عليه، وفي الساديم يوجد ما سماه آبار حُمَر وهي

(١) تل القاضي في منطقة الجولان المحتلة إلى الشمال من بحيرة الحولة

(٢) واد في القدس

(٣) السَّدِيم: الماء المندفِقُ

على ما يبدو آبار كان يخرج منها الزيت أو القار أو النفط^(١) وكانت شديدة الغليان، ولنا في هذا الموضوع تعليق في آخر الكتاب قد يفيد الدليل السياحي أيضاً عند تقديمه لمنطقة البحر الميت. وأول ذكر لهذه المدن الخمسة كان في التوراة في الحديث عن حدود أرض كنعان «وَكَاثَتْ تُخُومُ الْكَنْعَانِيِّ مِنْ صِيدُونَ، حِينَمَا تَجِيءُ نَحْوَ جَرَارَ إِلَى غَزَّةَ، وَحِينَمَا تَجِيءُ نَحْوَ سَدُومَ وَعَمُورَةَ وَأَدَمَةَ وَصَبُؤِيمَ إِلَى لَاشَعٍ» (تكوين ١٠: ١٩) ثم يأتي ذكر المكان ثانية في قصة انفصالهما فيقول الكتاب: «١ فَصَعِدَ أَبْرَامُ مِنْ مِصْرَ هُوَ وَامْرَأَتُهُ وَكُلُّ مَا كَانَ لَهُ، وَلُوطُ مَعَهُ إِلَى الْجَنُوبِ. ٢ وَكَانَ أَبْرَامُ غَنِيًّا جَدًّا فِي الْمَوَاشِيِّ وَالْفِضَّةِ وَالذَّهَبِ. ٣ وَسَارَ فِي رِحَالَتِهِ مِنَ الْجَنُوبِ إِلَى بَيْتِ إِيلَ، إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي كَانَتْ خَيْمَتُهُ فِيهِ فِي الْبَدَاءَةِ، بَيْنَ بَيْتِ إِيلَ وَعَايَ، ٤ إِلَى مَكَانِ الْمَذْبَحِ الَّذِي عَمِلَهُ هُنَاكَ أَوَّلًا. وَدَعَا هُنَاكَ أَبْرَامُ بِاسْمِ الرَّبِّ. ٥ وَلُوطُ السَّائِرُ مَعَ أَبْرَامَ، كَانَ لَهُ أَيْضًا غَنَمٌ وَبَقَرٌ وَخِيَامٌ. ٦ وَلَمْ تَحْتَمِلْهُمَا الْأَرْضُ أَنْ يَسْكُنَا مَعًا، إِذْ كَانَتْ أَمْلَاكُهُمَا كَثِيرَةً، فَلَمْ يَقْدِرَا أَنْ يَسْكُنَا مَعًا. ٧ فَحَدَّثْتُ مُخَاصَمَةً بَيْنَ رِعَاةِ مَوَاشِي أَبْرَامَ وَرِعَاةِ مَوَاشِي لُوطَ. وَكَانَ الْكَنْعَانِيُّونَ وَالْفَرِزِّيُّونَ حِينَئِذٍ سَاكِنِينَ فِي الْأَرْضِ. ٨ فَقَالَ أَبْرَامُ لِلُّوطَ: «لَا تَكُنْ مُخَاصِمَةً بَيْنِي وَبَيْنَكَ، وَبَيْنَ رِعَاتِي وَرِعَاتِكَ، لِأَنَّنَا نَحْنُ أَخَوَانِ. ٩ أَلَيْسَتْ كُلُّ الْأَرْضِ أَمَامَكَ؟ اعْتَزَلْ عَنِّي. إِنْ ذَهَبْتَ شِمَالًا فَأَنَا يَمِينًا، وَإِنْ يَمِينًا فَأَنَا شِمَالًا. ١٠ فَرَفَعَ لُوطُ عَيْنَيْهِ وَرَأَى كُلَّ دَائِرَةِ الْأُرْدُنِّ أَنْ جَمِيعَهَا سَقْيٌ، قَبْلَمَا أَخْرَبَ الرَّبُّ سَدُومَ وَعَمُورَةَ، كَجَنَّةِ الرَّبِّ، كَأَرْضِ مِصْرَ. حِينَمَا تَجِيءُ إِلَى صُوغَرَ. ١١ فَاخْتَارَ لُوطٌ لِنَفْسِهِ كُلَّ دَائِرَةِ الْأُرْدُنِّ، وَارْتَحَلَ لُوطُ شَرْقًا. فَاعْتَزَلَ الْوَاحِدُ عَنِ الْآخَرِ. ١٢ أَبْرَامُ سَكَنَ فِي أَرْضِ كَنْعَانَ، وَلُوطُ سَكَنَ فِي مُدُنِ الدَّائِرَةِ، وَنَقَلَ خِيَامَهُ إِلَى سَدُومَ. ١٣ وَكَانَ أَهْلُ سَدُومَ أَشْرَارًا وَخُطَاةً لَدَى الرَّبِّ جَدًّا» (تكوين ١٣: ١-١٣).

هذه المدن بعدما تم انقراض أهلها بواسطة إبراهيم وعادوا إلى أرضهم يبدو أن سكانها ساروا على طريق سيئة وبالأخص أكبر مدينتين وهما سادوم وعمورة، ويقول الكتاب: «٢٠ وَقَالَ الرَّبُّ: «إِنَّ صُرَاخَ سَدُومَ وَعَمُورَةَ قَدْ كَثُرَ، وَخَطِيئَتُهُمْ قَدْ عَظُمَتْ جَدًّا. ٢١ أَنْزِلْ وَأَرَى هَلْ فَعَلُوا بِالتَّمَامِ حَسَبَ صُرَاخِهَا الَّتِي إِلَيَّ، وَإِلَّا فَأَعْلَمُ»» (تكوين ١٨: ٢٠ و٢١). ثم يقول: «وَقَالَ الرَّجُلَانِ لِلُّوطَ: «مَنْ لَكَ أَيْضًا هَهُنَا؟ أَصْهَارُكَ وَبَنَاتُكَ وَكُلُّ مَنْ لَكَ فِي الْمَدِينَةِ،

(١) استمر استخراج هذا الزيت أو النفط حتى عصور متأخرة.

أَخْرَجَ مِنَ الْمَكَانِ ١٣ لِأَنَّا مُهْلِكَانِ هَذَا الْمَكَانَ، إِذْ قَدْ عَظُمَ صُرَاخُهُمْ أَمَامَ الرَّبِّ، فَأَرْسَلْنَا الرَّبُّ لِنُهْلِكَهُ. (تكوين ١٩: ١٢ و ١٣). ثم تسير الأمور فيطلب لوط من الملاكين أن يصعدا إلى صوغر بينما المدن الأربعة أحرقت بالنار التي نزلت من السماء بسبب الخطيئة (تكوين ١٩: ٢٤).

وتستمر القصة بأن ملاكان من أصل ثلاثة كانوا عند إبراهيم وصلوا إلى سدوم، ويلاحظ بأن التركيز على سدوم في الكتاب لأن الرب كان يخطط لإنقاذ لوط منذ البداية لأن الملائكة كانوا متوجهين نحو سادوم وليس غيرها « ٢٢ وَأَنْصَرَفَ الرَّجُلَانِ مِنْ هُنَاكَ وَذَهَبُوا نَحْوَ سَدُومَ، وَأَمَّا إِبْرَاهِيمُ فَكَانَ لَمْ يَزَلْ قَائِمًا أَمَامَ الرَّبِّ » (تكوين ١٨: ٢٢)، وبدأ إبراهيم التشفع أو مفاوضة الرب بعدم إهلاك المكان (يقصد كل المدن الخمسة) ثم تركز المحادثة على سدوم فيطلب إبراهيم الصفح لأجل خمسين بارًا في المدينة ثم خمسة وأربعين ثم أربعين ثم ثلاثين ثم عشرين ثم عشرة وعندها يتوقف إبراهيم عن المفاوضة خوفًا بأن لا يكون هناك أحد بار في المدينة ولا حتى ابن أخيه. ثم ينقذ الملاكين لوط من أهل المدينة ويطلبانه بأن يخرج هو ومن يخصه: « ١٢ وَقَالَ الرَّجُلَانِ لِلُّوطِ: «مَنْ لَكَ أَيضًا هَهُنَا؟ أَصْهَارُكَ وَبَنِيكَ وَبَنَاتُكَ وَكُلُّ مَنْ لَكَ فِي الْمَدِينَةِ، أَخْرِجْ مِنَ الْمَكَانِ ١٣ لِأَنَّا مُهْلِكَانِ هَذَا الْمَكَانَ، إِذْ قَدْ عَظُمَ صُرَاخُهُمْ أَمَامَ الرَّبِّ، فَأَرْسَلْنَا الرَّبُّ لِنُهْلِكَهُ » (تكوين ١٩: ١٢ و ١٣) ويُشير الكتاب المقدس إلى أهمية حياة لوط ومدى اهتمام الملاك به فيقول: ١٥ وَلَمَّا طَلَعَ الْفَجْرُ كَانَ الْمَلَكَانِ يُعْجَلَانِ لُوطًا قَائِلَيْنِ: «قُمْ خُذِ امْرَأَتَكَ وَابْنَتَيْكَ الْمُوْجُودَتَيْنِ لِنَلَّا تَهْلِكَ بِإِثْمِ الْمَدِينَةِ». ١٦ وَلَمَّا تَوَانَى، أَمْسَكَ الرَّجُلَانِ بِيَدِهِ وَبَيْدِ امْرَأَتِهِ وَبَيْدِ ابْنَتَيْهِ، لَشَفَقَةِ الرَّبِّ عَلَيْهِ، وَأَخْرَجَاهُ وَوَضَعَاهُ خَارِجَ الْمَدِينَةِ. ١٧ وَكَانَ لَمَّا أَخْرَجَاهُمْ إِلَى خَارِجِ أَنَّهُ قَالَ: «اهْرُبْ لِحَيَاتِكَ. لَا تَنْظُرْ إِلَى وَرَائِكَ، وَلَا تَقِفْ فِي كُلِّ الدَّائِرَةِ. اهْرُبْ إِلَى الْجَبَلِ لِنَلَّا تَهْلِكَ». ١٨ فَقَالَ لَهُمَا لُوطُ: «لَا يَا سَيِّدُ. ١٩ هُوَذَا عَبْدُكَ قَدْ وَجَدَ نِعْمَةً فِي عَيْنَيْكَ، وَعَظُمْتَ لُطْفَكَ الَّذِي صَنَعْتَ إِلَيَّ بِاسْتِقْبَاءِ نَفْسِي، وَأَنَا لَا أَقْدِرُ أَنْ أَهْرُبَ إِلَى الْجَبَلِ لَعَلَّ الشَّرَّ يُدْرِكُنِي فَأَمُوتَ. ٢٠ هُوَذَا الْمَدِينَةُ هَذِهِ قَرِيبَةٌ لِلْهَرَبِ إِلَيْهَا وَهِيَ صَغِيرَةٌ. أَهْرُبُ إِلَى هُنَاكَ. أَلَيْسَتْ هِيَ صَغِيرَةً؟ فَتَحَيَّا نَفْسِي». ٢١ فَقَالَ لَهُ: «إِنِّي قَدْ

رَفَعْتُ وَجْهَكَ فِي هَذَا الْأَمْرِ أَيضًا، أَنْ لَا أَقْلِبَ الْمَدِينَةَ الَّتِي تَكَلَّمْتَ عَنْهَا. ٢٢ أَسْرِعْ اهْرُبْ إِلَى هُنَاكَ لِأَنِّي لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَفْعَلَ شَيْئًا حَتَّى تَجِيءَ إِلَيَّ هُنَاكَ». لِذَلِكَ دُعِيَ اسْمُ الْمَدِينَةِ «صُوغَرَ».

وهكذا نجت صوغر من الحكم الرباني لأجل لوط وعائلته.

فلاحظ بأن إبراهيم توسط أو تشفع لأجل لوط لا بل لأجل كل بار في المكان، وكان الرد نحن أعلم بمن فيها فذهبت الملائكة في هيئة بشر إلى بيت لوط وما أن علم أهل القرية بوجود شايبين وسيمين حتى أتوا بيت لوط وأرادوا الفاحشة في ضيفيه، ولم يكن يعلم أنهما ملائكان، ولأنهما ضيفا لوط فقد عرض لوط على سكان سدوم بناته ولكنهم رفضوا والأغلب أن لوط كان يعلم أن اهتمام سكان هذه المدينة ليس البنات بل الرجال وفي التفسير الاسلامي أنه عرض عليهم الزواج ببناته، بينما أنه على ما يبدو كان يماطل أهل المدينة حتى يتمكن من اخراج الشايبين منها بسلام، لكن الوحي جاء بخروج لوط وأهله ولكن القرآن الكريم يستثني زوجة لوط ﴿وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنْجُوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا امْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ٣٣﴾ (سورة العنكبوت) ورواها القرآن الكريم بقوله: ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ٣١ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ ٣٢ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ ٣٣ مُسَوِّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ٣٤ فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ٣٥ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ٣٦ وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ٣٧﴾ (سورة الذاريات).

وهرب لوط حسب الكتاب المقدس مع زوجته وابنتيه فيقول: ٢٣ وَإِذْ أَشْرَقَتِ الشَّمْسُ عَلَى الْأَرْضِ دَخَلَ لُوطٌ إِلَى صُوغَرَ، ٢٤ فَأَمَطَرَ الرَّبُّ عَلَى سَدُومَ وَعَمُورَةَ كِبْرِيَّتًا وَنَارًا مِنْ عِنْدِ الرَّبِّ مِنَ السَّمَاءِ. ٢٥ وَقَلَبَ تِلْكَ الْمُدُنَ، وَكُلَّ الدَّائِرَةِ، وَجَمِيعِ سُكَّانِ الْمُدُنِ، وَنَبَاتِ الْأَرْضِ. ٢٦ وَنَظَرَتْ امْرَأَتُهُ مِنْ وَرَائِهِ فَصَارَتْ عَمُودَ مِلْحٍ. (سفر التكوين ١٩).

أما العذاب فذكره القرآن الكريم في سورة هود ٨٢ و ٨٣ بقوله: ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَلَىهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنُصُودٍ مَسُومَةٍ عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ

ببعيد . والتفسير كما في الوجيز في تفسير الكتاب العزيز للواحدي: ﴿فلما جاء أمرنا﴾ عذابنا ﴿جعلنا عاليها سافلها﴾ وذلك أنَّ جبريل عليه السَّلام أدخل جناحه تحتها حتى قلعها وصعد بها إلى السَّماء ثمَّ قلبها إلى الأرض ﴿وأمطرنا عليها حجارة﴾ قبل قلبها إلى الأرض ﴿من سجيل﴾ من طين مطبوخ طبخ حتى صار كالآجر فهو سنك كل بالفارسية فَعْرَبٌ ﴿منضود﴾ يتلو بعضه بعضاً. وفي تفسير البغوي «معالم التنزيل»: قَوْلُهُ: ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا﴾، عَذَابُنَا، ﴿جَعَلْنَا عَلِيَّهَا سَافِلَهَا﴾، وَذَلِكَ أَنَّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَذْخَلَ جَنَاحَهُ تَحْتَ قُرَى قَوْمِ لُوطِ الْمُؤْتَفِكَاتِ وَهِيَ خَمْسُ مَدَائِنَ، وَفِيهَا أَرْبَعُمِائَةِ أَلْفٍ. وَقِيلَ: أَرْبَعَةُ أَلْفٍ أَلْفٍ، فَرَفَعَ الْمَدَائِنَ كُلَّهَا حَتَّى سَمِعَ أَهْلُ السَّمَاءِ صِيَاخَ الدِّيَكَةِ، وَنُبَاحَ الْكِلَابِ. فَلَمْ يَكْفُ لَهُمْ إِثْنَاءٌ وَلَمْ يَنْتَبِهْ نَائِمٌ، ثُمَّ قَلَبَهَا فَجَعَلَ عَلِيَّهَا سَافِلَهَا. ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا﴾، أَي عَلَى شَذَازِهَا وَمُسَافِرِيهَا. وَقِيلَ: بَعْدَ مَا قَلَبَهَا أَمْطَرَ عَلَيْهَا، ﴿حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ﴾، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: (سنك وكل) فَارِسِيٌّ مُعَرَّبٌ. وَقَالَ قَتَادَةُ وَعِكْرِمَةُ: السَّجِّيلُ الطِّينُ، دَلِيلُهُ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لَنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ﴾ الذَّارِيَاتُ: ٣٣. قَالَ مُجَاهِدٌ: أَوَّلُهَا حَجَرٌ وَآخِرُهَا طِينٌ. وَقَالَ الْحَسَنُ: كَانَ أَصْلُ الْحِجَارَةِ طِينًا فَشُدُّدَتْ. وَقَالَ الضَّحَّاكُ: يَعْنِي الْأَجْرَ. وَقِيلَ: السَّجِّيلُ اسْمُ السَّمَاءِ الدُّنْيَا. وَقِيلَ: هُوَ جِبَالُ فِي السَّمَاءِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَيُنَزَّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ﴾ النُّورِ: ٤٣. قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مَنْضُودٌ﴾، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: مُتَابِعٌ يَتَّبِعُ بَعْضُهُ بَعْضًا مَفْعُولٌ مِنَ النَّضْدِ، وَهُوَ وَضَعَ الشَّيْءَ بَعْضُهُ فَوْقَ بَعْضٍ، وَقَوْلُهُ (مسومة) أَي مَعْلَمَةٌ مَخْتُومَةٌ، عَلَيْهَا أَسْمَاءُ أَصْحَابِهَا، كُلُّ حَجَرٍ مَكْتُوبٌ عَلَيْهِ اسْمُ الَّذِي يَنْزِلُ عَلَيْهِ.

سرديّة نُصَب «زوجة لوط»

هو تشكيل صخري يقع قرب البحر الميت شرق الأردن، يراه البعض يشبه الإنسان، حيث يعتقد البعض أنها زوجة لوط تجمدت لتصبح عمود من الملح، ويشير البعض أن هذا التشكيل ما هو إلا ما ورد بالقرآن الكريم: «وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ»، وقوله: «أَنْ دَابَرَ هُوَ لَاءِ مَقْطُوعٍ مُصْبِحِينَ»، وقوله: «قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ إِنَّهُ

مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ». امرأة لوط مذكورة في الكتاب المقدس أيضًا «وَنَظَرَتْ امْرَأَتُهُ مِنْ وَرَائِهِ فَصَارَتْ عَمُودَ مِلْحٍ» (تك ١٩: ٢٦) حيث تحولت إلى عمود من ملح بعد نظرها إلى مدينة سدوم أثناء تدميرها، ويلاحظ أن اسمها غير مذكور في الكتاب المقدس ولا في القرآن الكريم، لكن يشير السيد المسيح إليها في إنجيل لوقا كتحذير لمن لا يتبع إرادة الله ويرجع إلى الوراء «أَذْكُرُوا امْرَأَةَ لُوطٍ» لو ١٧: ٣٢

بالتالي فهذا التشكيل الحجري ما هو إلا شاهد على امرأة لوط التي فتجمدت في مكانها، وأنها نقلت عن السلف تخص زوجة لوط المتحجرة، فيما يرى بعض الجيولوجيين أنه ليس سوى تشكيل لحجر عادي. ويشار إلى أن هذا الحجر يقف بعيدًا على قمة الجبل وليس قريب من السياح لكن الكثير من السياح يتوقفون أسفل الجبل على حافة الطريق للإلتقاط الصور والاستماع للقصة من قبل الأدلاء السياحيين، وبعضهم يحاول تسلق الجبل لرؤيتها عن قرب.

سردية «كهف لوط»

قبل أن نتحدث عن كهف لوط لا بد أن نتحدث عن صوغر، فيقول الكتاب المقدس: «وَصَعِدَ لُوطٌ مِنْ صُوغَرَ وَسَكَنَ فِي الْجَبَلِ وَابْنَتَاهُ مَعَهُ لِأَنَّهُ خَافَ أَنْ يَسْكُنَ فِي صُوغَرَ. فَسَكَنَ فِي الْمَغَارَةِ هُوَ وَابْنَتَاهُ». (تك ١٩: ٣٠-٣٨) وصوغر كانت في فترة لوط مملكة صغيرة أقرب للقرية «٢٠ هوذا المدينة هذه قريبة للهرب إليها وهي صغيرة. أهرب إلى هناك. أليست هي صغيرة؟ فتخيا نفسي» وهي تقع قرب الجبل أو أسفل المغارة التي سكن فيها لوط وابنتاه ردحًا من الزمن (عد ٣٠)، واسم المدينة جاء لاحقًا «١٩: ٢٢ اسرع اهرب الى هناك لاني لا استطيع ان افعل شيئًا حتى تجيء الى هناك لذلك دعي اسم المدينة صوغر» بينما كان اسمها في فترة لوط بالبع وكان لها ملك من الذين كسرهم كدراعومر (تك ١٣: ١٠؛ ١٤: ٢، ٨) وبقيت صوغر في أيام إشعيا ورميا، وقد ذكراها في موباب مما يجعلنا نظن أنها كانت على الضفة الموبابية أي الشرقية من البحر الميت (اش ١٥: ٥؛ ار ٤٨: ٣٤) راجع أيضًا

(تك ١٩ : ٣٧) وفي زمن المكابيين كانت تقع في حدود المملكة النبطية. وكانت حسب وصف يوسفوس إلى الطرف الجنوبي من البحر الميت، وهكذا ذهب أكثر المدققين من بطليموس إلى يوسفوس وإيرونيوموس وغيرهم، والأغلب أنها كانت في الفترة اللاحقة تحت البحر الميت إلا أن انحسار البحر الميت في الفترة الأخيرة قد يكون جعلها خارج البحر الميت حالياً، ولكن لم تكشف أي تنقيبات أثرية عن بقاياها - إن وجدت - حتى كتابة هذا الكتاب. أما كهف لوط فهو أحد الكهوف في المنطقة، ويقع على سطح الجبل المطل على بلدة غور الصافي، سُمي كذلك نسبة إلى لوط حيث التجأ إليه. ويقول الكتاب المقدس: «٣٠ وَصَعِدَ لُوطٌ مِنْ صُوعَرَ وَسَكَنَ فِي الْجَبَلِ، وَابْنَتَاهُ مَعَهُ، لِأَنَّهُ خَافَ^(١) أَنْ يَسْكُنَ فِي صُوعَرَ. فَسَكَنَ فِي الْمَغَارَةِ هُوَ وَابْنَتَاهُ» (تكوين ١٩)

أما ابنتا لوط فيذكرهما الكتاب المقدس، والقرآن الكريم كما يلي:

في القرآن: ورد ذكر ابنتي نبي الله لوط في سورة هود في سياق الحوار الذي دار بينه وبين قومه لما وفد عليه وفد من الملائكة مرسلين من عند الله لإخباره بالعذاب الذي سيصيب قومه: وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِئَاءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تَخْزَوْا فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ (هود ٧٧-٨٠)

في الكتاب المقدس: تختلف القصة المذكورة في الكتاب المقدس عن تلك المذكورة في القرآن، اختلافاً بسيطاً، فزوجة لوط وبناته لم يكن مؤمنات. فالأم كان قلبها متعلقاً بالماضي (تك ١٩ : ٢٦)، وقد عرض لوط ابنتاه لإنقاذ الملاكين اللذان وصلا إلى سدوم (تك ١٩ : ٧، ٨)، يذكر الكتاب المقدس أيضاً العمل السيئ التي فعلتها الأبتان بأبيهما لوط حينما أسقياه الخمر لينجبا منه أبناء بدون أن يدري (تك ١٩ : ٣١-٣٨)، وقد أنجبت الإبتين من أبيهما ابنتين من هذه الفاحشة وهما موآب (ابن ابنة لوط البكر) وبن عمي (ابن ابنة لوط الصغرى). (١) لعل الخوف هنا هو من تكرار ما حدث، فقد يكون أهل هذه المدينة ما زالوا على معصيتهم، فخاف لوط على نفسه وعلى ابنتيه من أهل هذه المدينة أو تكرار ما حدث في سدوم وعمورة.

ويروي الكتاب المقدس عنهما ما يلي: «٣١ وَقَالَتِ الْبِكْرُ لِلصَّغِيرَةِ: «أَبُونَا قَدْ شَاخَ، وَلَيْسَ فِي الْأَرْضِ رَجُلٌ لِيَدْخُلَ عَلَيْنَا كَعَادَةِ كُلِّ الْأَرْضِ. ٣٢ هَلَمْ نَسْقِي أَبَانَا خَمْرًا وَنَضْطَجِعَ مَعَهُ، فَنُخَيِّ مِنْ أَيْنَا نَسْلًا». ٣٣ فَسَقَتَا أَبَاهُمَا خَمْرًا فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ، وَدَخَلَتِ الْبِكْرُ وَاضْطَجَعَتْ مَعَ أَبِيهَا، وَلَمْ يَعْلَمْ بِاضْطِجَاعِهَا وَلَا بِقِيَامِهَا. ٣٤ وَحَدَّثَ فِي الْغَدِ أَنَّ الْبِكْرَ قَالَتْ لِلصَّغِيرَةِ: «إِنِّي قَدْ اضْطَجَعْتُ الْبَارِحَةَ مَعَ أَبِي. نَسْقِيهِ خَمْرًا اللَّيْلَةَ أَيْضًا فَادْخُلِي اضْطَجِعِي مَعَهُ، فَنُخَيِّ مِنْ أَيْنَا نَسْلًا». ٣٥ فَسَقَتَا أَبَاهُمَا خَمْرًا فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ أَيْضًا، وَقَامَتِ الصَّغِيرَةُ وَاضْطَجَعَتْ مَعَهُ، وَلَمْ يَعْلَمْ بِاضْطِجَاعِهَا وَلَا بِقِيَامِهَا، ٣٦ فَحَبَلَتْ ابْنَتًا لُوطٍ مِنْ أَبِيهِمَا. ٣٧ فَوَلَدَتِ الْبِكْرُ ابْنًا وَدَعَتْ اسْمَهُ «مُؤَابَ»، وَهُوَ أَبُو الْمُؤَابِيِّينَ إِلَى الْيَوْمِ. ٣٨ وَالصَّغِيرَةُ أَيْضًا وَلَدَتِ ابْنًا وَدَعَتْ اسْمَهُ «بَنَ عَمِّي»، وَهُوَ أَبُو بَنِي عَمُّونَ إِلَى الْيَوْمِ» (تكوين: ١٩). ويقدم التفسير هذا الفعل الغريب بأن ابنتيه فعلتا ذلك ليس عن شهوة بل لإحداث نسل، وأن هذه الوسيلة التي تعتبر خطأ لا يتحملها لوط لأنه لم يزنِ معهما لكنه يتحمل وزر أنه ربي بناته في بيئة شريره فتشبعنا بالفكر الشرير، وقد يكون في تلك الفترة وفي تلك البيئة أن زواج المحارم كان موجودًا ولم يكن مُحَرَّمًا، بالرغم من أنه لا يمكن قبوله لا دينيًا ولا منطقيًا.

أما الكهف فتشير الاكتشافات الأثرية إلى أنه استخدم لأول مرة في العصر البرونزي المبكر ما بين القرنين الخامس والسابع للميلاد.

وقد أقام المسيحيون ديرًا وكنيسة في الكهف وخارجه، في القرن السادس أو السابع الميلادي، وقد أظهرت نقوش في الكنيسة مكتوبة باللغة اليونانية اسم المطران ورئيس الرهبنة، في حين كُشف في الكنيسة عن الهيكل والمذبح. ويحتوي الكهف على ساحة مبلطة بفسيفساء تعلوها رسومات لطيور وحيوانات وأشجار، تحكي قصة حياة لوط وقومه وكشف عن نقوش يونانية في الأرضية الفسيفسائية متأثرة بالفن النبطي والعصر الإسلامي تحكي قصة حياة لوط، وكان لاكتشاف الكنيسة ووجود فجوة في جانبها أن تقرر إجراء تنقيبات أثرية رسمية في الموقع، وخلال أعمال التنقيبات، تم العثور على كهف في الموقع، الأمر الذي دفع العمال بتاريخ ١٥/٩/١٩٩١ إلى الدخول في داخلها بهدف توسعتها؛ حيث اكتشفوا

طوبا منحوتا بدقة يعود لسقف قبة، ومع الاستمرار في أعمال البحث والتنقيبات انتهى بهم الأمر الى اكتشاف كامل الكنيسة التي جاءت على شكل بازليكا^(١) ذات ثلاثة محاريب فوق الكهف.

وفي النهاية اكتُشفت ثلاثة نقوش حجرية أكدت أن هذا المكان هو دير البار (القديس) لوط، وهو ما أكدته أيضا خارطة مادبا الفسيفسائية المشهورة التي تضمّ تصوير الموقع في القرن السادس الميلادي.

وقد افتُتح الكهف رسميا أمام الحركة السياحية في عام ٢٠٠٢.

لوط نبي أم بار

أوجد كهف لوط جدلاً واسعاً حول كون هذا الكهف يخص لوطاً الوارد ذكره في الكتاب المقدس، أو أنه كهف لشخصٍ آخر يحمل نفس الاسم؟ ولذلك نقدم هذا التفسير على مسؤوليتنا الشخصية:

لوط، هو حسب النظرة الإسلامية نبيٌّ من أنبياء الله، ورسولٌ من رسله. ورد ذكر لوط في القرآن ٢٧ مرة وفي مواضع متفرقة من القرآن. وورد معظمها في الأغلب في سياق سلسلة الأنبياء المتعاقبين وهم: نوح، هود، صالح، وشعيب. أما لوط عند المسيحيين فهو «بار» أو قديس، وليس نبي، ويفسر ذلك أن لوطاً لم ينل دعوته من الله بشكل مباشر، ولم يذكر الكتاب المقدس أي نبوات له، ولم يكن يعرف شيئاً عن المستقبل، ولم يحدث على يديه المعجزات التي تؤيد نبواته، وجاء وصفه بالبار في رسالة بطرس الرسول الثانية ٢: ٧ «وَأَنْقَذَ لُوطًا الْبَارَّ، مَغْلُوبًا مِنْ سِيرَةِ الْأَرْدِيَاءِ فِي الدَّعَاةِ».

ومن الجدير ذكره أن الكثير من الآثاريين يشككون بأن الكهف المذكور يعود للنبي لوط كون النقش المذكور يقول أن الكنيسة والدير، ديرًا للقديس لوط، وهو حسب رأيهم

(١) البازليكا عمارة مستطيلة الشكل مقسم إلى ثلاثة أجزاء وهي: - الصحن المركزي الذي يتوسط المبنى وجناحين علي جانبي البهو تفصل بينهما الأعمدة ولها حنية شرقية وبعض البزليكات لها حنيتين شرقية وغربية.

ليس سوى قديس ظهر في الفترة المسيحية وليس النبي لوط، إلا أن هؤلاء يتناسون بأن لوطاً المذكور هنا هو نفسه الوارد في الكتاب المقدس، ووصفه بالقديس يتناسب والرأي المسيحي عنه، ولأن الكنيسة تعود للفترة البيزنطية، فهي تحمل العقيدة المسيحية، ومع ذلك فإن كان الكهف للوط أو لقديس مسيحي يحمل نفس الاسم فإن الاستخدام السياحي للمكان هو أنه كهف خصص للحادثة المذكورة في التوراة وليس لحدثٍ غيره، فإما أن تعتمد الدولة السردية المتعلقة بكهف لوط أو تختار سرديةً أخرى بدل الإبقاء على تلك الحالة الهلامية. نُشير هنا إلى أن علم الآثار لم يؤكد وجود لوط، كما أن نقوش والآثار التي اكتشفت حتى الآن لا تُشير قط لانتساب المؤابيين والعمونيين للوط.

هل كان بني عمون وبني مؤاب عرباً أم لا؟

أوردنا سابقاً أن لإبراهيم ولدان هما: إسحق وإسماعيل. إسماعيل بن إبراهيم بن تارح هو عند المسلمين نبي من أنبياء الله، بينما في اليهودية والمسيحية هو عبارة عن إنسان صاحب مكرمة ورفعة دينية وذات رمزية. تم ذكره في العهد القديم في سفر التكوين، وهو يعتبر أب النسب للعرب الإسماعيليين أي العرب القيدرايون (قيدار هو ثاني أبناء إسماعيل بن إبراهيم، وتنسب إليه مملكة قيدار العربية بدومة الجندل المذكورة في كتابات الآشوريين)، والنبط (الأنباط هم مجموعة من العرب القدماء الذين كانوا يقطنون في جنوب الأردن وشمال الجزيرة العربية وينتمون إلى نبط بن إسماعيل) والعدنانيون (العرب العاربة العدنانية وهم القبائل التي تعود بأصلها إلى جد مشترك عرف عند النسابة والإخباريين العرب باسم عدنان وهو جد الرسول محمد) ولذلك يطلق عليه أبو العرب المستعربة. بالتالي العمونيون والمؤابيون ليسوا من نسل إسماعيل. وسنرى في هذه الجزئية أن الصراع بين العمونيين واليهود والمؤابيين واليهود وهو جزء مهم من السياحة الدينية، ولا يمكن اغفالها.

الوصف المنطقي للعمونيين والمؤابيين أنهم شعوب سامية قديمة استوطنت في وسط الأردن الحالي منذ القرن الثاني عشر قبل الميلاد إلى جانب الأدوميين والآراميين، حيث أقاموا حضاراتهم في هذه المناطق. وبما أن كلا الشعبين ليسا من نسل إسماعيل فلا يمكن

أن نقول عنهم اسماعيليين أو من نسل يعرب بن قحطان، وانقسم القول في نسب قحطان إلى أقوال عدة، منهم من قال إنه من ولد إسماعيل، ومنهم من قال إنه من ولد هود أو عابر كما يُعتقد.

وكما أسلفنا فإن بناء سرديّة أردنية تقابل السردية الصهيونية يحتاج إلى وضع أساسات متينة تبدأ من العصور الحجرية، ثم البناء على هذه الأساسات بناءً متيناً متسلسل الأحداث وواضح المعالم حتى الفترة التي تولى فيها آل هاشم - حفظهم الله - حكم هذه البلاد، وأن كل من مر أو احتل الأرض هذه الأراضي ما هو إلا دخيل، زال أو سيزول مع مرور الوقت.

سردية «النبي شعيب»

شُعَيْب كما جاء في القرآن، وهو نبي عربي عُرف بخطيب الأنبياء لحكمته وفصاحته، يقال أن جدته أو أمه هي بنت لوط، والثابت في نسبه أنه من سلالة إبراهيم واختلفت الأقول حول أسماء وتسلسل أبائه إلى إبراهيم.

أُرسل شعيب إلى قوم مَدْيَن أو ما عُرف عند المفسرين بأصحاب الأيكة. والأيكة إحدى قبائل العرب القديمة، وكانوا يقطنون في الجهة الشماليّة الغربيّة لشبه الجزيرة العربيّة، ولهم العديد من الآثار في السعديّة، وقد كانوا يبنون منازلهم في الجبال الصخريّة، وامتحنوا رعاية الغنم والتجارة، وأطلق عليهم هذا الاسم لأنّهم كانوا يعبدون شجر الأيكة، وهو شجر ملتف على بعضه البعض، كما عرفوا بالغش في الأوزان، فبعث الله لهم النبي شعيب لهدايتهم، ولكنّهم لم يستجيبوا له.

ذكر القرآن الكريم أنّ قوم مدين كانوا بالقرب من قوم ثمود (قوم ثمود نسبةً إلى جدهم ثمود بن غاثر بن إرم بن سام بن نوح. وقيل ثمود بن عاد بن إرم، وقيل ابن عاد بن عوص بن إرم. وقيل ثمود بن عابر بن إرم بن سام وقيل ثمود بن جابر بن إرم بن سام وقيل ثمود بن جابر بن سام بن نوح، وهم قوم ورد ذكرهم في القرآن، وكانوا ينحتون بيوتهم في الجبال، وقد ورد اسم ثمود في نصوص الآشوريين في إحدى معارك سرجون الثاني؛ انتهت بانتصار

آشور وإخضاع الثموديين. وقوم ثمود من العرب البائدة، وقد أرسل الله إليهم النبي صالح^(١)، يدعوهم لعبادة الله وحده وترك عبادة الأوثان، فاستجابوا لدعوته، ثم ارتد بعضهم وعقروا الناقة التي أرسلها الله لهم آية، وتحذوا صالحاً أن يأتيهم بالعذاب، ودبروا مكيدة لقتل صالح وأهله، فأهلكهم الله ونجى صالح والمؤمنين).

«وَالِى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَقْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٨٥) وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا وَادْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَرْتُمْ وَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ (٨٦) وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ آمَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلَتْ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ (٨٧) قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ (٨٨) قَدْ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ (٨٩) وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَئِنْ أَتَيْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذَا لَخَاسِرُونَ (٩٠) فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ (٩١) الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَأَن لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ (٩٢) (الأعراف)

أما شعيب في اليهودية فورد اسمه في العهد القديم رعوئيل أو يثرون أي صاحب الفضيلة، ويقال له بالسريانية يثرون أو ثابور وكان كاهناً في مدين^(٢)، وكان له سبعة بنات، اتخذ موسى

(١) لم يرد ذكر النبي صالح في الكتاب المقدس.
(٢) مَدْيَنَ أو المدينيين (أصحاب الأيكة)، اسم قبيلة من العرب القدماء في شمال غرب الجزيرة العربية تقع آثار مساكنهم بالقرب من مدينة البدع التابعة لمنطقة تبوك التي تقع شمال غرب المملكة العربية السعودية، ويسمى القسم الشمالي من الحجاز ب(أرض مدين) نسبة لهم.
ومدين اسم سامي معناه «محكمة»، أو «نزاع»، أو «مخاصمة»، ويعتقد البعض أن أرض مديان كانت تمتد من خليج العقبة على موآب وطور سيناء. وكان شعبها يتاجرون مع فلسطين ولبنان ومصر وكانوا في رفقة الإسماعيليين لما بيع يوسف (تك ٣٧: ٢٨؛ قابل تك ٣٧: ٣٦). وكان الإسماعيليون من سكان مديان وسكن موسى مدة في مديان (خر ٢: ١٥، ٢٢؛ عد ١٠: ٢٩). والمنطقة التي تقع شرقي خليج العقبة تسمى الآن «مديان». ويصعب جداً تعيين موقع وحدود بلاد مديان. ففي (سفر التكوين ٢٥: ٦)

إحداهن زوجة وهي صفورة. ويختلف العلماء حول ما كان هو نفسه حوباب أم لا «وَبَنُو الْقَيْنِيِّ حَمِي مُوسَى صَعِدُوا مِنْ مَدِينَةِ النَّخْلِ مَعَ بَنِي يَهُوذَا إِلَى بَرِّيَّةِ يَهُوذَا الَّتِي فِي جَنُوبِي عَرَادَ، وَذَهَبُوا وَسَكَنُوا مَعَ الشَّعْبِ». (قض ١: ١٦). «وَحَابِرُ الْقَيْنِيِّ انْفَرَدَ مِنْ قَايِنَ، مِنْ بَنِي حُوبَابَ حَمِي مُوسَى، وَخَيَّمَ حَتَّى إِلَى بَلُوطَةَ فِي صَعْنَايِمَ الَّتِي عِنْدَ قَادَشَ... (قض ٤: ١١ - ٢٤)، وقد يكون يحمل عدة أسماء منها حبير القيني ويتيئيل.

لُقِّبَ «رعوئيل» باسم «يثرون» أي صاحب الفضيلة أو صاحب السمو أو صاحب الغبطة، ولعل اسم يثرون يمثل لقب الشخص الذي يشغل منصب كاهن مديان «فلما أُتِنَ إِلَى رَعُوئِيلَ أَبْيَهَنَ قَالُ...» (خر ٢: ١٨) «وأما موسى فكان يرعى غنم يثرون حميه كاهن مديان» (خر ٣: ١) «فمضى موسى ورجع إلى يثرون حميه» (خر ٤: ١٨) يُقال أن حمى موسى كان يعبد إله إبراهيم، كما يوحي بذلك اسمه «رعوئيل» أي «صديق إيل».

يعتقد علماء المسلمين أن حوباب هو نفسه شعيب، وقد رافق حوباب بني إسرائيل في رحلتهم كمرشد لهم في دروب الصحراء، بينما ذكر سفر العدد حوباب بأنه ابن رعوئيل «٢٩ وَقَالَ مُوسَى لِحُوبَابَ بْنِ رَعُوئِيلَ الْمَدْيَانِيِّ حَمِي مُوسَى: «إِنَّا رَا حُلُونِ إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي قَالَ الرَّبُّ أُعْطِيكُمْ إِيَّاهُ. اذْهَبْ مَعَنَا فَتُحَسِّنَ إِلَيْكَ، لِأَنَّ الرَّبَّ قَدْ تَكَلَّمَ عَنْ إِسْرَائِيلَ بِالْإِحْسَانِ» (العدد: ١٠)

ويثرون، هو شخصية مهمة في الديانة الدرزية. ويُعتبر نبياً في العقيدة الدرزية. ومقامه عندهم في فلسطين المحتلة في حطين في الجليل الأسفل وهو أقدس مزار وأهم موقع حج

نجد أنها كانت في أرض المشرق (تك ٢٥: ٦)، مما قد يعني مكان ما بين من جبل حرمون وشرقاً إلى نهر الفرات، وجنوباً إلى جنوبي شبه الجزيرة العربية. ولعلها كانت أيضاً تشمل الجزء الشرقي من صحراء سيناء المجاور لخليج العقبة. ويتفق معظم العلماء بأن «بلاد مديان» كانت تطلق أساساً علي المنطقة الواقعة شرقي خليج العقبة في شبه الجزيرة العربية. وقد ذكر الجغرافي القديم بطليموس بلاد «موديانا» و«مديانا». والأرجح أن «مديانا» هي «مديام» التي ذكرها يوسابيوس المؤرخ الكنسي، ويغلب أنها هي «البيد» الواقعة إلى الشرق من خليج العقبة. كما ذكر يوسيفوس أنها تقع علي ساحل البحر الأحمر، أي على خليج العقبة. وحيث أن المديانيين كانوا من البدو الرحل، فإنهم لم يبنوا مدناً، ولم يذكر لهم اسم مدينة، ونشأت علاقة بين قبيلة «الحيفة» التي جاء ذكرها في قوائم تغلث فلاسر الثالث ملك آشور، و«عيفة» أحد أبناء مديان (تك ٢٥: ٤)، فيذكر الملك الآشوري أن تلك القبيلة دفعت له الجزية، ذهباً وفضة وجمالاً وأطياباً. ويجمع إشعياء النبي بين مديان وعيفة وشبا (إش ٦٠: ٦).

للدروز. يُقدَّر يثرون باعتباره النبي الأكبر في الديانة الدرزية، ويعتقدون أنه كان «نبيًا خفيًا» و«حقيقيًا» تواصل مباشرة مع الله ثم نقل هذه المعرفة إلى موسى، والذي يصفونه بأنه «نبي معترف به» و«نبي موحى». وفقًا للعقيدة الدرزية، سمح لموسى أن يتزوج صفورة، ابنة يثرون، بعد أن ساعد في إنقاذ بناته وقطعانهم من الرعاة المتنافسين.

مكان بشارة شعيب أو يثرون:

ويعتقد أن بداية دعوته كانت من الصحراء جنوب معان وما حولها ثم إلى وادي الموجب وشم المناطق الشرقية من البحر الميت، ويأتي الدليل القرآني على ذلك: وما قوم لوط منكم ببعيد سورة هود الآية ٨٩. أما في التوراة فيبدو المكان في سيناء حتى السعودية: «وَأَمَّا مُوسَى فَكَانَ يَرْعَى غَنَمَ يَثْرُونَ حَمِيمِهِ كَاهِنِ مَدْيَانَ، فَسَاقَ الْغَنَمَ إِلَى وَرَاءِ الْبَرِّيَّةِ وَجَاءَ إِلَى جَبَلِ اللَّهِ حُورَيْبٍ.» (خر ٣: ١).

أما مقام النبي شعيب في الأردن فيقع في منطقة وادي شعيب جنوب مدينة السلط في الأردن، وهو عبارة عن مسجد حديث فيه قبر يُنسب للنبي شعيب، وتم إنشاء المسجد وتأهيله عام ٢٠٠٣، ويشتمل على مصلى للرجال وآخر للنساء، والمقام، وقاعة متعددة الأغراض، ومكتبة، وغيرها من الخدمات. وكان المبنى القديم يتألف من غرفة المقام يعلوها قبة صغيرة وبداخلها مقام النبي شعيب، ويتوافد عليه آلاف الزوار سنويًا معظمهم من دول شرق آسيا.

سردية النبيان «موسى وهارون»

موسى نبي من سبط لاوي بن يعقوب حسب سفر الخروج ١: ٢ وهو الزعيم الذي أمره الرب بالخروج ببني إسرائيل من مصر (أرض العبودية) إلى أرض الميعاد - حسب الإدعاء اليهودي - وهو كذلك مشرّع الديانة اليهودية. تلقف الوصايا العشر من الرب منقوشة على لوحين في جبل حوريب، وهي الوصايا التي بني عليها الدين اليهودي، والتي تعتبر أيضًا جزء من العقيدة المسيحية. ولد في مصر وقضى طفولته وشبابه فيها في كنف آل فرعون، أما هارون

فكان شقيقه، ثم معاونًا له بأمر رباني، ويعتبر هارون مؤسسًا للسلطة الكهنوتية اليهودية. واشتهر من آل موسى عدد من الشخصيات الكتابية الأخرى مثل مريم أخته الكبرى، وصفورة زوجته الأولى ابنة كاهن مديان، وجرشوم بكره. بكل الأحوال، فإن موسى ترك خلافته بعد موته على جبل نيبو إلى يشوع بن نون بناءً على أمر إلهي (تث ٣٤: ٩).

يقال أن موسى هو كاتب التوراة وفيها تدور كل أمور الخروج، ومعجزات قام بها موسى بأمر إلهي كشقّ البحر الأحمر، والعصا التي تحولت إلى أفعى، وضرب مصر بالضربات العشر. مات موسى بعمر المئة وعشرين سنة، ولم تكل عينه ولا ذهبت نضارته (سفر التثنية ٣٤: ٧) ويعتبر موسى نبيًا مهمًا في الإسلام فهو من أولي العزم من الرسل، والشخصية الأكثر ذكرًا في القرآن.

لا وجود لدليل أثري أو تاريخي غير ديني يدعم إثبات وجود موسى، لذا فقد اعتبر بعض الباحثين أن موسى وكامل التوراة أسطورة وجدت زمن السبي البابلي، نظرًا لتشابه رواية انتشال موسى مع رواية انتشال سرجون الأكادي، غير أن عددًا آخر من الباحثين دافعوا عن تاريخية موسى.

يُعتقد أن الفترة التي ظهر فيها موسى كانت ما بين ١٣٩١ - ١٢٧١ قبل الميلاد، وبعض الدراسات التاريخية تعيده للقرن الخامس عشر أو تقربه للقرن الحادي عشر قبل الميلاد، أما فرعون الذي عاصر موسى فقد يكون تحتمس الثالث أو رمسيس الثاني أو مرنبتاح رغم عدم وجود أي دلائل أثرية حتى تاريخ كتابة هذا الكتاب يدعم هذا الأمر، وأكد هذا الأمر عالم الآثار المصري الشهير زاهي حواس حيث قال أنه لا توجد أدلة لتواجد أثري إسرائيلي في مصر، مشيرًا إلى أنه لا توجد أي برديات تتحدث عن بني إسرائيل في مصر، ورغم ذلك فإن ما كُشف من آثار فرعونية في مصر حتى كتابة هذا الكتاب لا يزيد عن ثلث الآثار المتوقعة للفراعنة.

أحداث مهمة حول سرديّة النبي موسى في الأردن:

المرور في الأراضي الأردنية:

١- عصيون جابر: «ثُمَّ ارْتَحَلُوا مِنْ عَبْرُونََ وَنَزَلُوا فِي عَصْيُونَ جَابَرَ» (عدد ٣٣: ٣٥) وهي مدينة بمملكة أدوم، على الطرف الشمالي من خليج العقبة لكنها خارج الحدود الأردنية. ذكرت عصيون جابر ست مرات في التوراة، ووفقاً لسفر العدد فهي واحدة من محطات بني إسرائيل في البرية أثناء التيه بعد خروجهم من مصر بين ترحالهم من عبرونة إلى برية صين. يعتقد أن ذلك المكان هو تل الخليفة، على بعد ١٥٠ متر من ساحل البحر، بدأت أهميتها زمن النبي سليمان الذي بنى فيها أسطوله في البحر الأحمر. وسيطر على التجارة مع شبه الجزيرة العربية عن طريق البر والبحر. ولكن تلك السيطرة ضعفت بعد وفاة سليمان النبي، واستولت عليها مملكة أدوم فيما بعد: وَعَمِلَ الْمَلِكُ سُلَيْمَانُ سَفْناً فِي عَصْيُونَ جَابَرَ الَّتِي بِجَانِبِ أَيْلَةَ^(١) عَلَى شَاطِئِ بَحْرِ سُوفٍ^(٢) فِي أَرْضِ أَدُومَ. فَأَرْسَلَ حِيرَامُ فِي السُّفُنِ عَبِيدَهُ النَّوَائِي الْعَارِفِينَ بِالْبَحْرِ مَعَ عَبِيدِ سُلَيْمَانَ، فَأَتَوْا إِلَى أُوْفِيرَ^(٣)، وَأَخَذُوا مِنْ هُنَاكَ ذَهَباً أَرْبَعَ مِئَةِ وَزْنَةٍ وَعِشْرِينَ وَزَنَةً، وَأَتَوْا بِهَا إِلَى الْمَلِكِ سُلَيْمَانَ. (الملوك الأول ٩: ٢٦-٢٨)

٢- جبل هور (جبل هارون): توفي هارون قبل أخيه موسى ودُفن على قمة جبل بالقرب من مدينة البترا. ويسمى الجبل الآن بجبل هارون نسبة للنبي هارون. (٣٦) ثُمَّ ارْتَحَلُوا مِنْ عَصْيُونَ جَابَرَ وَنَزَلُوا فِي بَرِّيَّةِ صَيْنَ وَهِيَ قَادَشُ. ٣٧ ثُمَّ ارْتَحَلُوا مِنْ قَادَشَ وَنَزَلُوا فِي جَبَلِ هُورٍ فِي طَرَفِ أَرْضِ أَدُومَ. ٣٨ فَصَعِدَ هَارُونُ الْكَاهِنُ إِلَى جَبَلِ هُورٍ حَسَبَ قَوْلِ الرَّبِّ، وَمَاتَ هُنَاكَ فِي السَّنَةِ الْارْبَعِينَ لِخُرُوجِ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ، فِي الشَّهْرِ الْخَامِسِ فِي الْأَوَّلِ مِنَ الشَّهْرِ. ٣٩ وَكَانَ هَارُونُ ابْنُ مِئَةٍ وَثَلَاثٍ وَعِشْرِينَ سَنَةً حِينَ مَاتَ فِي جَبَلِ هُورٍ. (سفر العدد الإصحاح ٣٣). وفي رواية وفاة هارون عليه السلام حسب الفكر الإسلامي: قال السدي: أوحى الله عز وجل إلى موسى: أي متوفي هارون، فأت به جبل

(١) العقبة

(٢) البحر الأحمر

(٣) منطقة مجهولة لكن الأغلب أنها جنوب العقبة.

كذا وكذا، فانطلق موسى وهارون نحو الجبل، فإذا هما بشجر لم ير شجر مثلها، وإذا بيت مبني فيه سرير عليه فرش، وإذا فيه ريح طيبة، فلما نظر هارون إلى ذلك بجنبه أعجبه، وقال: يا موسى إنني أحب أن أنام على هذا السرير، قال: فتم عليه، فقال: إنني أخاف أن يأتي رب هذا البيت فيغضب عليّ، قال له موسى: لا، أنا أكفيك رب هذا البيت فتم، قال: يا موسى بل نم معي فإن جاء رب البيت غضب عليّ وعليك جميعاً، فلما ناما أخذ هارون الموت فلما وجد حتفه قال: يا موسى خذ عيني، فلما قبض رفع ذلك البيت وذهبت تلك الشجرة، ورفع السرير إلى السماء، فلما رجع موسى إلى بني إسرائيل وليس معه هارون، قالوا: إن موسى قتل هارون وحسده حب بني إسرائيل له، فقال موسى: ويحكم فإن أخي أمر ولن أقتله فلما أكثروا عليه قام فصلى ركعتين ثم دعا الله فنزل السرير حتى نظروا إليه بين السماء والأرض فصدقوه. وقال عمرو بن ميمون: كان وفاة موسى وهارون في التيه، ومات هارون قبل موسى. فكانا خرجا في التيه إلى بعض الكهوف، فمات هارون ودفنه موسى، وانصرف إلى بني إسرائيل، فقالوا: ما فعل هارون؟ قال: مات، قالوا: كذبت ولكنك قتلت لمحببتنا إياه، وكان محبباً في بني إسرائيل. فتضرع موسى إلى ربه وشكى ما لقي من بني إسرائيل، فأوحى الله عز وجل إليه أن انطلق بهم إلى قبر هارون حتى تخبرهم أنه مات موتاً ولم تقتله، وانطلق بهم إلى قبر هارون فنادى: يا هارون فخرج من قبره ينفض من رأسه فقال: أنا قتلتك؟ قال: لا والله ولكني متّ قال: فعد إلى مضجعك، وانصرفوا. أما الرواية التوراتية فتقول: توفي هارون على قمة جبل هور، عن عمر يبلغ ١٢٣ عام بعد أن قام بخلع رداء الكهنوت على ابنه أليعازر بناءً على أمر يهوه لموسى: (خذ هارون وأليعازر ابنه واصعد بهما إلى جبل هور واخلع عن هارون ثيابه والبس أليعازر ابنه إياها...) العدد ٢٠: ٢٥-٢٧. أما المقام فيعود تاريخه إلى العهد المملوكي، والضريح عبارة عن غرفة وساحة صغيرة، وتعلو الغرفة قبة بيضاء كتب على أعلى باب المقام تاريخ تجديده سنة ٧٠٩ هـ والقبر مجلل بخلعه خضراء وأمامه حجر أسود. ويقع المقام في أعلى نقطة في البترا وعلى ارتفاع ١٣٥ م، ويتألف البناء من مسجد تعلوه قبة وقرب الموقع كنيسة بيزنطيتين: الأولى قياساها ٢٠، ١٣ * ٦٠، ٢٢ م على المخطط البازيليكي وهو يتشكل من صالة وسطى وجناحين، ويقسمهما من الداخل صفا أعمدة يتألف كل منهما

من سبعة أعمدة استبدلت فيما بعد بدعامات، وكانت المسافة بين الأعمدة نحو ٢,٥٠ م، ويتشكل الهيكل من محراب نصف دائري داخلي وغرفتين جانبيتين، بحيث يرتفع كل من المحراب والخورس بدرجتين عن مستوى الكنيسة. وعندما تعرضت الكنيسة للدمار أعيد بناؤها وأُحدثت فيها تغييرات منها وضع دعامات بدل الأعمدة، وقد رفعت في هذه المرحلة أرضية المحراب والخورس وتم اختصار طول الكنيسة بجدار ورصفت الباحة بألوان من الحجر الرملي، وأصبح المحراب مسقوفاً بنصف قبة والغرف الجانبية حملت سقوفها على أقواس وقد بلطت أرضية المحراب بالرخام. يتبع البناء مصلى على نمط كنيسة قاعة ٦,٤٠ م*١٦ م بمحراب داخلي ويقع إلى الشمال من الكنيسة وقد يكون معاصراً للكنيسة أو مضافاً في فترة لاحقة، يتبع الكنيسة ساحتان حولهما غرف، الجزء الشمالي كان على الأرجح نزلاً للحجاج. وتُعد الكنيسة جزءاً من دير بمساحة ٧٥ م*٤٥ م، حيث كُشف عن مقاعد رجال الدين في المحراب ومكان كرسي المطران وسط المحراب وهذه المقاعد تخص البناء الأول، بينما هناك أيضاً مقاعد حجرية عند مدخل الكنيسة تمت زيادتها في المراحل اللاحقة، كما عثر على قطع رخامية من حاجز الهيكل وعمود من الحاجز. وعثر في الموقع على أرضيات فسيفسائية ترجع للقرن السادس الميلادي، حيث تعرضت الصور فيها للتخريب، اللوحة كانت تضم مشاهد صيد لحيوانات مفترسة وأشكال هندسية منها مربعات متشابكة، كما عثر على كسر من الجص الملون بالأحمر مما يشير إلى وجود زخارف جدارية، وبقيت كلمات يونانية منقوشة على قطع من حاجز الهيكل منها (المعين والقديس جورجوس)، أما الكنيسة الثانية فتقوم أسفل مزار ولي ويعود المزار للفترة الإسلامية ربما للقرن الرابع عشر الميلادي، حيث كان من الصعب تتبع مخططها وبالتالي تحديد نمطها بدقة.

٣- المرور عبر أرض أدوم وكنعان: أرسل موسى إلى ملك أدوم رسلاً من قادش يطلب فيها المرور عبر أراضيه فرفض ملك أدوم وهدده بالحرب فتحول مسار العبرانيين من المرور بأرض أدوم إلى أرض كنعان (العدد ٢٠: ١٤-٢٩) أما الأراضي التي مر اليهود بها بأدوم كما ورد في سفر العدد الإصحاح ٣٣ فهي: ٣٣ ثُمَّ ارْتَحَلُوا مِنْ حُورِ الْجِدْجَادِ وَنَزَلُوا فِي

يُطَبَّات. أما حور الجدداد فهو منطقة ما غير معروفة شمالي خليج العقبة ولكن لا يمكن معرفة هل هي ضمن الحدود الأردنية حاليًا أو ضمن حدود فلسطين المحتلة ويطبات أو بالعربية الطيبات، وكانت أرض أنهار ماء حسب الكتاب المقدس، فيحتمل أن تكون المنطقة التي تشغلها حاليًا مستوطنة يوتوفاتا أو يوتفاتا أو يطفاتا والتي تبعد ٤٠ كم شمالي خليج العقبة ضمن أراضي فلسطين المحتلة في صحراء النقب أو قد تكون سبخة طابا وبئر طابا، التي تبعد حوالي ٤٠ كم شمالي مدينة العقبة الأردنية، في منطقة وادي عربية، في داخل الأراضي الأردنية، بكل الأحوال هي منطقة ما شمال العقبة بحدود ٤٠ كم. ٣٤ ثم اِرْتَحَلُوا مِنْ يُطَبَّاتٍ وَنَزَلُوا فِي عَبْرُونََةَ. ولعل عبرونة تلك المنطقة التي يطلق عليها الآن عين دفية جنوبي فلسطين المحتلة شمال خليج العقبة، على بعد يقارب ١٢ كم شمال خليج العقبة، لكن هذا التحديد غير مؤكد لا تاريخيًا ولا أثرًا، ثم يقول: ٣٥ ثم اِرْتَحَلُوا مِنْ عَبْرُونََةَ وَنَزَلُوا فِي عِصْيُونََ جَابَرَ. ٣٦ ثم اِرْتَحَلُوا مِنْ عِصْيُونََ جَابَرَ وَنَزَلُوا فِي بَرِّيَّةِ صِينٍ وَهِيَ قَادَشُ. وقادش حسب المصادر المتعددة لا يمكن تحديدها بسهولة، لكن برية صين كانت مساحة واسعة، وهي منطقة جغرافية ذكرتها التوراة باعتبارها تحتوي على برية قادش بداخلها؛ ومعظم المصادر الكتابية تحدد موقعها كجزء من وادي عربية، وحسب سفر يشوع^(١) فإنها ملاصقة للحدود الجنوبية لكنعان، وهي حد لأدوم غربًا وليهوذا إلى الجنوب الشرقي، وكانت جزءًا من برية فاران أو كانت قادش حدًا بينهما. وذكر في سفر العدد الاصحاح ٢٧ أن بني إسرائيل عصوا الرب في برية صين (١٤): لَأَنَّهُمْ فِي بَرِّيَّةِ صِينٍ، عِنْدَ مُخَاصِمَةِ الْجَمَاعَةِ، عَصَيْتُمْ قَوْلِي أَنْ تُقَدِّسَانِي بِالْمَاءِ أَمَامَ أَعْيُنِهِمْ». ذَلِكَ مَاءُ مَرِيَّةِ قَادَشَ فِي بَرِّيَّةِ صِينٍ). وهنا لا بد من ذكر بعض الملاحظات أولها أن قادش اسم لموقع جغرافي ذكر في العديد من المواضع في الكتاب المقدس، حيث يصف مساحة جغرافية واسعة تقع جنوب أرض كنعان ومملكة يهوذا، فيذكر قادش أو قادش برنيع كموقع رئيسي لتخيم اليهود أثناء تجولهم في صحراء صين (سفر التثنية ١: ٤٦)،

(١) يعتبر هذا السفر من أكثر الأسفار جدلا في العهد القديم، حيث أن غالبية الباحثين المعاصرين يشككون في القيمة التاريخية لسفر يشوع، ويرون أنه يعكس تصورات لاحقة أكثر من كونه سجلا دقيقا للأحداث.

وكذلك المكان الذي تم إرسال الجواسيس اليهود منه إلى كنعان (العدد ١٣: ١-٢٦)، ومنه كانت أول محاولة فاشلة للاستيلاء على كنعان من قادش، وكذلك الموقع حيث ضرب موسى الصخرة بعصاه فانفجرت منها المياه في قادش، وماتت أخته مريم وأخيه هارون ودُفنا بالقرب من مكان يُدعى قادش. وأرسل موسى مبعوثين إلى ملك أدوم من قادش، وطلب الإذن للسماح لليهود بالمرور عبر أراضيه، وهو ما رفضه ملك أدوم كما أسلفنا، يشار إلى أن يوسيفوس المؤرخ اليهودي ربط قادش بمدينة البترا في الأردن. أما النقطة الثانية فهي أن جبل عباريم جزء لا يتجزأ من برية صين، وقد يكون جبل عباريم سلسلة من الجبال التي تمتد من الجنوب للشمال ويقع ضمنها جبل عباريم وجبل هور وجبل نيبو. ٣٧ ثم اَزْتَحَلُوا مِنْ قَادَشَ وَنَزَلُوا فِي جَبَلِ هُورٍ فِي طَرَفِ أَرْضِ أَدُومَ. أي أنهم لم يدخلوا أراضي أدوم بل الطرف وهو ما لا يتفق وحدود أدوم حسبما نعرف ولعل تلك المنطقة كانت في تلك الفترة محايدة أو خارج سيطرة الأدوميين لكن لا نملك المعلومة الكافية تاريخياً أو أثرياً، أما جبل هور فهو جبل هارون كما أسلفنا، ثم يتابع: ٤١ ثُمَّ اَزْتَحَلُوا مِنْ جَبَلِ هُورٍ وَنَزَلُوا فِي صَلْمُونَةَ. وصلْمُونَةُ قد تعني السلمانة وقد تكون منطقة السلماني شمال غرب فينان لكن أيضاً هذا غير مؤكد أثرياً، ثم يقول: ٤٢ ثُمَّ اَزْتَحَلُوا مِنْ صَلْمُونَةَ وَنَزَلُوا فِي فُونُونَ. وفونون هي فينان وتقع في وادي عربية في الأراضي الأردنية، كانت مركزاً لمناجم الحديد والنحاس. ثم يقول: ٤٣ ثُمَّ اَزْتَحَلُوا مِنْ فُونُونَ وَنَزَلُوا فِي أُوبُوتَ. ولعلها عين الويبة وهي منطقة تقع بالقرب من حدود مؤآب الجنوبية، ثم يقول: ٤٤ ثُمَّ اَزْتَحَلُوا مِنْ أُوبُوتَ وَنَزَلُوا فِي عَيِّي عِبَارِيمَ فِي تَحْمَ مُوآبَ. وهي منطقة مجهولة لكنها على حدود مؤآب الجنوبية، ووصل العبرانيون إلى أتايريم ١ وَلَمَّا سَمِعَ الْكَنْعَانِيُّ مَلِكُ عَرَادَ السَّاكِنُ فِي الْجَنُوبِ أَنَّ إِسْرَائِيلَ جَاءَ فِي طَرِيقِ أَتَارِيمَ، حَارَبَ إِسْرَائِيلَ وَسَبَى مِنْهُمْ سَبِيًّا. ٢ فَذَكَرَ إِسْرَائِيلُ نَذْرًا لِلرَّبِّ وَقَالَ: «إِنْ دَفَعْتَ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ إِلَى يَدَيَّ أُحَرِّمُ مَدْنَهُمْ». ٣ فَسَمِعَ الرَّبُّ لِقَوْلِ إِسْرَائِيلَ، وَدَفَعَ الْكَنْعَانِيِّينَ، فَحَرَّمُوهُمْ وَمَدْنَهُمْ. فَدَعِيَ اسْمُ الْمَكَانِ «حَزْمَةَ». ٤ وَارْتَحَلُوا مِنْ جَبَلِ هُورٍ فِي طَرِيقِ بَحْرِ سُوفٍ لِيَدْخُلُوا بِأَرْضِ أَدُومَ، فَصَافَتْ نَفْسُ الشَّعْبِ فِي الطَّرِيقِ (العدد ٢١: ١-٤) فيبدو أن العبرانيين ساروا

بعد خروجهم من جبل هور (جبل هارون) نحو الشمال حتى وصلوا إلى طريق أتايريم أو «طريق الجواسيس» أو «طريق القوافل»، وهو اسم لطريق غير بعيد من عراد التي تقع على بعد ٢٥ كيلومتر غرب البحر الميت و ٤٥ كيلومتر شرق بئر السبع في النقب الجنوبي فلسطين فحاربهم ملكها وسبى منهم سبيًا (عدد ٢١: ١) ومنها إلى أوبوت سابقة الذكر ثم إلى عباريم ثم إلى وادي زارد (وادي الحسا) الحدود الجنوبية المعروفة لمملكة مؤاب.

٤- المرور عبر أرض الأموريين وأرض مؤاب: كانت مملكة مؤاب مملكة مهيبة في مقاييس عصرها، لكن لا يمكن أن نحدد حدودها فعليًا في تلك الحقبة الزمنية وإن كانت تعتمد على بعض المظاهر الطبيعية كفواصل بينها وبين الممالك التي تجاورها، لكن حدود مملكة مؤاب كانت تقريبًا تخضع لعدد من التغيرات، بسبب الحروب وحالات القوة والضعف التي مرت بها المملكة، فكانت تتوسع أحيانًا أخرى مقتطعة أراض من ممالك مجاورة، بينما كانت تخسر جزءًا من أراضيها أحيانًا لصالح تلك الممالك، لكن على ما يبدو فإن مملكة مؤاب كان يحدها من الغرب البحر الميت، ومن الشرق مدينة عمون (عمان) والصحراء العربية ومن الجنوب مملكة أدوم ووادي زارد (الحسا). أما من الشمال فالأغلب أنها حدود البحر الميت الشمالية بخط مرسوم أفقيًا نحو الصحراء أو قد يكون نهر أرنون (وادي الموجب)، وذكر في سفر حزقيال (٩: ٢٥) يَبْتَ بَشِيمُوتَ وَبَعْلَ مَعُونَ وَقَرِيَتَايِمَ هي حدود هذه المملكة. وأن عاصمة هذه المملكة كانت في مرحلة ما الكرك (قير مؤاب) وفي مرحلة أخرى ذيبان (ديبون)، وانتهت هذه المملكة بتحالف المؤابيون مع مصر ضد المملكة البابلية سنة ٥٩١ ق.م. حيث جهز نبوخذ نصر ملك بابل حملة ضد هذا الحلف سنة ٥٨٩ ق.م. واحتل كل الطرق المؤدية إلى مصر، وسيطر على القدس سنة ٥٨٦ ق.م. ثم زحف إلى كل من المملكة المؤابية والمملكة العمونية، وحمل بعضًا من سكانها معه إلى بابل، في حين فرّ آخرون إلى مصر. ومع نهاية القرن السادس قبل الميلاد تلاشت مملكة مؤاب ولم يعد لها ذكر، وصارت أراضيها ضمن مملكة الانباط وشعبها مواطنون أنباط. ويخبرنا سفر العدد بأن العبرانيين وصلوا لوادي أرنون (الموجب) خارج تخوم الأموريين أي الحد الفاصل بين الأموريين والمؤابيين ١٣

مِنْ هُنَاكَ ارْتَحَلُوا وَنَزَلُوا فِي عَبْرَ أَرْنُونَ الَّذِي فِي الْبَرِّيَّةِ، خَارِجًا عَنْ تَحْمِ الْأُمُورِيِّينَ. لِأَنَّ
 أَرْنُونَ هُوَ تَحْمُ مُوآبَ، بَيْنَ مُوآبَ وَالْأُمُورِيِّينَ. وَمِنْ هُنَاكَ رَحَلُوا مِائَةَ الثَّلاثِينَ قَدِ تَكُونُ قَرِيبَ
 مَاعِينٍ إِلَى نَحْلِيئِيلَ وَهِيَ مَنَاطِقَةُ نَجْهَلَهَا بَيْنَ مَاعِينٍ وَجَبَلِ نَبِيوٍ وَمِنْ نَحْلِيئِيلَ إِلَى بَامُوتِ
 الَّتِي قَدِ تَكُونُ بَامُوتِ بَعْلَ أَوْ خَرِبَةُ الْقَوَيْقِيَّةِ وَالَّتِي وَرَدَ ذِكْرُهَا فِي حَجَرِ مُوآبَ بِاسْمِ «بَيْتِ
 بَامُوتِ» وَالَّتِي أَعَادَ بِنَاؤها مِيشَعُ مَلِكُ مُوآبَ كَمَا وَرَدَ فِي مَسَلَّتِهِ «بَيْتِ بَامُوتِ لِأَنَّهَا كَانَتْ
 مَدْمُورَةً». (السطر ٢٧ من الحَجَرِ المُوآبِيِّ)، كَمَا وَرَدَ ذِكْرُهَا فِي (يش ١٣: ١٧) بَيْنَ دَبْيُونَ
 وَبَيْتِ بَعْلَ مَاعُونِ، عَلَى بُعْدِ ٤ كَمِ جَنُوبِي جَبَلِ نَبِيوٍ، مِنْهَا إِلَى الْجَوَاءِ ٢٠ الْجَوَاءِ الَّتِي
 فِي صَحْرَاءِ مُوآبَ عِنْدَ رَأْسِ الْفِسْجَةِ الَّتِي تُشْرِفُ عَلَى وَجْهِ الْبَرِّيَّةِ. وَهِيَ الْمَنَاطِقَةُ يَعْتَقَدُ
 أَنَّهَا إِلَى الْغَرْبِ مِنْ مَادَبَا حَالِيًا. وَهَذَا كُلُّهُ وَرَدَ فِي سَفَرِ الْعَدَدِ الْإِسْصَاحِ ٢١. وَهُنَاكَ أَيْضًا
 طَلَبَ مُوسَى مِنَ الْمَلِكِ الْأُمُورِيِّينَ أَنْ يَمُرَّ بِأَرْضِيهِ ٢١ وَأَرْسَلَ إِسْرَائِيلُ رُسُلًا إِلَى سِيحُونَ
 مَلِكِ الْأُمُورِيِّينَ قَائِلًا: ٢٢ «دَعْنِي أَمُرُّ فِي أَرْضِكَ. لَا نَمِيلُ إِلَى حَقْلٍ وَلَا إِلَى كَرْمٍ وَلَا
 نَشْرَبُ مَاءَ بئرٍ. فِي طَرِيقِ الْمَلِكِ نَمْشِي حَتَّى نَتَجَاوَزَ تَحْوَْمَكَ». ٢٣ فَلَمْ يَسْمَعْ سِيحُونُ
 لِإِسْرَائِيلَ بِالْمُرُورِ فِي تَحْوَْمِهِ، بَلْ جَمَعَ سِيحُونُ جَمِيعَ قَوْمِهِ وَخَرَجَ لِلِقَاءِ إِسْرَائِيلَ إِلَى
 الْبَرِّيَّةِ، فَاتَى إِلَى يَاهِصَ وَحَارَبَ إِسْرَائِيلَ. ٢٤ فَضَرَبَهُ إِسْرَائِيلُ بِحَدِّ السَّيْفِ وَمَلَكَ أَرْضَهُ
 مِنْ أَرْنُونَ إِلَى يَبُوقَ إِلَى بَنِي عَمُّونَ. لِأَنَّ تَحْمَ بَنِي عَمُّونَ كَانَ قَوِيًّا. ٢٥ فَأَخَذَ إِسْرَائِيلُ
 كُلَّ هَذِهِ الْمُدُنِ، وَأَقَامَ إِسْرَائِيلُ فِي جَمِيعِ مُدُنِ الْأُمُورِيِّينَ فِي حَشْبُونَ وَفِي كُلِّ قَرْيَا. ٢٦
 لِأَنَّ حَشْبُونَ كَانَتْ مَدِينَةَ سِيحُونَ مَلِكِ الْأُمُورِيِّينَ، وَكَانَ قَدْ حَارَبَ مَلِكُ مُوآبَ الْأَوَّلَ
 وَأَخَذَ كُلَّ أَرْضِهِ مِنْ يَدِهِ حَتَّى أَرْنُونَ. ٢٧ لِذَلِكَ يَقُولُ أَصْحَابُ الْأَمْثَالِ: «إِيتُوا إِلَى حَشْبُونَ
 فَتَبْنُوا، وَتُصْلَحْ مَدِينَةُ سِيحُونَ. ٢٨ لِأَنَّ نَارًا خَرَجَتْ مِنْ حَشْبُونَ، لَهَبًا مِنْ قَرْيَةِ سِيحُونَ.
 أَكَلَتْ عَارَ مُوآبَ. أَهْلُ مُرْتَفَعَاتِ أَرْنُونَ. ٢٩ وَيَلُّ لَكَ يَا مُوآبَ. هَلَكْتَ يَا أُمَّةَ كَمْوُشَ.
 قَدْ صَبَّرَ بَنِيهِ هَارِبِينَ وَبَنَاتِهِ فِي السَّبْيِ لِمَلِكِ الْأُمُورِيِّينَ سِيحُونَ. ٣٠ لَكِنْ قَدْ رَمَيْنَاهُمْ.
 هَلَكْتَ حَشْبُونُ إِلَى دَبْيُونَ. وَأَخْرَبْنَا إِلَى نُوفَحَ الَّتِي إِلَى مِيدَبَا». ٣١ فَأَقَامَ إِسْرَائِيلُ فِي
 أَرْضِ الْأُمُورِيِّينَ. ٣٢ وَأَرْسَلَ مُوسَى لِيَتَجَسَّسَ يَعْزِيرَ، فَأَخَذُوا قُرَاهَا وَطَرَدُوا الْأُمُورِيِّينَ
 الَّذِينَ هُنَاكَ. ٣٣ ثُمَّ تَحَوَّلُوا وَصَعِدُوا فِي طَرِيقِ بَاشَانَ. فَخَرَجَ عُوْجُ مَلِكُ بَاشَانَ لِلِقَائِهِمْ
 هُوَ وَجَمِيعُ قَوْمِهِ إِلَى الْحَرْبِ فِي إِذْرَعِي. ٣٤ فَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «لَا تَخَفْ مِنْهُ لِأَنِّي

قَدْ دَفَعْتُهُ إِلَى يَدِكَ مَعَ جَمِيعِ قَوْمِهِ وَأَرْضِهِ، فَتَفَعَّلْ بِهِ كَمَا فَعَلْتَ بِسِيحُونَ مَلِكِ الْأُمُورِيِّينَ
السَّاكِنِينَ فِي حَشْبُون». ٣٥ فَضَرَبُوهُ وَبَنِيهِ وَجَمِيعَ قَوْمِهِ حَتَّى لَمْ يَبْقَ لَهُ شَارِدٌ، وَمَلَكَوا أَرْضَهُ
(العدد ٢١) وهنا نلاحظ أن العبرانيين قد حاربوا الأموريين واحتلوا أراضيهم من ييوق
(نهر الزرقاء) إلى بني عمون (عمان) وتشمل حشبون (حسبان) عاصمة الأموريين ونوفح
وهي منطقة نجلها قد تكون بين حسبان ومادبا، ثم اتجهوا شمالاً نحو درعا (طريق
باشان) وهزم إسرائيل عوج ملك باشان وقتلوه في هذا المكان (عدد ٢١: ٣٣-٣٥؛ تثنية
١: ٤؛ ٣: ١، ١٠) ويعتقد أن يعزير المذكورة سابقاً بأنها حيث مقام حزير حالياً في وادي
شعيب والذي يقع إلى الجنوب الشرقي من مدينة السلط بالقرب من عين حزير، وبناء
المقام حديث ويعتقد أن هذا المقام نسب إلى (أشير) ثم حُرِفَ إلى حزير، وأشير هو أخ
يوسف عليه السلام. والمقام عبارة عن جامع صغير فيه قبر يُنسب للنبي عشير أو «أشير»،
أحد أخوة النبي يوسف بن يعقوب، لكن السؤال هل المقام كان سابقاً معبداً لأشير التي
هي عشيرة أو عشتروت؟ لماذا أشير أخو يوسف وليس «عشيرة» التي هي عشتروت؟
وسنأتي على ذكر هذا المقام لاحقاً.

«أَنْتَ مَا رَأَيْتَ الْيَوْمَ بُتْخَمَ مُوآبَ، بَعَارَ. فَمَتَى قَرُبْتَ إِلَى تَجَاهِ بَنِي عَمُّونَ، لَا تُعَادِهِمْ وَلَا
تَهْجُمُوا عَلَيْهِمْ، لِأَنِّي لَا أُعْطِيكَ مِنْ أَرْضِ بَنِي عَمُّونَ مِيرَاثًا، لِأَنِّي لِبَنِي لُوطٍ قَدْ أُعْطِيتُهَا
مِيرَاثًا». (تث ٢: ١٨-١٩). ثم عاد الكتاب المقدس وذكر: «وَأَعْطَى مُوسَى لِسِبْطِ جَادَ،
بَنِي جَادَ حَسَبَ عَشَائِرِهِمْ: فَكَانَ تُخْمُهُمْ يَعْزِيرَ وَكُلُّ مُدُنِ جِلْعَادَ وَنِصْفِ أَرْضِ بَنِي عَمُّونَ
إِلَى عَرُوعِيرَ الَّتِي هِيَ أَمَامَ رَبَّةَ»، (يش ١٣: ٢٤-٢٥). فماذا حدث؟ تسلسل الأحداث
كان كالآتي: أوصى الرب موسى النبي قائلاً: «أَنْتَ مَا رَأَيْتَ الْيَوْمَ بُتْخَمَ مُوآبَ، بَعَارَ. فَمَتَى
قَرُبْتَ إِلَى تَجَاهِ بَنِي عَمُّونَ، لَا تُعَادِهِمْ وَلَا تَهْجُمُوا عَلَيْهِمْ، لِأَنِّي لَا أُعْطِيكَ مِنْ أَرْضِ
بَنِي عَمُّونَ مِيرَاثًا، لِأَنِّي لِبَنِي لُوطٍ قَدْ أُعْطِيتُهَا مِيرَاثًا». (تث ٢: ١٨-١٩) والتزم موسى
النبي بهذه الوصية. لكن حارب الأموريون مملكة عمون، واستولوا على جزء كبير من
أراضيهم (قض ١١: ٢٣) طلب موسى النبي من سيحون ملك الأموريين السماح لهم
بالعبور من خلال أرضه، ولكن سيحون رفض طلب موسى، بل خرج لمحاربة إسرائيل،

واحتدمت الحرب، وانتصر إسرائيل على الأموريين، فأخذ موسى نصف أرض عمون من يد الأموريين، وأعطاهما لسبط جاد. وفي عصر القضاة طالب ملك بني عمون إسرائيل بإرجاع الأرض التي استولى عليها منذ موسى النبي قائلاً «إسرائيل قد أخذ أرضي عند صعوده من مصر من أرنون إلى اليبوق وإلى الأردن. فالآن رُدّها بسلام» (قض ١١: ١٣) فرد عليه يفتاح الجلعادي قائلاً «لم يأخذ إسرائيل أرض موآب ولا أرض بني عمون. لأنه عند صعود إسرائيل من مصر سار في القفر والآن الرب إله إسرائيل قد طرد الأموريين من أمام شعبه إسرائيل. أفأنت تملكه..؟ حين أقام إسرائيل في حشبون وقرها وعروعر وقرها وكل المدن التي على جانب أرنون ثلاث مئة سنة فلماذا لم تستردها في تلك المدة» (قض ١١: ١٥ - ٢٦) بالرجوع إلى (عد ٢١: ٢٤ - ٢٦، وقض ١١: ١٢ - ٢٨) ندرك أن الأموريين حاربوا الموآبيين والعمونيين، قبل مجيء بني إسرائيل، واستولوا على مساحات واسعة من أراضيهم بين نهري أرنون ويبوق وحينما طلب موسى من سيحون ملك الأموريين السماح لبني إسرائيل بالمرور في هذه المنطقة، خرج سيحون لمحاربتهم بجيش قوي، فكان مصيره الإبادة، فأخذت بني إسرائيل تلك الأراضي، دون صدام مع العمونيين، غير أن المنطقة ظلت تحمل اسم تخم بني عمون مدة طويلة من الزمن.

٥- موت موسى النبي وجبل نيبو: يقع جبل نيبو على ارتفاع يزيد على ألف ومائة متر عن سطح البحر، وهو من أعلى قمم محافظة مادبا، وعلى حافة حفرة الانهدام تماماً، ومن الجبل يمكن رؤية نهر الأردن، الأغوار ويمكن مشاهدة ما وراء البحر الميت من هذا الجبل. إلا أن التلوث البيئي حالياً يشكل حاجزاً لرؤية البعيد خلف البحر الميت كأريحا. ويقع الجبل في الاتجاه الغربي من (وادي العفريت)، الذي يمتد جنوباً إلى أودية (الجديدة والكنيسة)، ويحده شمالاً (وادي أبو النمل)، ممتداً إلى منطقة (عيون موسى)، منحدرًا غرباً باتجاه (وادي الأردن). ويقع بالقرب منه خربة المخيط والتي تبعد حوالي ٥, ٣ كم عن جبل نيبو. عثر في الخربة على العديد من الكنائس البيزنطية منها كنيسة القديس لوط، وكنيسة القديس بروكوبيوس، وكنيسة القديس جاورجيوس، ودير الكنيسة الذي يقع على مسافة قصيرة في واد أسفل التل. تضم المخيط عدد من الآثار تعود لمراحل

تاريخية مختلفة، من العصر النحاسي إلى العصر العثماني.

أما جبل نيبو فيعتقد أنه جبل مخصص للإله «نبا» وهو إله التجارة عند البابليين. وتذكر مسلة ملك مؤاب «ميشع» مدينة نبو والحروب التي دارت على ذلك الجبل، ومنذ ذلك الوقت هُجرت المدينة، وفي القرن الرابع الميلادي عندما وصلتها جماعة مسيحية على ما يعتقد وبنت فيها كنيسة إيوانية^(١) على النمط البيزنطي وعادت المدينة وازدهرت في القرن السادس الميلادي، ثم يعتقد أنها هُجرت بعد الزلزال الكبير.

جبل نيبو إسلامياً: عن أبي هريرة قال: «أُرسل ملك الموت إلى موسى عليهما السلام، فلما جاءه صكه، فرجع إلى ربه فقال: أرسلتني إلى عبد لا يريد الموت، قال: ارجع إليه فقل له يضع يده على متن ثور، فله بما غطت يده بكل شعرة سنة، قال: أي رب، ثم ماذا؟ قال: ثم الموت قال: فالآن، قال: فسأل الله أن يدينه من الأرض المقدسة رمية بحجر قال أبو هريرة: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لو كنت ثم لأريتكم قبره، إلى جانب الطريق تحت الكثيب الأحمر" رواه البخاري ومسلم وقال الرسول: - (مررت على موسى ليلة أسرى بي عند الكثيب الأحمر وهو قائم يصلي في قبره) رواه مسلم. والكثيب قد يكون جبل كما ورد في القرآن الكريم (وكانت الجبال كشيء مهيلاً) ففي الحديثين النبويين إشارة إلى أن الكثيب الأحمر قريب من القدس (الأرض المقدسة) وبما أنها كانت محرمه على بني إسرائيل دخولها أربعين سنة فإن موسى عليه السلام رآها من هناك من فوق هذا الكثيب. «فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيَهُونَ فِي الْأَرْضِ» المائدة: ٢٦.

جبل نيبو مسيحياً: في التوراة: - ١ وَصَعِدَ مُوسَى مِنْ عَرَبَاتِ مُوَابَ إِلَى جَبَلِ نَبُو، إِلَى رَأْسِ الْفُسَجَةِ الَّذِي قُبَالَةَ أَرِيحَا، فَأَرَاهُ الرَّبُّ جَمِيعَ الْأَرْضِ مِنْ جَلْعَادَ إِلَى دَانَ، ٢ وَجَمِيعَ نَفْتَالِي وَأَرْضِ أَفْرَايِمَ وَمَنْسَى، وَجَمِيعَ أَرْضِ يَهُوذَا إِلَى الْبَحْرِ الْغَرْبِيِّ، ٣ وَالْجَنُوبَ وَالْدَّائِرَةَ بَقُوعَةِ أَرِيحَا مَدِينَةِ النَّخْلِ، إِلَى صُوغَرَ. ٤ وَقَالَ لَهُ الرَّبُّ: «هَذِهِ هِيَ الْأَرْضُ الَّتِي أَفْسَمْتُ لِإِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ قَائِلًا: لِنَسْلِكَ أُعْطِيهَا. قَدْ أَرَيْتُكَ إِيَّاهَا بَعَيْنِكَ، وَلَكِنَّكَ إِلَى هُنَاكَ لَا

(١) إيوانية الشكل أي على شكل قاعة أو مساحة مستطيلة، عادة ما تكون مقبية، تحمل قبتها مجموعة من الأعمدة، وتكون أقرب للبالكا.

تَعْبُرُ». ٥ فَمَاتَ هُنَاكَ مُوسَى عَبْدُ الرَّبِّ فِي أَرْضِ مُوَابَ حَسَبَ قَوْلِ الرَّبِّ. ٦ وَدَفَنَهُ فِي الْجَوَاءِ فِي أَرْضِ مُوَابَ، مُقَابِلَ بَيْتِ فُغُورَ. وَلَمْ يَعْرِفْ إِنْسَانٌ قَبْرَهُ إِلَى هَذَا الْيَوْمِ. (تثنية الإِشْتِرَاعُ الفصل ٣٤). ٤٨ وَكَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى فِي نَفْسِ ذَلِكَ الْيَوْمِ قَائِلًا: ٤٩ «أَصْعَدُ إِلَى جَبَلِ عِبَارِيمَ هَذَا، جَبَلِ بُنُو الَّذِي فِي أَرْضِ مُوَابَ الَّذِي قُبَالَةَ أَرِيحَا، وَانْظُرْ أَرْضَ كَنْعَانَ الَّتِي أَنَا أُعْطِيهَا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ مُلْكًا، ٥٠ وَمَتَّ فِي الْجَبَلِ الَّذِي تَصْعَدُ إِلَيْهِ، وَأَنْصَمَّ إِلَى قَوْمِكَ، كَمَا مَاتَ هَارُونُ أَخُوكَ فِي جَبَلِ هُورَ وَصَمَّ إِلَى قَوْمِهِ. ٥١ لِأَنَّكُمْ خُشْتُمَانِي فِي وَسْطِ بَنِي إِسْرَائِيلَ عِنْدَ مَاءِ مَرِييَةَ قَادَشَ فِي بَرِّيَّةِ صِينَ، إِذْ لَمْ تُقَدِّسَانِي فِي وَسْطِ بَنِي إِسْرَائِيلَ. ٥٢ فَإِنَّكَ تَنْظُرُ الْأَرْضَ مِنْ قُبَالَتِهَا، وَلَكِنَّكَ لَا تَدْخُلُ إِلَى هُنَاكَ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي أَنَا أُعْطِيهَا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ». (التثنية ٣٢: ٤٩) (التثنية ٣١-٣٤ أشوع ١: ١-٩).

خارج الكنيسة نُصِبَ مجسم لحيّة نحاسية على عصا تشبه الصليب تطل على الوادي المطل على الأغوار والبحر الميت وترمز للحيّة النحاسية التي رفعها موسى في الصحراء، «أتى الشعب إلى موسى وقالوا قد أخطأنا إذ تكلمنا على الرب وعليك، فصل إلى الرب ليرفع عنا الحيات، فضلى موسى لأجل الشعب. فقال الرب لموسى اصنع لك حية محرقة وضعها على راية فكل من لدغ ونظر إليها يحيا. فصنع موسى حية من نحاس ووضعها على الراية فكان متى لدغت الحية إنساناً ونظر إلى حية النحاس يحيا» (عدد ٢١: ٧-٩) وترمز هذه الحية النحاسية لحيّة موسى كما أسلفنا والتي ترمز بحد ذاتها إلى الصليب، فعندما تنبأ السيد المسيح بصلبه، شرح معناه. فقال: «وكما رفع موسى الحية في البرية هكذا ينبغي أن يرفع ابن الإنسان لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية» (يوحنا ٣: ١٤-١٥).

«جبل نبو» نال شهرة عالمية وسعة لوجود مقام النبي موسى، وزاره عدد من بابوات روما وكبار الأساقفة في العالم، وهو معترف فيه كموقع حج مسيحي ما أعطى الجبل الذي يعد معلماً سياحياً ودينياً هاماً في محافظة مادبا، أهمية كبيرة جداً، إضافة إلى اعتماده من قبل الفاتيكان ضمن المواقع الدينية الخمسة التي تم اعتمادها للحج المسيحي في الألفية الثانية.

سردية مقام «حزير»

أشير واحد من إخوة يوسف، وقد يطلق عليه أيضًا (حزير) أو (عزير) أو (عشير). أما أخوة يوسف أولاد النبي يعقوب (إسرائيل) ويدعون بنو إسرائيل فهم: النبي يوسف وهو شقيق بنيامين وأمهما: راحيل بنت لابان وهي ابنة خال يعقوب. روبين وهو أكبر إخوته ويهوذا ولاوي وشمعون وزبولون وياساكر وبنّام واحدة اسمها دينا وأمهم: ليئة بنت لابان وهي أخت راحيل وابنة خال يعقوب. دان ونفتالي وأمهما: بلهة. جاد (جادور) وعشير وأمهما: زلفة.

أما في الإسلام فقد ذكر أسماء إخوة يوسف عند أهل التفسير، ومنهم الإمام القرطبي فقال: وأسماءهم روبيل وهو أكبرهم، وشمعون، ولاوي، ويهوذا، وزيالون، ويشجر وأمهم ليا بنت ليان وهي بنت خال يعقوب وولد له من سريتين أربعة نفر: دان، ونفتالي، وجاد، وأشر ثم توفيت ليا فتزوج يعقوب أختها راحيل فولدت له يوسف وبنيامين، فكان بنو يعقوب اثني عشر رجلاً. والراجح أن حزير هو نبي الله عزير المذكور في القرآن الكريم. أما إخوة سيدنا يوسف عليه السلام فهم كما قال ابن جرير الطبري في تفسيره (١١٢/٣): [حدثنا ابن حميد قال: حدثنا سلمة قال: حدثني محمد بن إسحاق قال: نكح يعقوب بن إسحاق -وهو إسرائيل- ابنة خاله «ليا» ابنة «ليان بن توبيل بن إلياس»، فولدت له «روبييل بن يعقوب»، وكان أكبر ولده، و«شمعون بن يعقوب»، و«لاوي بن يعقوب» و«يهوذا بن يعقوب» و«ريالون بن يعقوب»، و«يشجر بن يعقوب»، و«دينة بنت يعقوب»، ثم توفيت ليا بنت ليان. فخلف يعقوب على أختها «راحيل بنت ليان بن توبيل بن إلياس» فولدت له «يوسف بن يعقوب» و«بنيامين» -وهو بالعربية أسد- وولد له من سريتين له: اسم إحداهما «زلفة»، واسم الأخرى «بلهة»، أربعة نفر: «دان بن يعقوب»، و«نفتالي بن يعقوب» و«جاد بن يعقوب»، و«إشرب بن يعقوب» فكان بنو يعقوب اثني عشر رجلاً نشر الله منهم اثني عشر سبطاً، لا يُحصى عددهم ولا يعلم أنسابهم إلا الله، يقول الله تعالى: ﴿وَقَطَعْنَا هُمْ اثْنَيْ عَشَرَ سَبْطًا أُمَمًا﴾. سورة الأعراف: ١٦٠. ولم نجد في أسماء الأنبياء من اسمه (حزير)

أو (عشير) فترجح أنه عزير الذي ورد ذكره في القرآن الكريم: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ التوبة : ٣٠ . قال أبو الفداء الأيوبي في المختصر في أخبار البشر (١٧ / ١) : ولما عادت عمارة بيت المقدس، تراجعت إليه بنو إسرائيل من العراق وغيره، وكانت عمارته في أول سنة سبعين لابتداء ولاية بخت نصر (نبوخذ نصر). ولما تراجعت بنو إسرائيل إلى القدس كان من جملتهم عزير وكان بالعراق، وقدم معه من بني إسرائيل ما يزيد على ألفين من العلماء وغيرهم، وترتب مع عزير في القدس مائة وعشرون شيخاً من علماء بني إسرائيل. وكانت التوراة قد عدت منهم إذ ذاك، فمثلها الله تعالى في صدر العزير، ووضعها لبني إسرائيل يعرفونها بحلالها وحرامها، فأحبوه حباً شديداً، وأصلح العزير أمرهم، وأقام بينهم على ذلك. من كتب اليهود: إن العزير لبث مع بني إسرائيل في القدس يدبر أمرهم، حتى توفي بعد مضي أربعين سنة لعمارة بيت المقدس. أقول: فيكون وفاة العزير سنة ثلاثين ومائة لابتداء ولاية بخت نصر، واسم العزير بالعبرانية عزرا وهو من ولد فتحاس بن العزر بن هارون بن عمران. وهو كما هو مشهور المذكور في القرآن الكريم: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتُ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْماً فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ البقرة : ٢٥٩ . وقال ابن كثير في تفسيره (٦٨٧ / ١) أن كون هذا الرجل المار هو سيدنا عزير عليه السلام هو المشهور. روى ابن أبي حاتم في تفسيره (٢٧٤ / ٢). عن علي بن أبي طالب، «يعني قوله: «أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ»، قال: خَرَجَ عُزَيْرُ نَبِيِّ اللَّهِ مِنْ مَدِينَتِهِ وَهُوَ شَابٌّ، فَمَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ خَرِبَةٍ، فَقَالَ: «أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا» «وَرَوَى عَنِ الْحَسَنِ، وَالسُّدِّيِّ، وَابْنِ بَرِيْدَةَ، وَقَتَادَةَ: أَنَّهُ كَانَ عُزَيْرًا. وقد أوردنا سابقاً رأياً بأن المقام قد يكون في أصله معبداً وثنياً لعشيرة أو عشرت، ثم نُسِبَ لأخ النبي يوسف، ولعل الكلمة الفصل لهذا الأمر هو لعلم الآثار والحفريات العلمية إن سُمِحَ بذلك.

سردية مقام النبي «يوشع بن نون»

يُشوعُ بْنُ نُونٍ أو يوشعُ بْنُ نُونٍ (عد ١٣ : ٨) من سبط أفرام، ولد في مصر، وهو نبي من أنبياء العهد القديم أو أنبياء بني إسرائيل، وهو شخصية قيادية في العهد القديم والمذكور في سفر يشوع. عاش بين القرنين الثالث عشر قبل الميلاد والثاني عشر قبل الميلاد. وهو ابن نون بن إفرام بن يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم، وتولى قيادة ودخول بني إسرائيل بعد موت موسى إلى فلسطين. ويشوع اسم عبري معناه «يهوه خلاص». واسمه أيضًا يهوشوع «وَنُونُ ابْنُهُ، وَيَهْهُشُوعُ ابْنُهُ» (١ أخ ٧ : ٢٧) ثم دعاه موسى يشوع «وَدَعَا مُوسَى هُوشَعَ بْنَ نُونٍ» (يشوع) (عد ١٣ : ١٦). أما قصته فيرويه الكتاب المقدس:

أنه أصبح خليفة موسى، وكان أولًا خادماً لموسى (خر ٢٤ : ١٣) ويسمى في الإسلام فتى موسى، عينه موسى لقيادة بني إسرائيل (خر ١٧ : ٩) ثم أقامه موسى أمام أليعازار الكاهن وكل الشعب وعينه خليفة له (عد ٢٧ : ١٨ - ٢٣؛ تث ١ : ٣٨) ودعا موسى يشوع قبيل وفاته وسلمه العمل الذي كان عليه أن يقوم به وفقاً لإرادة الله (تث ٣١ : ١٤، ٢٣) وبعد موت موسى مباشرة أخذ يشوع في الاستعداد السريع لعبور الأردن. ومنح الشعب ثلاثة أيام لإعداد الزاد (يش ١ : ١٠، ١١) ونبه سبطي رؤيين وجاد ونصف سبط منسى بضرورة إمداد أخوتهم وتقديم المساعدة المسلحة لهم في أثناء المعركة (يش ١ : ١٢-١٨) وأرسل جاسوسين إلى أريحا ليستقصوا الأمور العسكرية فيها (يش ٢ : ١) ثم تحرك بمعسكره نحو النهر وأعطى المحاربين تعليمات دقيقة للزحف (يش ٣ : ١-٦) وقد أظهر مهارته وحنكته العسكرية في الخطة الاستراتيجية التي اتبعها في احتلال أرض كنعان، وبعدما احتل أريحا، المركز الأمامي للكنعانيين، زحف غرباً عبر الجبال واحتل عاي التي كانت قائمة على رابية مقابل الجبل وبعد ذلك أتم وصية موسى فأقام مذبحاً في عيال (يش ٨ : ٣٠-٣٥؛ تث ٢٧) وفي غضون ذلك أتاه وفد من جبعون (قرية الجيب حالياً قرب القدس) يطلبون منه عقد صلح مع بلدتهم، ففعل ذلك دون وحي إلهي، وهذا العمل جلب له المتاعب لاحقاً. ثم قام بغزوتين لاحتلال أرض كنعان كلها. عقد خمسة ملوك حلف عسكري وهم: ملك أورشليم، وحبرون، ولخيش (قرية حالياً جنوب غرب القدس)، وعجلون (قرية شمال غرب القدس)،

ويرموث (قرية شمال غرب القدس) ضد أهل جبعون، ففقدوا صلحًا مع يشوع، مما قرر مصير معركة الجنوب، لأنه حمل يشوع على نجدة الذين عقد معهم صلحًا، والإجهاز على الملوك الخمسة المتحالفين. ثم زحف نحو الغرب واحتل مقيدة على الساحل وأقام فيها محلة مؤقتة. ثم احتل لبننة، ولخيش، وعجلون، وحبرون. ثم عاد من حبرون وضرب دبير (على الأرجح أن مكانها الآن هو تل بيت مرسيم الذي يبعد حوالي ١٣ ميلًا غربًا، إلى الجنوب الغربي من حبرون، وعلى بُعد ثلاثة أميال شمالًا إلى الشمال الغربي من شامير) في الجبال. وبعدها احتل القطاع بين جبعون وغزة وقادش برنيع رجع إلى الجبلجال.

وقد قاد يشوع معارك الغزو في شمالي كنعان وأخذ حاصور وغيرها من المدن (يشوع ١١: ١-١٥) وقام بتقسيم الأرض في كنعان بين الأسباط (يش ١٣-٢٢)، وطلب أن يأخذ لنفسه بلدة فأعطيت له (يش ١٩: ٥). وفي آخر حياته دعا كل بني إسرائيل وألقى عليهم خطابه الوداعي (يش ٢٣؛ ٢٤) وكان إيمانه بالله مفتاح نجاحه. وكان كل قصده أن يرضي الرب، ويمهد سبل الراحة لشعبه. ولكن بني إسرائيل كانوا متقلبين وسريعي الانفعال. وكان يشوع يعرف تقلبهم وضعفهم. وما أجمل القول الذي اختتم به حياته: «أما أنا وبيتي فنعبد الرب» (يش ٢٤: ١٥).

يوشع بن نون في الإسلام: ذكره في القرآن في قصة الخضر لكن غير مصرح باسمه: {وإذ قال موسى لفتهاه {الكهف: ٦٠. {فلما جاوزا قال لفتهاه {الكهف: ٦٢ وذكر في «الصحیح» عن أبي بن كعب، عن النبي، أنه يوشع بن نون.

وقد ذكر المؤرخون أن الله فتح على يديه بيت المقدس، وقد خصه الله بكرامة لم ينلها غيره، وهي حبس الشمس له، روى الإمام أحمد عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الشمس لم تحبس لبشر إلا ليوشع ليالي سار إلى بيت المقدس.

قال ابن كثير في البداية والنهاية: ولما استقرت يد بني إسرائيل على القدس استمروا فيه وبين أظهرهم نبي الله يوشع يحكم بينهم بكتاب الله التوراة حتى قبضه الله إليه وهو ابن مائة وسبع وعشرين سنة، فكان مدة حياته بعد موسى سبعا وعشرين سنة.

أما المقام: فهو عبارة عن مسجد حديث فيه قبرٌ يُنسب للنبي يوشع بن نون، ويقع الضريح على بعد ٢٥ كم إلى الغرب من مدينة عمان على أطراف مدينة السلط في الأردن، في موقع يُطلّ على الأغوار وجبال الضفة الغربية ومدينة القدس. ويعود تاريخ بناء الضريح إلى عهد الدولة العثمانية، والضريح من الداخل طوله أكثر من ٦ أمتار مغطى بقماش أخضر. وقد تمّ تجديده وتوسيعه في عهد الملك عبد الله الثاني ابن الحسين حيث أصبح المبنى الجديد يضم مصلى للرجال وآخر للنساء وغرفة المقام وغيرها.

لا يوجد أماكن غير هذا المقام هذا عن يشوع أو هوشع فيما يتعلق بالأردن، بالتالي نكتفي بهذه الروايات عن يوشع النبي.

سردية «الملك شاول وعمون»

الملوك الثلاثة: شاول وداوود وسليمان لا يوجد كما سبق وذكرنا أي شاهد أثري حقيقي حول وجودهم، ولا اثبات علمي حولهم سوى التوراة. ومع أن النص الديني يذكرهم إلا السردية الخاصة بهم تستخدم من قبل الكيان الصهيوني لإثبات حق إسرائيل في فلسطين المحتلة. وأمام السردية الأردنية التي هي جزء من السردية العربية فإننا نعتبر وجود هذه المملكة الموحدة جزء من تراث المنطقة، بل هو جزء بسيط في مدته الزمنية وتأثيره السياسي والاجتماعي، بل يكاد لا يذكر ضمن التأثير الثقافي.

الملك شاول هو أول ملوك إسرائيل الموحدة واسمه شاول بن قيس، من سبط بنيامين، وجاء للحكم بطريقة غريبة، فيقال أن الأمم المحيطة بإسرائيل تنتهز الفرصة للإيقاع بإسرائيل (١ صم ٨: ١، ٣، ٢٠؛ ١٢: ١٢) وجاء شيوخ إسرائيل إلى صموئيل طالبين أن يمسح^(١) لهم ملكاً كسائر الأمم المجاورة (١ صم ٨: ٤، ٥، ١٩، ٢٠) فأخذ صموئيل قينة دهن، وصبها على رأس شاول فمسحه ملكاً، ولقد اختار الله شاول لأن مظهره سيعوز رضى الشعب

(١) الممسح من المسوح وهو أن يكون الكاهن بالمسح أو سكب الزيت على رأس "المختار" والمختار هنا قد يكون ملكاً أو كاهناً آخر. والممسوح هو شخص يحمل قدسية، والمشيا أو المسيا هو الممسوح والمختار لخلاص الشعب.

وثقتهم، ولأنه من سبط بنيامين، وبنيامين يتوسط أفرايم ويهوذا وبذلك يستجيب لرغبة سكان الشمال والجنوب في فلسطين. وفي بدء أيامه انتصر على ناحاش ملك العمونيين في حصار يابيش جلعاد، وبعد ذلك عيد الشعب في الجلجال، عيد النصر (١ صم ١١: ١ - ١٢: ٢٥).

الملك ناحاش ومملكة عمون ويابيش جلعاد

ناحاش ملك عموني ومعناه «حنش» أو «الحية السوداء» ولعل ذلك يشير إلى سماره، نزل هذا الملك المعروف بقوته ووحشيته على يابيش جلعاد واستبعد أهلها واشترط أن يقوّر العين اليمنى من كل فرد من السكان إن أرادوا أن يقطع لهم عهدًا بحمايتهم. فاستمهلوه مدة سبعة أيام، وفي تلك المدة أرسلوا الخبر إلى جميع أخوانهم من بني إسرائيل. فجاء الملك شاول لنجدتهم، ومعه ثلاثمائة وثلاثين ألف رجل، وهاجم العمونيين وطردهم من المنطقة. وإثر ذلك نُصب شاول ملكًا على بني إسرائيل (١ صم ١١) وتصلح ناحاش فيما بعد مع داود. ولما مات أرسل داود وفدًا يعزي ابنه حانون (٢ صم ١٠: ١ - ٢) وهذه سرديّة أخرى.

وتقع مدينة يابيش جلعاد على ما يعتقد على جبال جلعاد شرقي نهر الأردن، شمالي الأردن إلى الجنوب من طبقة فحل (بيلا) عند النهاية الشرقية لوادي اليبس (البيس). على بعد ٤ كم إلى الشرق من نهر الأردن، وقد وُردَ ذِكرُ يابيش جلعاد في عدة مواضع في العهد القديم فعندما أمتنع أهلها من الصعود إلى مجمع بني إسرائيل في المصفاة (قض ٢١: ٨) بعد مشكلة سرية اللاوي، غار الناس الساخطون المحتدون على المدينة ودمروها، ونجت ٤٠٠ فتاة عذراء، أُعطيَت نساء لسبط بنيامين (عد ١٤) كما ذكرت عندما صعد إليها ناحاش ملك عمون وتوعد رجالها بقلع العين اليمنى لكل رجل كما أسلفنا سابقًا، فاستغاثوا بشاول (١ صم ١١) ولم ينس أهل يابيش جلعاد معروفه، لأنه أنقذهم، ولذلك عندما بلغ أهل يابيش جلعاد خبر مصرع شاول وبنيه في المعركة التي نشبت بين العبرانيين والفلسطينيين على جبل جلبوع، أسرعوا وعبروا الأردن وأنزلوا جثث شاول وبنيه عن سور بيت شان، وأتوا بها إلى يابيش (١ صم ٣١: ١٢) وبقيت مدفونة هناك إلى أن نقلت إلى قبر قيس أبي شاول في أرض بنيامين (٢ صم ٢١: ١٢ - ١٤؛ ١ أخبار ١٠: ١١ إلخ). كما ذكرت عندما بلغ داود، الذي

خلف شاول في الملك، خبر بسالة أهل يابش جلعاد، وبارك داود صنيعهم هذا وكافأهم (٢)
صم ٢: ٥-٧).

سرديّة «الملك داود وعمون»

رفع الله الملك عن شاول كما يخبرنا الكتاب المقدس (١ صم ١٥: ١-٣٥)، وأصبح داود ملكاً، ويخبر الكتاب أن داود وناحاش تصالحا فساد السلام بينهما، ثم يقول الكتاب المقدس في صموئيل الثاني الاصحاح ١٠: «ثُمَّ مَاتَ مَلِكُ بَنِي عَمُّونَ، وَاعْتَلَى الْعَرْشَ ابْنُهُ حَانُونُ. ٢ فَقَالَ دَاوُدُ فِي نَفْسِهِ: «لَأَصْنَعَنَّ خَيْرًا لِحَانُونَ بْنِ نَاحَاشَ كَمَا صَنَعَ أَبُوهُ مَعِيَ»، فَبَعَثَ دَاوُدُ وَفْدًا لِيُعْزِيَهُ فِي وَفَاةِ أَبِيهِ. وَعِنْدَمَا بَلَغَ وَقَدْ دَاوُدُ أَرْضَ بَنِي عَمُّونَ ٣ قَالَ رُؤَسَاءُ بَنِي عَمُّونَ لِسَيِّدِهِمْ: «أَتَظُنُّ أَنَّ دَاوُدَ يَسْتَهْدِفُ إِكْرَامَ أَبِيكَ فِي عَيْنَيْكَ بِإِرْسَالِهِ هَذَا الْوَفْدِ لِلتَّعْزِيَةِ؟ إِنَّهُ لَمْ يُرْسَلْ هَذَا الْوَفْدُ إِلَّا لِاسْتِطْلَاعِ أَحْوَالِ الْمَدِينَةِ وَالتَّجَسُّسِ عَلَيْهَا وَقَلْبِهَا». ٤ فَقَبَضَ حَانُونُ عَلَى أَعْضَاءِ وَفْدِ دَاوُدَ وَحَلَقَ أَنْصَافَ لِحَاهِمُ وَقَصَّ ثِيَابَهُمْ إِلَى مُتَنَصِفِ ظُهُورِهِمْ، ثُمَّ أَطْلَقَهُمْ. ٥ وَلَمَّا عَلِمَ دَاوُدُ بِالْأَمْرِ أَرْسَلَ مَنْ اسْتَقْبَلَهُمْ، لِأَنَّ أَعْضَاءَ الْوَفْدِ اغْتَرَاهُمْ خَجَلٌ شَدِيدٌ. وَأَمَرَهُمُ الْمَلِكُ أَنْ يَمْكُثُوا فِي أَرِيحَا رَيْثَمَا تَبَيَّنَ لِحَاهُمُ ثُمَّ يَرْجِعُونَ. ٦ وَعِنْدَمَا تَبَيَّنَ الْعَمُونِيُّونَ أَنَّ دَاوُدَ قَدْ أَضْمَرَ لَهُمُ الْبُغْضَاءَ، اسْتَأْجَرُوا مِنْ أَرَامَ بَيْتِ رَحُوبَ وَأَرَامَ صُوبَا عَشْرِينَ أَلْفَ رَاجِلٍ، وَمِنْ مَلِكِ مَعَكَةَ أَلْفَ رَجُلٍ، وَمِنْ رِجَالِ طُوبَ اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفَ رَاجِلٍ. ٧ فَحِينَ بَلَغَ الْخَبْرُ دَاوُدَ أَرْسَلَ يُوَآبَ وَسَائِرَ قُوَّاتِهِ الْأَبْطَالِ، ٨ فَخَرَجَ بَنُو عَمُّونَ وَاضْطَفُّوا لِلْقِتَالِ عِنْدَ مَدْخَلِ بَابِ الْمَدِينَةِ، أَمَّا أَرَامِيُّو صُوبَا وَرَحُوبَ وَرِجَالُ طُوبَ وَمَعَكَةُ فَقَدْ اخْتَشَدُوا فِي الْحُقُولِ. ٩ وَعِنْدَمَا أَذْرَكَ يُوَآبُ أَنَّهُ مُحَاصَرٌ بِجَبْهَتَيْ قِتَالٍ مِنْ أَمَامٍ وَمِنْ خَلْفٍ، انْتَخَبَ مِنْ صَفْوَةِ جَيْشِهِ رِجَالًا صَفَهُمْ لِلِقَاءِ الْأَرَامِيِّينَ، ١٠ وَعَهْدَ بِنَقِيَّةِ الْجَيْشِ إِلَى أَخِيهِ أَبِيشَايَ، فَصَفَّهُمْ هَذَا لِمُوَاجَهَةِ بَنِي عَمُّونَ. ١١ وَقَالَ يُوَآبُ: «إِنْ تَغَلَّبَ عَلَيَّ الْأَرَامِيُّونَ تُسْرِعُ لِنَجْدَتِي، وَإِنْ قَوِيَ عَلَيْكَ الْعَمُونِيُّونَ أَخِفُ لِإِعَاثَتِكَ. ١٢ لِنَسْجَعٍ وَلِنَتَّقَوْا مِنْ أَجْلِ شَعِينَا وَمِنْ أَجْلِ مُدُنِ إِهْنَا، وَالرَّبُّ يُجْزِي مَا يَشَاءُ». ١٣ وَتَقَدَّمَ يُوَآبُ بِقُوَّاتِهِ لِمُحَارَبَةِ الْأَرَامِيِّينَ فَلَاذُوا بِالْفِرَارِ. ١٤ وَعِنْدَمَا شَاهَدَ الْعَمُونِيُّونَ الْأَرَامِيِّينَ يُؤَلُّونَ الْأَذْبَارَ، هَرَبُوا هُمْ أَيْضًا مِنْ أَمَامِ أَبِيشَايَ وَدَخَلُوا

الْمَدِينَةَ، فَرَجَعَ يُوَابُ عَنْ بَنِي عَمُّونَ وَعَادَ إِلَى أُورُشَلِيمَ. ١٥ وَبَعْدَ أَنْ رَأَى الْأَرَامِيُّونَ أَنَّهُمْ قَدْ انْهَزَمُوا أَمَامَ جَيْشِ إِسْرَائِيلَ اجْتَمَعُوا مَعًا. ١٦ فَأَرْسَلَ هَدَدُ عَزَرَ وَاسْتَدْعَى أَرَامِيَّ نَهْرَ الْفُرَاتِ، فَتَجَمَّعُوا فِي حِيلَامَ تَحْتَ قِيَادَةِ شُوبَكَ رَئِيسِ جَيْشِ هَدَدُ عَزَرَ. ١٧ فَلَمَّا عَلِمَ دَاوُدُ، حَشَدَ جُيُوشَهُ وَاجْتَاَزَ نَهْرَ الْأُرْدُنِّ حَتَّى قَدِمَ إِلَى حِيلَامَ فَالْتَقَى الْجَيْشَانِ فِي حَرْبٍ ضَرُوسٍ. ١٨ وَمَا لَبِثَ الْأَرَامِيُّونَ أَنْ اِنْدَحَرُوا أَمَامَ الْإِسْرَائِيلِيِّينَ، فَقَتَلَتْ قُوَاتُ دَاوُدَ رِجَالَ سَبْعِ مِئَةِ مَرْكَبَةٍ، وَأَرْبَعِينَ أَلْفَ فَارِسٍ. وَأُصِيبَ شُوبَكَ رَئِيسُ الْجَيْشِ وَمَاتَ هُنَاكَ. ١٩ وَحِينَ أَدْرَكَ جَمِيعَ حُلَفَاءِ هَدَدُ عَزَرَ أَنَّهُمْ اِنْدَحَرُوا أَمَامَ الْإِسْرَائِيلِيِّينَ، عَقَدُوا صُلْحًا مَعَهُمْ وَأَصْبَحُوا تَابِعِينَ لَهُمْ وَلَمْ يَجْرُؤُوا عَلَى نَجْدَةِ بَنِي عَمُّونَ بَعْدَ ذَلِكَ.

«ربة عمون»

يقول الكتاب المقدس عن عمان في صموئيل الثاني : ١١ وَفِي ربيع العام التالي، في الموسم الذي اعتاد فيه الملوك الخروج للحرب، أرسل داود قائد جيشه يوباب على رأس قواته حيث هاجموا بني عمون وفهروهم، وحاصروا مدينة ربة، أما داود فمكث في أورشليم. ثم يكمل: ٦ فوجه داود إلى يوباب قائلاً: «أرسل إليّ أوريا الحثي». فبعث به يوباب إلى داود. ٧ وحين مثل لدى داود استفسر منه عن سلامة يوباب والجيش وعن أنباء الحرب. ٨ ثم قال داود لأوريا: «امض إلى بيتك واغسل رجلك». فخرج أوريا من بيت الملك، وأرسل له هدية إلى بيته. ٩ غير أن أوريا لم يتوجه إلى بيته، بل نام مع رجال الملك عند باب القصر. ١٠ فأخبروا داود قائلين: «لم يتوجه أوريا إلى بيته». فسأله داود: «ألم ترجع من سفر؟ فلماذا لم تمض إلى بيتك؟» ١١ فأجاب: «التأبوت وجيش إسرائيل ويهوذا معسكرون في الخيام، وكذلك سيدي يوباب، وبقية قواد الملك مخيمون في العراء، فهل آتي أنا إلى بيتي لأكل وأشرب وأضاجع زوجتي؟ أقسم بحياتك، لن أفعل هذا الأمر». ١٢ فقال داود لأوريا: «امكث هنا اليوم وغداً أطلقك». فمكث أوريا في أورشليم ذلك اليوم حتى صباح اليوم التالي. ١٣ ولبي دعوة الملك، فأكل في حضرته وشرب حتى أسكره داود. ثم خرج

عِنْدَ الْمَسَاءِ لِيَرْقُدَ فِي مَضْجَعِهِ إِلَى جِوَارِ رِجَالِ سَيِّدِهِ، وَلَمْ يَتَوَجَّهْ إِلَى بَيْتِهِ أَيْضًا. ١٤ وَفِي الصَّبَاحِ كَتَبَ دَاوُدُ رِسَالَةً إِلَى يُوَابَ، بَعَثَ بِهَا مَعَ أُورِيَا، ١٥ جَاءَ فِيهَا: «اجْعَلُوا أُورِيَا فِي الْخُطُوطِ الْأُولَى حَيْثُ يَنْشُبُ الْقِتَالُ الشَّرِسُ، ثُمَّ تَرَاجَعُوا مِنْ وَرَائِهِ لِيَلْقَى حَتْمَهُ». ١٦ فَعَيَّنَ يُوَابُ أُورِيَا فِي أَثْنَاءِ مُحَاصَرَةِ الْمَدِينَةِ، فِي أَشَدِّ جَنَاحَاتِ الْقِتَالِ ضَرَاوَةً، حَيْثُ اخْتَشَدَ أَبْطَالُ الْأَعْدَاءِ. ١٧ فَانْدَفَعَ رِجَالُ الْمَدِينَةِ لِمُحَارَبَةِ يُوَابَ فَمَاتَ بَعْضُ رِجَالِ دَاوُدَ وَمِنْهُمْ أُورِيَا الْحِثِّيُّ. ١٨ فَبَعَثَ يُوَابُ رَسُولًا لِيُطْلِعَ دَاوُدَ عَلَى أَنْبَاءِ الْحَرْبِ، ١٩ وَأَوْصَاهُ قَائِلًا: «إِنْ رَأَيْتَ أَنَّ الْمَلِكَ بَعْدَ إِبْلَاغِهِ أَنْبَاءَ الْحَرْبِ ٢٠ قَدْ ثَارَ غَضَبُهُ وَقَالَ لَكَ: لِمَاذَا اقْتَرَبْتُمْ مِنْ سُورِ الْمَدِينَةِ لِلْقِتَالِ؟ أَمَا عَلِمْتُمْ أَنَّهُمْ يَزْمُونَ بِالسَّهَامِ مِنْ فَوْقِ السُّورِ؟ ٢١ مَنْ صَرَخَ أَيْمَالِكَ بَنَ يَرْبُوشَ؟ أَلَمْ تَرْمِهِ امْرَأَةً بِحَجَرٍ رَحَى مِنْ عَلَى السُّورِ فَمَاتَ فِي تَابَاصٍ؟ لِمَاذَا اقْتَرَبْتُمْ مِنَ السُّورِ؟ فَقُلْ لَهُ: قَدْ مَاتَ عَبْدُكَ أُورِيَا الْحِثِّيُّ أَيْضًا». ٢٢ فَانْطَلَقَ الرَّسُولُ إِلَى دَاوُدَ وَأَطْلَعَهُ عَلَى آخِرِ أَنْبَاءِ الْحَرْبِ الَّتِي كَلَّفَهُ بِهَا يُوَابُ. ٢٣ وَقَالَ: «لَقَدْ قَوِيَ عَلَيْنَا الْقَوْمُ وَخَرَجُوا لِقِتَالِنَا فِي الْعَرَاءِ، وَلَكِنَّا انْكَفَيْنَا عَلَيْهِمْ وَطَارَدْنَاهُمْ حَتَّى بَوَابَةِ الْمَدِينَةِ. ٢٤ فَرَمَى الرُّمَاءُ عَلَى عَبِيدِكَ بِالسَّهَامِ، فَقَتَلَ بَعْضُ ضَبَاطِ الْمَلِكِ، وَمَاتَ عَبْدُكَ أُورِيَا الْحِثِّيُّ». ٢٥ فَقَالَ دَاوُدُ لِلرَّسُولِ: «هَذَا مَا تُخْبِرُ بِهِ يُوَابَ: لَا يَسُوءَنَّكَ هَذَا الْأَمْرُ، فَإِنَّ السَّيْفَ يَلْتَهُمْ هَذَا وَذَاكَ. شَدَّدَ حِصَارَكَ عَلَى الْمَدِينَةِ وَدَمَّرَهَا. قُلْ هَذَا لِتُسْجِعَ يُوَابَ».

وجاء هذا الوصف البسيط لربة عمون في معرض الحديث عن خطيئة داود بالزنى والقتل العمد والخيانة، كما ورد في العهد القديم.

ثم يكمل الكتاب المقدس في صموئيل الثاني الاصحاح ١٢ (٢٦) وَهَاجَمَ يُوَابُ رَبَّةَ عَمُّونَ وَاسْتَوْلَى عَلَى عَاصِمَةِ الْمَمْلَكَةِ، ٢٧ ثُمَّ بَعَثَ بِرُّسُلٍ إِلَى دَاوُدَ قَائِلًا: «لَقَدْ حَارَبْتُ رَبَّةَ وَاسْتَوْلَيْتُ عَلَى مَصَادِرِ مَائِهَا، ٢٨ فَالآنَ احْشِدْ بَقِيَّةَ الْجَيْشِ وَتَعَالَ هَاجِمِ الْمَدِينَةَ وَافْتَتِحْهَا، لِنَلَّا أَفْهَرَهَا أَنَا فَيُطْلَقُونَ اسْمِي عَلَيْهَا». ٢٩ فَحَشَدَ دَاوُدُ كُلَّ الْجَيْشِ وَانْطَلَقَ إِلَى رَبَّةَ وَهَاجَمَهَا وَافْتَتَحَهَا، ٣٠ وَأَخَذَ تَاجَ مَلِكِهَا عَنْ رَأْسِهِ، وَوزَنَهُ وَوزَنَهُ (نَحْوَ أَرْبَعَةِ وَثَلَاثِينَ كِيلُو جَرَامًا) مِنَ الذَّهَبِ وَالْأَحْجَارِ الْكَرِيمَةِ، وَتَوَجَّجَ بِهِ. كَمَا اسْتَوْلَى عَلَى غَنَائِمَ وَفِيرَةٍ. ٣١ وَاسْتَعْبَدَ أَهْلَهَا

وَفَرَضَ عَلَيْهِمَ الْعَمَلَ بِالْمَعَاوِلِ وَالْمَنَاشِيرِ وَالْفُؤُوسِ وَأَفْرَانَ الطُّوبِ. وَعَامَلَ جَمِيعَ أَهْلِ مَدْنِ الْعُمُونِيِّينَ بِمِثْلِ هَذِهِ الْمُعَامَلَةِ. ثُمَّ عَادَ دَاوُدُ وَسَائِرُ جَيْشِهِ إِلَى أُورُشَلِيمَ.

وفي سفر آخر يقول الكتاب المقدس في سفر أخبار الأيام الأول الاصحاح عشرون :
١ وكان عند تمام السنة في وقت خروج الملوك، اقتاد يوبآب قوة الجيش وأخرب أرض بني عمون وأتى وحاصر ربة. وكان داود مقيما في أورشليم. فضرب يوبآب ربة وهدمها ٢ وأخذ داود تاج ملكهم عن رأسه، فوجد وزنه وزنة من الذهب، وفيه حجر كريم. فكان على رأس داود. وأخرج غنيمة المدينة وكانت كثيرة جدا ٣ وأخرج الشعب الذين بها ونشرهم بمناشير ونوارج حديد وفؤوس. وهكذا صنع داود لكل مدن بني عمون. ثم رجع داود وكل الشعب إلى أورشليم. وجاء في سفر صموئيل عن نفس الموقف: «وَأَخْرَجَ الشَّعْبَ الَّذِي فِيهَا وَوَضَعَهُمْ تَحْتَ مَنَاشِيرَ وَنَوَارِجِ حَدِيدٍ وَفُؤُوسِ حَدِيدٍ وَأَمَرَهُمْ فِي أَتُونِ الْأَجْرِ، وَهَكَذَا صَنَعَ بِجَمِيعِ مَدْنِ بَنِي عَمُونَ» (٢ صم ١٢: ٣١).

هل قتل داود أهل عمون؟

لا يوجد أثريا ما يؤكد هذا الحدث، ولا يُذكر إلا في الكتاب المقدس. وإذا أخذنا ما ورد في الكتاب المقدس بحرفيته فإن مملكة عمون كانت قد أبيت عن بكرة أبيها، لكن يبدو أن هذا الأمر لم يكن واسعا، لأن العمونيين استمر تواجدهم في شرق الأردن، بدليل أن الملك سليمان تزوج من عمونيات وبنى مرتفعة لمولك إله العمونيين (١ مل ١١: ١، ٧) وقام بنو عمون بغزو مملكة يهوذا في عصر الملك يهوياقيم (٢ مل ٢٤: ٢) ولذلك فالأقرب للفهم - إن سلمنا بالحدث نفسه - أن داود فعل هذا مع متمردين أو جنود، أو أنه جعل بني عمون عبيدا يعملون بالمناشير والنوارج والفؤوس، وهذا ما جاء في أخبار الأيام وصموئيل الثاني: «وفرض على أهلها وعلى بقية مدن العمونيين العمل بالمناشير ومعاول الحديد والفؤوس» (١ أي ٢٠: ٣) «واستعبد أهلها وفرض عليهم العمل بالمعاول والمناشير والفؤوس وأفرا ن الطوب. وعامل جميع أهل مدن العمونيين بمثل هذه المعاملة» (٢ صم ١٢: ٣١).

الانتصار والهزيمة :

إن انتصار بني إسرائيل في حروبهم ومنها حروبهم على بني عمون ما هو إلا كرف ومعارك ضمن حرب واسعة النطاق وممتدة، لذا فإن انتصار طرفٍ على آخر في معركةٍ أو مجموعة معارك ما هو إلا شيء طبيعي في الحروب. لقد شهدت منطقتنا العديد من الحروب الطاحنة وما زالت هذه المنطقة تشتعل بالمعارك ينتصر فيها أحد الأطراف ويخسر فيها طرف آخر، وهذه المنطقة لن تشهد السلام إلا إذا آمنت الأطراف جميعها بأن الإلغاء الآخر ما هو إلا ضرب من الخيال. وإذا كانت هذه الأرض الواسعة مهد للحضارات والديانات فإن هذه الأرض قادرة على استيعاب الجميع، إن احترم الجميع وجود بعضهم بعضاً.

سردية «تل مار الياس»

النبي إيليا هو نبي كبير من أنبياء الله من بني إسرائيل، ورد ذكره في الكتاب المقدس في سفر الملوك الثاني في عهد الملك آخاب أي عاش في القرن التاسع قبل الميلاد، وذكر في العهد الجديد عند تجليه مع سيدنا المسيح، ويؤمن المسيحيون بأنه سيأتي قبل المجيء الثاني للسيد المسيح. اسمه في اليونانية «إلياس» ويعتقد أنه هو نفسه إلياس المذكور في القرآن الكريم.

إيليا اسم عبري ومعناه (إلهي يهوه) أو (الرب إلهي). عاش هذا النبي في المملكة الشمالية، وبما أنه يدعى التَّشَبِّي فيرجح أنه ولد في (تشبة) ولكنه عاش في جلعاد وهي المنطقة الواقعة بين نهر اليرموك شمالاً، ونهر الزرقاء جنوباً ونهر الأردن غرباً، ويقال أن اسمها قبل ذلك كان «سيكوندا» أثناء وقوعها تحت حكم مملكة عمون ولكن هذا الاسم لم يظهر في أي اكتشاف أثري، ويقال أن هذه المنطقة دُعيت باسم آرامي قبل ذلك كونها كانت تابعة لآرام دمشق، لكن أيضاً لم يتم اكتشاف أي دليل على ذلك (١) وَقَالَ إِيلِيَّا التَّشَبِّي مِنْ مُسْتَوَظِنِي جِلْعَادَ لَأَخَابَ: «حَيُّ هُوَ الرَّبُّ إِلَهُ إِسْرَائِيلَ الَّذِي وَقَفْتُ أَمَامَهُ، إِنَّهُ لَا يَكُونُ طُلٌّ وَلَا مَطَرٌ فِي هَذِهِ السَّنِينَ إِلَّا عِنْدَ قَوْلِي». ٢ وَكَانَ كَلَامُ الرَّبِّ لَهُ قَائِلًا: ٣ «انْطَلِقْ مِنْ هُنَا وَاتَّجِهْ نَحْوَ الْمَشْرِقِ،

وَاخْتَبَىٰ عِنْدَ نَهْرٍ كَرِثٍ ^(١) الَّذِي هُوَ مُقَابِلُ الْأُرْدُنِّ، ٤ فَتَشْرَبَ مِنَ النَّهْرِ. وَقَدْ أَمَرْتُ الْغُرَبَانَ أَنْ تَعُولَكَ هُنَاكَ. ٥ فَانْطَلَقَ وَعَمِلَ حَسَبَ كَلَامِ الرَّبِّ، وَذَهَبَ فَأَقَامَ عِنْدَ نَهْرِ كَرِثٍ الَّذِي هُوَ مُقَابِلُ الْأُرْدُنِّ. ٦ وَكَانَتِ الْغُرَبَانُ تَأْتِي إِلَيْهِ بِخُبْزٍ وَلَحْمٍ صَبَاحًا، وَبِخُبْزٍ وَلَحْمٍ مَسَاءً، وَكَانَ يَشْرَبُ مِنَ النَّهْرِ. ٧ وَكَانَ بَعْدَ مُدَّةٍ مِنَ الزَّمَانِ أَنَّ النَّهْرَ يَبَسُّ، لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ مَطَرٌ فِي الْأَرْضِ (١١ مل ١٧: ١) وكان عادة يلبس ثوبًا من الشعر (مسوحًا) ومنطقة من الجلد (٨ فَقَالُوا لَهُ: «إِنَّهُ رَجُلٌ أَشْعَرٌ مُتَنَطِّقٌ بِمِنْطَقَةٍ مِنْ جِلْدٍ عَلَى حَقْوَيْهِ». فَقَالَ: «هُوَ إِيلِيَّا التَّشِّييُّ» (٢ مل ١: ٨) وبما أن إيزابل ساقَت زوجها ^(٢) وشعب بني إسرائيل إلى عبادة البعل فقد تنبأ إيليا بأن الله سيمنع المطر عن بني إسرائيل، واعتزل النبي إلى نهر كريث وكانت الغربان تعوله وتأتي إليه بالطعام وبعد أن جفَّ النهر ذهب إلى صرفة، وبقي في بيت امرأة أرملة، ووفقًا لوعده إيليا لها لم يفرغ من بيتها الدقيق والزيت طوال مدة الجفاف، ولما مات ابن الأرملة صلى إيليا فأعاد الله الحياة إلى الصبي.

وفي السنة الثالثة من الجفاف قابل إيليا عوبديا وكيل آخاب وكان مؤمنًا بالله واتفق معه على مقابلة الملك. وطلب النبي من الملك أن يجمع الشعب إلى جبل الكرمل وأن يحضر معه أنبياء البعل ليرى أيهما يرسل نارًا تلتهم المحرقة، الرب أم البعل. فصلَّى أنبياء البعل ولكن لم يكن من مجيب لصلاتهم. ولكن دعا إيليا الرب فاستجاب له ونزلت نار من السماء والتهمت المحرقة. ويشير التقليد إلى أن هذه المعجزة تمت على جبل الكرمل في مكان

(١) وهو مجرى ماء مقابل الأردن سكن إيليا بقربه، ويظن أنه وادي شرقي الأردن تجري المياه فيه في سنين المطر الوافر، وهو النهر الذي أمر الرب إيليا النبي أن ينطلق إليه ليختبئ من وجه آخاب، بعد أن أعلنه بانقطاع المطر وحلول المجاعة. فذهب إيليا إلى هناك حيث كانت الغربان تعوله، فتأتي إليه بخبز ولحم صباحًا ومساءً، وكان يشرب من النهر إلى أن جفَّ النهر لانقطاع المطر، وعبارة "نهر كريث الذي هو مقابل الأردن" (١ مل ١٧: ٣)، عبارة مبهمة، فهي لا تحدد في أي جهة من الأردن، لكن المؤكد أن هذا النهر أو المجرى غير دائم، والأرجح أنه كان في شرقي الأردن في جلعاد الموطن الأصلي لإيليا.

(٢) قرينة الملك آخاب ملك إسرائيل وهي ابنة إيثوبعل الأول ملك صيدون ووالدة أخزيا ويهورام وعثليا من ملكة يهوذا، وحسب الكتاب المقدس نشرت إيزابل عبادة البعل في مملكة إسرائيل الشمالية، كما ذكر الكتاب المقدس إيزابل بقيامها بأعمال شريرة أخرى بعد أن دبرت مكيدة لقتل نابوت وهو صاحب كرم بالقرب من قصر الملك آخاب أراد أن يشتريه آخاب منه بعد أن إتهمته زورا بالتجديف ضد الله والملك فقام الشيوخ بجرم نابوت وإستولى آخاب على كرم نابوت، ليرسل لها الله النبي إيليا حيث تنبأ بأن الكلاب ستأكل إيزابل في نفس المكان الذي قتل به نابوت، بعد ثورة ياهو ضد آخاب وبينما كانت تتطلع إيزابل من النافذة وبعدم رآها رجاله هناك أمروا برميها من هناك.

يدعى حاليًا (المحرقة) فأقرّ الشعب بأن الرب هو الله. وبناء على أمر إيليا قتل أنبياء البعل. عندئذ أعلن إيليا بأن المطر سوف ينزل. ولما توعدت إيزابل بقتل إيليا لأنه قتل أنبياء البعل هرب إلى الجنوب إلى بئر سبع وطلب إلى الله أن يأخذ حياته، ولكن الله أرسل إليه ملاكًا ليشجعه وليعطيه طعامًا وماء. وبقوة هذه الأكلة أمكنه أن يسافر مدة أربعين يومًا إلى جبل حوريب الذي يدعى أيضًا جبل سيناء ويقول التقليد أن المغارة التي على جبل موسى هي المكان الذي أقام فيه إيليا.

وفي نهاية أيامه ذهب إلى الأردن مع أليشع، وضرب إيليا الأردن بردائه، فانشق الماء وسار النبيان على اليابسة نحو شرقي الأردن، ثم جاءت مركبة وفرسان نارية وحملت إيليا إلى السماء وترك رداءه لأليشع (٢ مل ٢: ١-١٨). وقد وردت آخر إشارة إلى إيليا في العهد القديم في (ملا ٤: ٥ و٦) والتي فحواها أن الرب سيرسل إيليا النبي قبل يوم الرب العظيم. ويترك بعض اليهود مقعدًا خاليًا على مائدة عيد الفصح لإيليا. أما في العهد الجديد فقد وعد الملاك أن يوحنا المعمدان سيتقدم المسيح برؤيا إيليا وقوته (لو ١: ١٧) وفي هذا المعنى قال المسيح أن إيليا قد جاء في شخص يوحنا المعمدان (مت ١١: ١٤ و١٧: ١٠-١٢) وقد ظن بعض الناس خطأً أن المسيح نفسه هو إيليا (مت ١٦: ١٤) وفي عظته التي ألقاها في الناصرة أشار يسوع إلى إقامة إيليا في بيت أرملة صرفة (لو ٤: ٢٦ و٢٧) وقد ظهر إيليا وموسى مع المسيح عند التجلي (لو ٩: ٢٨-٣٦ وغيره من الأناجيل)، ويطلق عليه النبي الحي في التقليد المسيحي.

يعتقد التقليد اليهودي بأن موقع العبور هو نفس الموقع الذي استخدمه يشوع للعبور، ويعتقد المسيحيون بأنه نفس مكان تعميد المسيح على يد يوحنا المعمدان، وموقع صعود إيليا هو موقع تل الخرار^(١)، المعروف أيضًا بتل مار الياس.

ورد ذكره في القرآن، والسنة النبوية. حيث ورد ذكره في القرآن ٣ مرات؛ مرة في سورة الأنعام، ومرتين في سورة الصافات (على اعتبار أن إلياسين هو نفسه إلياس؛ وذلك لأن العرب تُلحق النون في أسماء كثيرة وتبدلها من غيرها). حيث ورد ذكره في سورة الصافات

(١) الخرار من كلمة الخريز والخريز صوت الماء المنساب من المنحدر.

(وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ اللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ فَكَذَّبُوهُ فَأَنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ سَلَامٌ عَلَى إِلَ يَاسِينَ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ) سورة الصافات، الآيات ١٢٣-١٣٢. كما ورد ذكره في سورة الأنعام، حيثُ ذكر أنه من ذرية النبي إبراهيم (وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ) سورة الأنعام، الآيات ٨٤-٨٥.

اختلف المؤرخون المسلمون في نسبه وفي القوم الذين أرسل إليهم. فقال الطبري: أنه إلياس بن ياسين بن فنحاص بن أليعازر بن هارون. وقيل: إلياس بن العازر بن أليعازر بن هارون بن عمران، كما قيل: إلياس بن ياسين بن فنحاص بن عنزار ابن النبي هارون. وقيل: إلياس بن يس بن فنحاص بن عيزار بن هارون بن عمران. لكن يتفق العديد من رجال الدين المسلمين بأن إلياس هو نفسه إيليا. حيثُ ذكر المجلسي (لا يبعد اتحاد إلياس وإليا لتشابه الاسمين والقصص المشتمة عليهما).

إدريس وإلياس:

ذهب بعض العلماء إلى أنهما -أي إلياس وإدريس- اسمان لنبي واحد، وأن إلياس هو إدريس وإدريس هو إلياس، لكن تداخل الإسرائيليات بهذا الموضوع يجعل الأمر غير مؤكد.

سرديّة «النبي السابق - يوحنا المعمدان»

النبي السابق هو لقب يخص القديس يوحنا المعمدان (الاسم حسب التقليد المسيحي) أو يحيى بن زكريا (الاسم حسب الإسلام). وهو أيضًا نبي الديانة الصابئية المندائية لدى الصابئة، كما أنه يعتبر نبيًا حسب الديانة الدرزية والبهائية. وأول من دعا يوحنا بالمعمدان شخص اسمه هيراكليون الغنوصي في القرن الثاني ولهذا النبي والقديس مكانة وأهمية في التاريخ الأردني، حتى أصبح لدى عدة طوائف أردنية شفيح الأردن.

لم يُذكر يوحنا المعمدان في العهد القديم من الكتاب المقدس، بل جاء ذكره في العهد الجديد والقرآن الكريم فقط. ويخطأ الكثير من الناس فيظنون أن يوحنا ذُكرت قصته في التوراة أو في العهد القديم، وهذا ليس صحيح.

ويوحنا أو يحيى وُلد بحسب إنجيل لوقا من زكريا الكاهن وأليصابات في عين كارم، ويسمى بالسابق لأنه ولد قبل السيد المسيح ببضع شهور، وهو من عمّد السيد المسيح، ولذلك يدعى بالمعمدان لأنه عمّد المسيح، ولأنه عمّد الناس.

يقول العهد الجديد أن يوحنا بدأ تبشيره في السنة الخامسة عشر من حكم تiberيوس، أي بين عامي ٢٨ أو ٢٩ للميلاد، فانتقل من البرية إلى النواحي المحيطة بنهر الأردن، ومن هناك أخذ ينادي بمعمودية التوبة لمغفرة الخطايا لأنه اقترب ملكوت السموات، وهو بذلك كما يرد في العهد الجديد يحقق النبوة التي وردت عنه في سفر أشعياء، وتضيف الأناجيل أنه كان يمهد الطريق ويعده أمام المخلص القادم من بعده. ونال يوحنا بكلامه ومعموديته اهتمام أهل اليهودية كلها فتقاطرت إليه جموع الناس طالبة التوبة، خصوصاً أنه كان زاهداً، يلبس ثوباً من وبر الجمال، ويشدّ وسطه بحزام من جلد ويأكل الجراد والعسل. ولعل أحد الأسباب التي دفعت الجموع للذهاب إليه هو انتقاده المباشر للملك هيرودوس أنتيباس والفريسيين وغيرهم.

أما انتقاده لهيرودس فجاء بسبب زواجه من هيروديا زوجة أخيه، فقرر الملك سجنه، وكانت هيروديا حاقدة على يوحنا من ذلك، وفي عيد ميلاد الملك هيرودس دعا كبار القوم لعشاء في مكان لم يوضحه الكتاب المقدس (متى ١٤) فدخلت ابنة هيروديا المدعوة سالومي ورقصت للملك، فسرّ هيرودس من سالومي، وقال لها أطلبي ما تشائين وسوف يتحقق حتى ولو نصف مملكتي وأقسم على هذا أمام الجمع فخرجت الصبية وذهبت لأمرها فأشارت لها بطلب رأس يوحنا المعمدان، فأخبرت الملك بطلبها أمام الجمع، فحزن الملك جداً لأجل القسم، ثم أمر الملك بما تريد، فقطع رأس يوحنا المعمدان وقدم لها على طبق. فأخذته سالومي لأمرها، وعندما سمع تلاميذه بموته جاؤوا وأخذوا جثته ووضعوها في قبر. أما قبره

فمجهول ولكن مصادر تقول أنه دفن في السامرة ثم نُقلت رفاته إلى كنيسة القديس سلفستر في روما، كما تقول بعض المصادر أن رأسه دفن في كنيسة في دمشق والتي تحولت لاحقاً إلى مسجد بني أمية (الجامع الأموي).

أما في الإسلام فيعرف يوحنا المعمدان باسم يحيى حيث ورد ذكره في سورة مريم، كابن لذكريا كافل مريم وابن خالة عيسى.

تعدد الآيات التي تتحدث عن القديس يوحنا المعمدان في العهد الجديد لكن مختصر قصة حياة (سابق المسيح) يمكن تلخيصها كالآتي من العهد الجديد.

أولاً : الولادة- الفصل الأول من إنجيل لوقا:

١- ولد هذا النبي الشهيد بحسب انجيل لوقا من والدين تقيين هما زكريا الكاهن وأليصابات ويذكر التقليد المسيحي عين كارم على أنها موطن هذه العائلة، وهو من سبط لاوي.

٢- معجزة الحبل وخرس زكريا.

٣- العيش في البراري إلى يوم ظهوره.

ثانياً: الظهور- الفصل الثالث من إنجيل لوقا والفصل الرابع من إنجيل متى وإنجيل يوحنا الفصل الأول:

١- الظهور وتعميد الناس في نهر الأردن.

٢- تبشيره بالمسيح.

٣- تعميد السيد المسيح.

ثالثاً: استشهاد يوحنا المعمدان- الفصل السادس من إنجيل مرقس، مع ضرورة الإشارة بأن العهد الجديد لم يُذكر فيه مكان استشهاد هذا النبي، بل ورد ذكر هذا المكان في كتابات يوسيفيوس.

أما في الإسلام:

فذكر اسم يحيى في القرآن خمس مرات وهي:

﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ

اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ٣٩﴾ آل عمران: ٣٩

﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ ٨٥﴾ الأنعام: ٨٥

﴿يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا ٧﴾ مريم: ٧

﴿يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا ١٢﴾ مريم: ١٢

﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَاهُ لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ

وَيَدْعُونََنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ٩٠﴾ الأنبياء: ٩٠

وجاء ذكره في عدد من الأحاديث النبوية، منها ما رواه أحمد بن حنبل قال: حدثنا عفان، حدثنا أبو خلف موسى بن خلف، حدثنا يحيى بن أبي كثير، عن زيد بن سلام، عن جده مطور، عن الحارث الأشعري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلَى يَحْيَى بْنِ زَكَرِيَّا بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ أَنْ يَعْمَلَ بِهِنَّ وَيَأْمُرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَعْمَلُوا بِهِنَّ فَكَأَنَّهُ أَبْطَأَ بِهِنَّ فَأَتَاهُ عِيسَى فَقَالَ إِنَّ اللَّهَ أَمَرَكَ بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ أَنْ تَعْمَلَ بِهِنَّ وَتَأْمُرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَعْمَلُوا بِهِنَّ فَإِمَّا أَنْ تُخَبِّرَهُمْ وَإِمَّا أَنْ أَخْبِرَهُمْ فَقَالَ يَا أَخِي لَا تَفْعَلْ فَإِنِّي أَخَافُ إِنْ سَبَقْتَنِي بِهِنَّ أَنْ يُخَسِّفَ بِي أَوْ أَعَذِّبَ قَالَ فَجَمَعَ بَنِي إِسْرَائِيلَ بَيْتَ الْمَقْدِسِ حَتَّى امْتَلَأَ الْمَسْجِدَ وَقَعَدُوا عَلَى الشُّرَفَاتِ ثُمَّ خَطَبَهُمْ فَقَالَ إِنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلَيَّ بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ أَنْ أَعْمَلَ بِهِنَّ وَأَمُرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَعْمَلُوا بِهِنَّ أَوْ لَا هُنَّ لَا تُشْرِكُوا بِاللَّهِ شَيْئًا فَإِنْ مَثَلَ مِنْ أَشْرَكَ بِاللَّهِ كَمَثَلِ رَجُلٍ اشْتَرَى عَبْدًا مِنْ خَالِصِ مَالِهِ بِذَهَبٍ أَوْ وَرَقٍ ثُمَّ أَسْكَنَهُ دَارًا فَقَالَ اعْمَلْ وَارْفَعْ إِلَيَّ فَجَعَلَ يَعْمَلُ وَيَرْفَعُ إِلَى غَيْرِ سَيِّدِهِ فَاتَّيَهُمْ يَرْضَى أَنْ يَكُونَ عَبْدُهُ كَذَلِكَ فَإِنَّ اللَّهَ خَلَقَكُمْ وَرَزَقَكُمْ فَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَإِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَلَا تَلْتَفِتُوا فَإِنَّ اللَّهَ يُقْبِلُ بَوَاجِهِهِ إِلَى عَبْدِهِ مَا لَمْ يَلْتَفِتْ وَأَمَرَكُمْ بِالصَّيَامِ وَمِثْلُ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ فِي عَصَابَةٍ مَعَهُ صُرَّةٌ مِسْكِ كُلِّهِمْ يَحِبُّ أَنْ يَجِدَ رِيحَهَا وَإِنَّ الصَّيَامَ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ وَأَمَرَكُمْ بِالصَّدَقَةِ وَمِثْلُ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَسْرَهُ الْعَدُوَّ فَأَوْثَقُوا يَدَهُ إِلَى عُنُقِهِ

وقربوه ليضربوا عنقه فجعل يقول هل لكم أن أفدي نفسي منكم وجعل يعطي القليل والكثير حتى فدى نفسه وأمركم بذكر الله كثيرا ومثل ذلك كمثله رجل طلبه العدو سراعا في أثره حتى أتى حصنا حصينا فأحرز نفسه فيه وكذلك العبد لا ينجو من الشيطان إلا بذكر الله.

ويعتبر والده زكريا في الإسلام نبي، أما في المسيحية فهو كاهن تقي (بار) وذكر زكريا في القرآن سبع مرات:

آل عمران الآيتين ٣٧ و ٣٨ : فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكَ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ،

والأنعام الآية ٨٥ : وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ

ومريم الآيتين ٢ و ٧ : ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا وَقَالَ: يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا

والأنبياء الآية ٨٩ : وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ.

سردية «مكاور ويوحنا المعمدان»

لا يمكن فصل سردية «يوحنا المعمدان» عن يوسفوس فلافيوس. فمن هو يوسفوس؟ من الاسم نعلم أنه يوسف بن متى أو متيتياهو ولد في مدينة القدس لعائلة كهنوتية يهودية بفترة قبل ميلاد السيد المسيح، وأنه كوهين (كاهن يهودي) من عائلات النخبة الدينية اليهودية في ذلك الحين، فهو إذا من سبط لاوي، وهو السبط المكلف بالمعبد بين أسباط إسرائيل الإثني عشر. وأمه من نسل الحشمونيين الذين ملكوا على يهوذا حتى ٤٤ للميلاد. يقدم يوسفوس نفسه كأحد أعمدة الفريسيين التي كانت إحدى الفرق الدينية الرئيسية لدى اليهود قبل دمار الهيكل، وأهم فرقة دينية يهودية لكنها كانت على معارضة شديد مع الفرق الأخرى وتهتم بأدق تفاصيل الشريعة الموسوية وأضاف لها عدد ضخم من البدع.

لكن القارئ لكتب يوسفوس يراه يتأرجح بين الفكر الفريسي والفكر الصدوقي وهي فرقة يهودية أخرى مختلفة تمامًا عن الفرقة الفريسية. من الممكن جدًا أن يوسفوس ولد في فترة الرسل، بالتالي سمع منهم عن المسيح وشاهد بدايات المسيحية. فكتب عن المسيح وعن يوحنا المعمدان وعن يعقوب أخو الرب (Feldman & Hata: ١٩٨٧ p: ٥٤-٥٧). في إحد كتبه قام بسرد سيرته الذاتية وورد فيها أنه سافر إلى روما ومكث هناك بضع سنوات، وعندما رجع إلى «يهوذا» انضم إلى التمرد على الإمبراطورية الرومانية وعين قائدًا لمنطقة الجليل. إلا أن يوسفوس يقدم نفسه على أنه مال بإتجاه الاعتدال وعدم الانجرار لصراع طويل مع الدولة الرومانية، وهذا أدى إلى نزاعات بينه وبين القادة اليهود المتطرفين، فحاول المتطرفون اغتياله. في نهاية التمرد سنة ٦٧ للميلاد، تصاعد الصراع مع الدولة الرومانية، وفرض الرومان حصارًا على مدينة يودفات (يوتاباتا) الجليلية التي كان يقودها يوسفوس، واستمر الحصار لفترة طويلة، فقرر يوسفوس الاستسلام فرفض أهل المدينة قراره وبعد أقل من شهرين سقطت المدينة في أيادي الرومان، وهرب يوسفوس ورجاله الأربعين من يودفات إلى مغارة، ولما اقترب العدو منهم قرر رجال يوسفوس أن يقتل بعضهم بعضًا لكي لا يسقطوا في أيادي الرومان، أما يوسفوس فبقي الأخير مع رجل آخر، وندم الاثنان على فكرة الانتحار وسلما نفسيهما للرومان. وبسبب هذا القرار وتعاون يوسفوس مع الرومان بعد استسلامه ساءت سمعته لدى اليهود وأخذ البعض يعتبرونه خائنًا. نشأت بين يوسفوس وبين قائد القوات الرومانية فسبازيان -الذي أصبح قيصرًا لاحقًا- صداقة، ثم تعاون كامل، وفي ٦٩ للميلاد أُطلق سراح يوسفوس وفي ٧١ للميلاد وصل إلى روما وأصبح مواطنًا رومانيًا، وبموجب القانون الروماني تبنى يوسفوس اسم عائلة وليه فسبازيان، وأصبح اسمه تيتوس فلافيوس يوسفوس. أما كتبه فمتعددة لكن له كتابان حول التاريخ. الأول: كتاب يحمل اسم «عادات يهودا» أو «الآثار اليهودية» وكتبه على ما يعتقد في عام ٩٤ للميلاد باللغة اليونانية ويشمل ٢٠ فصلا، يعرض تاريخ أتباع الديانة اليهودية حسب التراث والمصادر المتوفرة آنذاك. وهذا الكتاب له خصوصية وحساسية كبيرة، حيث أن اسم الكتاب لا يتناسب والثقافة

العربية والسياسة العربية ولا يعتبر هذا الموضوع مهمًا لولا أن الكتاب نفسه خلق جدلاً كبيراً حول بعض الأمور نذكر منها:

١- الشهادة الفلافية Feldman & Hata: ١٩٨٧: p. ٥٤-٥٧ وهي شهادة يوسفوس على وجود يسوع Testimonium Flavianum، ويعتبر الذكر الوحيد ليسوع من شخص غير مسيحي عاش في نفس المكان وفي نفس الوقت تقريباً. وبالرغم من أن شهادته تحمل رمزية كبيرة إلا أن الكثير من العلماء يرون أن الشهادة الفلافية مشكوكا فيها (Maier: ٢٠٠٧: p. ٣٣٦-٣٣٧) حيث يقول يوسفوس أن يسوع كان المسيح، ويشير بعض الباحثون إلى أنه ليس من المنطقي أن يكون يوسفوس الكوهين اليهودي قد اعتبر أن يسوع هو المسيا المنتظر. وتنقسم آراء الباحثين المعاصرين إلى ثلاثة افتراضات حول الشهادة الفلافية: الأول يرفض الشهادة الفلافية كلياً ويعتبرها تزويراً أضيف إلى النص الأصلي، الثاني يقبل الشهادة الفلافية، والثالث فيعتبر ذكر يسوع في الكتاب موثوق به، غير أن أحد الناسخ المسيحيين أضاف للنص ما يشير إلى أن يسوع هو المسيا.

٢- أن هذا الكتاب ذكر أيضاً شخصيتين لهما علاقة قوية بالديانة المسيحية. أولهما يعقوب أخو الرب والثاني يوحنا المعمدان. ففي كتاب الآثار اليهودية يقول يوسفوس أن هيرودس قد قطع رأس يوحنا المعمدان في قلعة مكاور وطرح جسده من على سور القلعة وبقي جسده مرمياً في الوادي عدة أيام إلى أن أتى تلاميذه وأخذوا جسده ودفنوه. وإذا كان الكتاب المقدس لم يذكر مكان سجن وقطع رأس يوحنا المعمدان فإن يوسفوس أول من ذكر هذا الأمر صراحة في كتابه. وبالرغم من أن الموقع واضح وضوح الشمس، لكن الموقع تعرض خلال العقود السابقة لعددٍ ضخم من الاعتداءات والنهب والنش والإهمال جعله لاحقاً عبارة عن كومة من الحجارة، وبسبب ذلك خسرنا الكثير من الآثار التي لو كُشفت بطريقة علمية لعرفنا عن الموقع الكثير. ولعل الأمر اهمالاً أو شيء ما! لكن هذا الإهمال للموقع هل كان ممنهجاً وكان الهدف منه تركه لينهب وينبش من قبل لصووص الآثار؟ إن الفترة التي تم الإعلان فيها عن قلعة مكاور كموقع حجج مسيحي و بداية اهتمام الدولة بالموقع كانت مدة زمنية طويلة، مما يشير الشك بأن عدم تطوير الموقع

وتأهيله دينيًا وتاريخيًا وثقافيًا كموقع حج مسيحي كان أمرًا في أقل تقدير «غير مفهوم»!
بكل الاحوال نال هذا الموقع بعض الاهتمام الأمني بعد زيارة ملكية في عام ٢٠٢٣.

هناك إشارتين ليسوع في تاريخه «الآثار اليهودية» في الباب العشرين بينما الآخر ورد في نفس الكتاب في الباب الثامن عشر، والآخر هو ما يرد حوله الشك. لكن يتفق الكثير من العلماء بأن ما ورد في الكتاب الثامن عشر هو جزئيًا من كتابة يوسفوس ولكن عندما تم نسخها لاحقًا جرى الإضافة عليها من قبل أحد النساخ المسيحيين لتناسب وجهة النظر المسيحية، وبعضهم يقول أن الإضافة تمت في القرن الرابع لأنها وردت في كتاب يوسابيوس القيصري (أوسابيوس: الحادي عشر: الفصل الأول: ص ٤٩-٥١)، بينما لم يشر علماء أقدم من يوسابيوس للشهادة الفلافية مثل أوريجانوس الذي أكد في القرن الثالث أن يوسفوس لم يؤمن بيسوع على أنه المسيا، أو جيروم أو غيرهم من الآباء في القرون الثلاثة الميلادية الأولى. وتنص الشهادة على ما يلي بعد ترجمتها للعربية: «وفي هذا الوقت عاش يسوع، رجل حكيم إذ صح أن ندعوه رجل إذ انه قد قام بمآثر وأعمال عظيمة وكان معلما للناس الذين قبلوا الحقيقة بكل سرور فقد جذب إليه العديد من اليهود والوثنيين لقد كان هو المسيح المخلص وحينما سمع بيلاطس اتهام زعماءنا ضده حكم عليه بالصلب ولكن الذين أحبوه منذ البداية لم يتخلوا عنه ويتركوه إذ انه قد ظهر لهم حيا من جديد في اليوم الثالث لأن الأنبياء قد تنبؤوا بذلك من قبل وبأشياء أخرى أيضًا كثيرة عنه وحتى يومنا هذه لم تختف جماعة المسيحيين التي سميت باسمه» بينما النص الأصلي كما حاول العلماء تخيله دون تدخل الناسخ المسيحي هو: «وفي هذا الوقت عاش يسوع، إنسان حكيم إذ قام بمآثر عظيمة وكان معلما للناس وكسب العديد من اليهود والوثنيين. وحينما سمع بيلاطس اتهام زعماءنا ضده حكم عليه بالصلب ولكن الذين احبوه منذ البداية لم يتخلوا عنه وحتى يومنا هذا لم تختف جماعة المسيحيين التي سميت باسمه». لا بد أن أشير هنا أن بعض العلماء يتهمون يوسابيوس القيصري بأنه هو الناسخ المسيحي الذي عبث بنص يوسفوس، كونه أول من أفرد هذا النص في تاريخه لكن لا دليل قطعي على هذا الأمر. ولأنه لا نريد أن نفرّد مساحة كبيرة في كتابنا ليوسفوس خصوصًا أنه ليس موضوعنا لكن لا بد أن نشير هنا لنقطتين هما:

أولا ذكر يوسفوس يعقوب أخو الرب الذي ترأس كنيسة أورشليم، وثانيًا أن يوسفوس أفرد نصًا فريدًا وقويًا عن يوحنا المعمدان في كتاب الآثار اليهودية الباب الثامن عشر الفصل الخامس، فهو يقول أنه سجن وقتل بقطع الرأس في قلعة مكاور شرقي نهر الأردن ونقلها عنه يوسفوس القيصري في تاريخه، في حين أن الأناجيل لم تذكر مكان قطع رأس يوحنا المعمدان، كما أشار يوسفوس إلى أنه بعد قطع رأسه طرح جسد يوحنا المعمدان عن السور وبقي لأيام في الوادي إلى أن جاء تلاميذه وأخذوا جسده ودفنوه. وهنا لا بد أن أُشير أن بعض الذين كنت أدخل بجدال معهم حول السردية كانوا يتحفظون على أي ذكر لمكاور، بل كان هناك اغفال ممنهج وصمت مريب اتجاه ما يحدث في مكاور من تدمير مقصود وحفر غير شرعي ونهب لللقى الأثرية وترك لصوص الآثار يعثون بالمكان.

كما أورد يوسفوس في معرض حديثه عن يوحنا: بعض اليهود ظنوا أن خراب جيش هيرودس أتى من الله وكان عقاب عادل لما فعله ضد يوحنا الملقب بالمعمدان لأن هيرودس قتله رغم أنه كان رجل صالح وقد حث اليهود على الفضيلة... وهيرودس الذي خاف من تأثيره القوي على الشعب قد يحمل على ثورة - لأنهم كان يبدو مستعدين لأن يفعلوا أي شيء ينصحهم به - فاعتقد أنه أفضل كثيرًا لأن يتحرك الآن... وهكذا يوحنا بسبب شكوك هيرودس أرسل في سلاسل إلى مكار يوس القلعة وهناك تم قتله.

لكن هل من شواهد أثرية أو أدلة مادية؟ حتى تاريخ كتابة هذا الكتاب لا يوجد ما يدعم هذا الأمر سوى ما ذكره يوسفوس. ولا توجد أي شواهد أثرية تؤكد المكان الذي قُتل فيه يوحنا ولا حتى مكان دفنه، تمامًا كما أنه لا توجد شواهد أثرية تؤكد مكان موت ودفن النبي موسى، ولكن هل سيعتمد الدليل السياحي على الشواهد الأثرية وحدها في سرديته الدينية؟ بالتأكيد لا، لأنه كما سبق وأسلمنا فإن الكتابات الدينية تُشير لموسى وتُشير ليوحنا المعمدان وهي الأساس في السرد التاريخي لقصة المكان أو الموقع المرتبط بهما أو بغيرهم، وأن المجموعات التي تأتي للحج أو الصلاة أو حتى للسياحة تأتي بناءً على إيمانها العميق بصدق وصحة ما ورد في الكتب المقدسة.

قلعة مكاور

تقع هذه القلعة الرومانية تقع على بعد ٣٢ كم جنوب غرب مادبا، تشير بعض المصادر أن من بناها الملك هيرودوس الكبير لتكون حصناً أمام هجمات مملكة الأنباط، وتربيع القلعة على قمة جبل مكاربوس (مخاريوس - وقد يكون معناها الجبل المستدير أو باليونانية السيف) والذي يبلغ ارتفاعه أكثر من ٧٣٠ م عن سطح البحر، ووفقاً لمصادر تاريخية أخرى، بنيت القلعة عام ٩٠ ق.م على يد القائد الحشموني الاسكندر جانيوس لتصد حشود الجيوش الرومانية، إلا ان الرومان استولوا عليها عام ٥٧ ق.م ودُمرت على يد القائد الروماني بومبي، ثم سيطر عليها هيرودس الكبير خلال الفترة ٢٥-١٣ ق.م وأعاد بنائها وبنى حولها سوراً ضخماً، وبعد ذلك آلت القلعة إلى ابنه هيرودوس انتيباس، ثم سيطر عليها الثوار اليهود فدخلتها الجيوش الرومانية في عام ٧١م ميلادية ودمروها، ومع مرور الزمن أهملت وتدمرت بسبب الزلازل ولم يتبق منها إلا الساحات والبرك والأعمدة، ويعتقد أن جزء منها تحول لكنيسة في الفترة البيزنطية ثم تدمرت هذه الكنيسة بسبب الزلازل، وطوى القلعة النسيان حتى القرن التاسع عشر، حين دون بعض الرحالة زيارتهم لها منهم الرحالة الألماني زيتسن عام ١٨٠٧م، والرحالة تراسترام عام ١٨٧٢م، والرحالة ايبيل عام ١٩٠٩ ووصفها بشكل جيد، ثم قام فريق أثري مشترك من معهد الآباء الفرنسيسكان ودائرة الآثار العامة الأردنية بإجراء العديد من الحفريات في الموقع كان أولها في عام ١٩٧٨م وذلك من أجل الكشف عن البقايا الأثرية في الموقع، إلا أن القلعة نالها الإهمال بعد عدة ترميمات بعضها خاطئ، وتعرضت للكثير من أعمال الحفر غير القانوني من العابثين، والتخريب والهدم.

سردية المغطس «مكان معمودية السيد المسيح»

يقسم المغطس إلى قسمين شرقي وغربي، الشرقي يقع في الاتجاه الأردني والغربي وهو الأقدم يقع ضمن الأراضي المحتلة، ولكن عالمياً ومسيحياً يُعتقد أن المغطس الفعلي يقع ضمن الأراضي الأردنية.

والمغطس هو المكان الذي تعمد به يسوع على يد يوحنا المعمدان.

جرت أول حفريات أثرية في الجانب الأردني في عام ١٩٩٦، وقبل ذلك كانت المنطقة منطقة عسكرية مغلقة، فلم تتمكن الفرق الأثرية من الوصول والحفر العلمي للمكان بسبب الألغام وتهديدات الكيان الصهيوني، لكن بعد توقيع اتفاقية السلام الأردنية الإسرائيلية عام ١٩٩٤ جرى إزالة الألغام والسماح بالكشف العلمي عن الموقع. تمت هذه الحفريات على امتداد وادي الخرار بناءً على الأدلة الواردة في النص الإنجيلي، وكتابات المؤرخين البيزنطيين ومؤرخي العصور الوسطى، حيث اعتقد علماء الآثار بناءً على هذه الأدلة على أن الموقع الحقيقي للمغطس هو في الجانب الشرقي من نهر الأردن، فيتحدث إنجيل يوحنا (٢٨:١) عن «بيت عنيا عبر الأردن حيث كان يوحنا المعمدان يعمد» ويشار هنا إلى عبارة «عبر الأردن» إلى الضفة الشرقية من النهر. وفي إشارة لاحقة إلى نفس الموقع على الضفة الشرقية يقول إنجيل يوحنا (٤٠:١٠) أن يسوع المسيح قد سافر أيضاً عبر الأردن حيث كان يوحنا المعمدان يعمد في البداية وذهب مرة أخرى إلى نفس المكان وأقام هناك. وخلال الحفريات في عام ١٩٩٧، تم العثور على سلسلة من المواقع القديمة المرتبطة بالموقع الذي كان يعمد فيه يوحنا المعمدان والذي تعمد فيه يسوع المسيح. وتقع سلسلة المواقع هذه على امتداد وادي الخرار، شرقي نهر الأردن. حيث تم اكتشاف دير بيزنطي على بعد حوالي ٣ كم شرقي نهر الأردن في بداية وادي الخرار. وهناك عدة ينابيع طبيعية تشكل بركاً يبدأ منها تدفق الماء إلى وادي الخرار، وتصب في النهاية في نهر الأردن.

يوجد ثلاث برك في تل الخرار، وتقع البركة الأولى في المنحدر الغربي السفلي للتل، وهي تعود للعهد الروماني، أي ما بين القرنين الثالث والرابع بعد الميلاد. أما البركتان الأخريتان، فهما يقعان على قمة الطرف الشمالي لتل الخرار. والبركة الجنوبية مستطيلة الشكل ولها درج داخلي على الجهة الشرقية وأربع درجات تمتد على امتداد عرض البركة، ويمكن مشاهدة ذلك بوضوح. ويستطيع الحجاج النزول إلى البركة من أجل أن يتعمدوا.

هنالك بركتان مربعتان تعودان إلى نفس الفترة الرومانية. وقد أضيفت الحجارة المربعة المنحوتة إلى الزاوية الجنوبية الغربية للبركة الشمالية الغربية في فترات لاحقة، وربما كانت

تستعمل كدرج للنزول إلى البركة، ويصل الماء إلى البرك بواسطة اقنيه مغطاة بالقناطر.

كما تم الكشف عن تل مار الياس معروف تقليدياً كموقع لصعود النبي إيليا إلى السماء.

في عام ٢٠١٥، تم تصنيف الموقع كموقع للتراث العالمي من قبل اليونسكو، باستثناء

الجانب الغربي من النهر.

ويعتقد أن هذا المكان شهد عبور بني إسرائيل بأمر من يشوع (هوشع) حيث عبروا النهر، مما جعل مياهه تتوقف في أثناء عن تدفقهم «وَلَمَّا ارْتَحَلَ الشَّعْبُ مِنْ خِيَامِهِمْ لِكَيْ يَعْبرُوا الْأَرْضَ، وَالْكَهَنَةُ حَامِلُو تَابُوتِ الْعَهْدِ أَمَامَ الشَّعْبِ، فَعِنْدَ إِيْتَانِ حَامِلِي التَّابُوتِ إِلَى الْأَرْضِ وَأَنْغَمَسَ أَرْجُلُ الْكَهَنَةِ حَامِلِي التَّابُوتِ فِي ضَفَةِ الْمِيَاهِ، وَالْأَرْضُ مُمْتَلِئَةٌ إِلَى جَمِيعِ شُطُوطِهَا كُلِّ أَيَّامِ الْحَصَادِ، وَقَفَتِ الْمِيَاهُ الْمُنْحَدِرَةُ مِنْ فَوْقَ، وَقَامَتْ نَدًا وَاحِدًا بَعِيدًا جَدًّا عَنْ «أَدَامَ» الْمَدِينَةِ الَّتِي إِلَى جَانِبِ صَرْتَانَ، وَالْمُنْحَدِرَةُ إِلَى بَحْرِ الْعَرَبَةِ «بَحْرِ الْمَلْحِ» انْقَطَعَتْ تَمَامًا، وَعَبَرَ الشَّعْبُ مُقَابِلَ أَرِيحَا. فَوَقَفَ الْكَهَنَةُ حَامِلُو تَابُوتِ عَهْدِ الرَّبِّ عَلَى الْيَابِسَةِ فِي وَسْطِ الْأَرْضِ رَاسِخِينَ، وَجَمِيعُ إِسْرَائِيلَ عَابَرُونَ عَلَى الْيَابِسَةِ حَتَّى انْتَهَى جَمِيعُ الشَّعْبِ مِنْ عُبُورِ الْأَرْضِ». (يشوع ٣: ١٤-١٧). وسمي هذا المكان بالأبرة أو بيت العبور أو بيت المعبر أو بيتابارا، المعروفة الآن باسم بيتاني ما وراء الأردن وظهرت بشكل واضح في خريطة مادبا، ويعتقد أيضاً أنها كمكان عبر فيه النبي إيليا فيما بعد نهر الأردن.

ورغم أن الكيان الصهيوني يحاول تقديم المغطس في الأراضي المحتلة كالمكان الرسمي لتعميد المسيح ويوافق في ذلك عدد قليل من علماء الكتاب المقدس وبعض علماء الآثار الكتابيين، إلا أن المجلس الدولي للمعالم والمواقع ICOMOS يرجح بناءً على ملف علمي متكامل بأن المغطس على الجانب الأردني كموقع للتراث العالمي يرتبط تاريخياً بمعمودية المسيح، ونصحت بأن تحقيقها في موقع المغطس للاعتراف به كمركز تراث عالمي يثبت دون شك أن المعالم الأثرية تتعلق بالفعل بتاريخياً بمعمودية يسوع. أما معظم الطوائف المسيحية الكبرى فتعترف بأن المغطس الأردني هو المكان الأدق لمعمودية المسيح.

يُشار إلى أن الحفريات الأثرية كشفت أيضًا عن آثار في هذا الموقع تعود لفترات سابقة، حيث استقر لأول مرة من قبل مجموعة صغيرة من المزارعين خلال العصر الحجري القديم، حوالي ٣٥٠٠ قبل الميلاد، وهناك دلائل أخرى على استيطان من الفترة الهلنستية والفترة الرومانية، أما في الفترة البيزنطية وبدءاً من القرنين الخامس والسادس، تم بناء الكنائس والأديرة في تل الخرار، وتل النبي إيليا، حيث وجدت آثار لدير هناك يعود للقرن الخامس، سماه علماء الآثار دير ريتوريوس كما أشارت كتابة فسيفسائية، كما كُشف عن العديد من المعابد الصغيرة والكهوف التي كانت تُستخدم كقلالي^(١) للربان والنساك والحجيج.

إلا أن الكثير من الفيضانات والزلازل عبر الزمن دمرت الكنائس والأديرة، والتي أعيد بناءها عدة مرات، إلى أن هجرت لاحقاً بسبب الدمار الواسع في القرن السادس أو السابع الميلادي. ونظراً لقيام الحجاج لاحقاً بزيارة كنيسة القيامة والمهد في فلسطين، فإن معظم الحجاج كانوا يقومون بزيارة المغطس في الضفة الغربية لسهولة الوصول له، مما اسهم بإعادة بناء بعض الكنائس في الجهة الغربية للنهر، في حين أن الجانب الشرقي من المغطس تعرض للاهمال، إلى أن تراجع الحج إلى الموقع ككل في القرن الخامس عشر واستمر هجر الموقع تقريباً إلى القرن العشرين، وساهمت حرب النكسة في عام ١٩٦٧ - حيث أصبح النهر خط وقف إطلاق النار - بمنع وامتناع الزيارات للمغطس خصوصاً الجانب الشرقي منه، إلى عام ١٩٨١ و ١٩٨٢، حيث سمح الكيان الصهيوني للمسيحيين بالوصول لموقع غربي النهر وممارسة المعمودية في موقع ياردنيت إلى الشمال، ثم كما أسلفنا بعد توقيع معاهدة السلام بين الكيان والأردن في عام ١٩٩٤ تم تسهيل الوصول إلى المغطس في الجانب الشرقي منه وتم بناء عدة كنائس حديثة في الموقع.

في عام ٢٠١٥، أعلنت اليونسكو موقع المغطس على الضفة الشرقية لنهر الأردن كموقع للتراث العالمي وفق المعيارين (vi)(iii) والقيمة الاستثنائية العالمية التي سجل المغطس ضمنها أن المغطس يشمل البقايا المادية المرتبطة بإحياء ذكرى معمودية السيد المسيح تاريخياً وتشمل نظاماً لجمع المياه، وحمامات، وكنائس، ومصليات صغيرة، وديراً، وكهوفاً

(1) مفرد قلاية وهي غرفة أو مغارة خاصة بالراهب في الدير أو في جبل.

لِلنَّاسِكِينَ، وَبِرَكَّةٍ مَعْمُودِيَّةٍ صَلِيبِيَّةٍ الشَّكْلِ، وَمَحْطَةٍ لِلْحَاجِّاجِ. وَأَنَّهَا تَشْهَدُ عَلَى الْبَدَايَاتِ الْمُبَكِّرَةِ لِلْمَسِيحِيَّةِ، بِالإِضَافَةِ إِلَى أَهْمِيَّتِهِ تِلْكَ فَإِنَّ الْمَوْقِعَ يَرْتَبِطُ أَيْضًا بِحَيَاةٍ وَصُعُودٍ إِيْلَى النَّبِيِّ إِلَى السَّمَاءِ.

أَهْمِيَّةُ الْمَغْطَسِ

يَرْتَبِطُ مَوْقِعُ الْمَغْطَسِ بِثَلَاثِ عُنَاوِينَ مُهِمَّةٍ:

١- الْحَدِثُ: مَعْمُودِيَّةُ السَّيِّدِ الْمَسِيحِ عَلَى يَدِ يُوْحَنَّا الْمَعْمَدَانِ، وَتَصَبُّحُ الْمَعْمُودِيَّةِ رَمْزٌ وَإِشَارَةٌ لِدُخُولِ الْمُؤْمِنِ بِالْمَسِيحِ لِلْمَسِيحِيَّةِ، وَفِي هَذَا الْحَدِثِ ظَهَرَتْ ٣ إِشَارَاتٌ دِينِيَّةٌ الْأُولَى بِدَايَةِ بَشَارَةِ السَّيِّدِ الْمَسِيحِ وَالثَّانِيَّةُ حُلُولُ الرُّوحِ الْقُدُسِ عَلَيْهِ عَلَى هَيْئَةِ حَمَامَةٍ وَالثَّالِثَةُ صَوْتٌ مِنَ السَّمَاءِ، يَقُولُ الْكِتَابُ:

(١٣) حِينَئِذٍ جَاءَ يَسُوعُ مِنَ الْجَلِيلِ إِلَى الْأُرْدُنِّ إِلَى يُوْحَنَّا لِيَعْتَمِدَ مِنْهُ. ١٤ وَلَكِنْ يُوْحَنَّا مَنَعَهُ قَائِلًا: «أَنَا مُحْتَاجٌ أَنْ أَعْتَمِدَ مِنْكَ، وَأَنْتَ تَأْتِي إِلَيَّ!» ١٥ فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُ: «اسْمَحْ الْآنَ، لِأَنَّهُ هَكَذَا يَلِيقُ بِنَا أَنْ نُكْمَلَ كُلُّ بَرٍّ». حِينَئِذٍ سَمَحَ لَهُ. ١٦ فَلَمَّا اعْتَمَدَ يَسُوعُ صَعِدَ لِلْوَقْتِ مِنَ الْمَاءِ، وَإِذَا السَّمَاوَاتُ قَدْ انْفَتَحَتْ لَهُ، فَرَأَى رُوحَ اللَّهِ نَازِلًا مِثْلَ حَمَامَةٍ وَآتِيًا عَلَيْهِ، ١٧ وَصَوْتُ مِنَ السَّمَاوَاتِ قَائِلًا: «هَذَا هُوَ ابْنِي الْحَبِيبُ الَّذِي بِهِ سُرَرْتُ» (انجيل متى الاصحاح ٣).

٢- الشَّخْصِيَّاتُ: السَّيِّدُ الْمَسِيحُ وَيُوْحَنَّا الْمَعْمَدَانِ وَجُمُوعُ النَّاسِ.

٣- الْأَهْمِيَّةُ: بِدَايَةُ رِسَالَةِ السَّيِّدِ الْمَسِيحِ الْفَعْلِيَّةِ، وَنَهَايَةُ رِسَالَةِ يُوْحَنَّا الْمَعْمَدَانِ.

جَدَلِيَّةُ اسْمِ الْمَكَانِ، بَيْتُ عَبْرَةٍ أَوْ بَيْتُ عَنِيَا:

وَقَعَ لَبْسٌ فِي تَسْمِيَةِ الْمَغْطَسِ هَلْ هُوَ بَيْتُ عَبْرَةٍ أَمْ بَيْتُ عَنِيَا، فَيَقُولُ الْكِتَابُ الْمُقَدَّسُ فِي انْجِيلِ يُوْحَنَّا ١: ٢٨ «هَذَا كَانَ فِي بَيْتِ عَبْرَةٍ فِي عِبْرِ الْأُرْدُنِّ حَيْثُ كَانَ يُوْحَنَّا يَعْمِدُ» وَهُوَ اسْمُ الْمَكَانِ الَّذِي كَانَ يُوْحَنَّا الْمَعْمَدَانِ يَعْمِدُ فِيهِ. وَقَدْ جَاءَ الْاسْمُ فِي النُّسَخَةِ السِّينَايَّةِ «بَيْتُ عَنِيَا» بَيْنَمَا جَاءَتْ فِي التَّرْجُمَةِ السَّبْعِيْنِيَّةِ «بَيْتُ عَبْرَةٍ» لَكِنْ قِطْعًا هِيَ لَيْسَتْ بَيْتُ عَنِيَا الَّتِي عَاشَ فِيهَا لِعَازَرُ وَأَخْتَاهُ مَرْيَمُ وَمَرْتَا وَفِي هَذِهِ الْمَدِينَةِ أَقَامَ الْمَسِيحُ لِعَازَرُ مِنَ الْمَوْتِ، وَقَدْ ذَهَبَ فِي هَذِهِ

المدينة حين صعد لأورشليم، واليوم تسمى العيزرية التي أخذت اسمها من العيزر الذي أقامه يسوع وتبعد ٢ كم شرق مدينة القدس. ولكن أوريغانوس^(١) دافع عن أن حقيقة الاسم هو «بيت عبرة» وليس «بيت عنيا» وهناك عدة آراء لتفسير هذا الاختلاف في قراءة الاسم، فبعضهم يرى أن «بيت عنيا» ومعناها «بيت السفينة»، وبيت عبرة ومعناها «بيت المخاضة أو العبور» هما اسمان لمكان واحد. ويقول البعض أن «بيت عبرة» هي «بيت بارة» والتي يُرَجَّح أنها لم تكن على الأردن بل بين النهرات التي تصب فيه (قض ٧: ٢٤)، ويرى بعض علماء اللاهوت أن بيت عبرة هي «بيت نمرة» (يش ١٣: ٢٧) استنادًا إلى ما جاء في الترجمة السبعينية، وتقع بيت نمرة على بُعد عدة أميال قليلة من أريحا، قرية من القدس (انظر مت ٣: ٥؛ مرقس ١: ٥)، وتلقى هذه الفرضية قبولاً عند كثيرين. أما علماء آخرون فيتبنون فرضية أن الموقع التقليدي للمدينة هو عند المخاضة التي في شرقي أريحا، ولكن بناءً على ما جاء في إنجيل يوحنا (يو ١: ٢٩، ٣، ٤٣)، كانت على بُعد يوم واحد من قانا الجليل، بينما كانت على بُعد يومين أو ثلاثة من «بيت عنيا» (يو ١٠: ٤٠؛ ١١: ٣، ٦، ١٧).

الأرجح أن كلا الاسمين كانا يطلقان على موقع المغطس، لكن بيت عبرة كان الاسم الأكثر ترجيحاً والله أعلم.

سردية «أهل الكهف»

ويطلق عليها أيضاً أصحاب الكهف، ولا تختلف الرواية في المصادر الإسلامية كثيراً عن نظيرتها المسيحية، باستثناء أن الرواية الإسلامية لم تذكر عدد النائمين داخل الكهف ولا أسمائهم ولا زمان وقوع الحادثة أو مكانها، ذلك لأن النص القرآني يركز على الحدث بذاته. بينما أهل الكهف لم تذكر في الكتاب المقدس بل في التقليد المسيحي.

تقع أهل الكهف في الأردن في منطقة الرقيب (جبل الرقيم) في عمان الشرقية وهناك مواقع أخرى في أفسس التركية وغيرها، لكن الموقع الأكثر دقة هو في الأردن وهو ما أيده بعض المؤرخين والمفسرين المسلمين الذين تأثروا بالروايات المسيحية منهم الطبري وابن

(١) أوريجينوس الإسكندري هو عالم ساهم في تطوّر الفكر المسيحي من القرن الثالث الميلادي.

كثير والزمخشري والمسعودي وغيرهم، والبعض الآخر نفى أن يكون موقع الكهف في مدينة أفسس التركية مستندين على عدد من الروايات التاريخية التي تثبت أن العديد من الصحابة وقادة الجيوش الإسلامية قد ذكروا أن موقع الكهف يقع في الرقيم حيث زاروا هذا الموقع وعرفوه، ومنهم الواقدي والصحابي عبادة بن الصامت الذي مر على الكهف في زمن عمر بن الخطاب وأيضا معاوية بن أبي سفيان، وكذلك حبيب بن مسلمة وابن عباس قد دخلوا هذا الكهف ورأوا عظام أصحاب الكهف.

ذكرت قصة أصحاب الكهف في القرآن في سورة الكهف في الآيات من ٩-٢٦، وهي لا تختلف كثيراً عن تلك المذكورة في المصادر المسيحية باستثناء التفاصيل، تتحدث الرواية الإسلامية أيضاً عن فتية آمنوا بالله وحده، ونبذوا عبادة الأصنام التي كان يعبدونها قومهم، ثم اختبئوا في كهف هرباً من قومهم، وناموا فيه لعشرات السنين ثم بعثهم الله بعد ذلك. تبدأ القصة بمخاطبة النبي بأن لا يتعجب من قصة أصحاب الكهف فهي ليست أمراً عجبياً في قدرة الله وسلطانه، وأن هذه المعجزة هي من الآيات العظيمة الدالة على قدرة الله، وأنه على ما يشاء قادر ولا يعجزه شيء: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا ٩﴾ إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ١٠﴾ فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ١١﴾ ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا ١٢﴾ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ١٣﴾ وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُو مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا ١٤﴾ هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْ لَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيْنَ يَدَيْنَا مِنْ آيَاتِنَا لَإِظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ١٥﴾ وَإِذْ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مَرْفَقًا ١٦﴾ وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَرَاوَرُّ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقَرُّصُهُمْ ذَاتَ الشَّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا ١٧﴾ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشَّمَالِ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَاهُ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ

لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُغْبًا ۝١٨ وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ
 كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ
 إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ۝١٩
 إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذَا أَبَدًا ۝٢٠ وَكَذَلِكَ
 أَعَزَّزْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرُهُمْ فَقَالُوا
 ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُيُوتًا رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا ۝٢١
 سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ
 وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا
 تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا ۝٢٢ وَلَا تَقُولَنَّ لشيءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا ۝٢٣ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ
 وَادْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِّي رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا ۝٢٤ وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ
 ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا ۝٢٥ قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ
 أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا ۝٢٦ ﴿الكهف: ٩-٢٦﴾

أما الرواية المسيحية والتي ذكرت كما أسلفنا في التقليد المسيحي فتسميهم النيام السبعة
 أو قديسو أهل مغارة أفسس، حيث يقال أنها حدثت في زمن الإمبراطور الروماني ديقيانوس
 (القرن الثالث الميلادي)، تتحدث عن فتية تعرّضوا للإضطهاد بسبب إيمانهم بالمسيح
 وتركهم لعبادة الأوثان، فهربوا واختبأوا في كهف وناموا لمدة طويلة تقدر بعشرات السنين،
 وعندما استيقظوا بمعجزة أرسلوا أحدهم إلى القرية ليحضر لهم الطعام، فلاحظ أن معالم
 القرية قد تغيّرت واختلف الناس، كما أن النقود التي يملكها لم يعد أحد يستخدمها منذ مدة
 طويلة جداً، فسأله أهل القرية عن حكايته فحكى لهم ما كان.

يعود أقدم نص مكتوب لهذه الرواية إلى الأدب السرياني المسيحي الذي اشتهر بين
 القرنين الخامس والسادس الميلادي.

تجمع المصادر السريانية بأن موقع الكهف هو على مرتفع يدعى جبل (انكيلوس) في
 ضواحي مدينة أفسس الواقعة في تركيا اليوم.

أما أسمائهم حسب التقليد المسيحي: القديسون مكسيميان، ملخوس، مارتنيان، ديونيسيوس، يوحنا، سيرابيون، قسطنطين.

سرديّة «كاسترون ميفعة (أم الرصاص)»

ذُكر في تاريخ ميفعه أن الرسول قد زارها عندما كان طفلاً. وكان بها راهب يُسمى بحيرة الراهب ضمن مجموعة من الرهبان، وقد رأى ملامح النبوة فيه خلال اللقاء القصير العابر الذي جمعهما في أم الرصاص، وبعض الروايات تتحدث أن اللقاء تم في الشام وأخرى تتحدث أنها جرت في بصرى الشام. وقد ثبت في السنة النبوية مقابلة الرسول لراهب دون ذكر اسمه في روايتين صحيحين الأولى عن أبي موسى الأشعري ورواها الترمذي والحاكم والثانية عن أبي مجلز رواها ابن سعد كما وضح ذلك الشيخ الألباني، ولكن ورد اسم بحيرى الراهب في رواية ابن اسحق ولكنها دون اسناد. كما وردت في كتاب ابن منظور « حدث ابو داود سليمان بن موسى : أن أبا طالب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج إلى الشام فلما مروا بقرية يقال لها ميفعة من أرض البلقاء وفيهم راهب يقال له بحيرى، فخرج إليهم بحيرى وكانوا قبل ذلك يقدمون ولا يخرج إليهم ولا يلتفت، فجعل يتخللهم حتى انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هذا سيد العالمين، هذا رسول رب العالمين، هذا الذي بعثه الله رحمة للعالمين»، أما رواية أبي موسى الأشعري فأخرجها الترمذي في سننه وأبو نعيم في دلائل النبوة والحاكم في المستدرک وابن عساكر في تاريخ دمشق» بأسانيد متعددة عن قراد أبي نوح: أنبا يونس بن أبي إسحاق عن أبي بكر بن أبي موسى عن أبيه قال: خرج أبو طالب إلى الشام، وخرج معه النبي صلى الله عليه وسلم في أشياخ من قريش، فلما أشرفوا على الراهب هبطوا فعلوا رحالهم فخرج إليهم الراهب، وكانوا قبل ذلك يمرون به فلا يخرج إليهم ولا يلتفت، قال: فهم يحلون رحالهم فجعل يتخللهم الراهب حتى جاء فأخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال: هذا سيد العالمين، هذا رسول رب العالمين يبعثه الله رحمة للعالمين، فقال له أشياخ من قريش: ما علمك؟ فقال: إنكم حين أشرفتم من العقبة لم يبق شجر ولا حجر إلا خر ساجداً ولا يسجدان إلا لنبي، وإني أعرفه بخاتم النبوة أسفل

من غصروف كتفه مثل التفاحة، ثم رجع فصنع لهم طعاماً فلما أتاهاهم به، وكان هو في رعية الإبل، قال: أرسلوا إليه، فأقبل وعليه غمامة تظله، فلما دنا من القوم وجد القوم قد سبقوه إلى فيء الشجرة، فلما جلس مال فيء الشجرة عليه، فقال: انظروا إلى فيء الشجرة مال عليه. والحديث حسنه الترمذي وإسناده جيد وقد صححه الحاكم والجزري وقواه العسقلاني والسيوطي وقد بين الشيخ الألباني صحته على طريقة أهل الحديث. وأما الرواية الأخرى فأخرجها ابن سعد في الطبقات الكبرى: أخبرنا خالد بن خدّاش: أخبرنا معتمر بن سليمان قال: سمعت أبي يحدث عن أبي مجلز أن عبد المطلب أو أبا طالب -شك خالد- قال: لما مات عبد الله عطف على محمد، قال فكان لا يسافر سفيراً إلا كان معه فيه، وإنه توجه نحو الشام فنزل منزله فأتاه فيه راهب، فقال: إن فيكم رجلاً صالحاً، فقال: إن فينا من يقري الضيف ويفك الأسير ويفعل المعروف، أو نحواً من هذا، ثم قال: إني فيكم رجلاً صالحاً، ثم قال: أين أبو هذا الغلام؟ قال: ها أنا ذا وليه، أو قيل. هذا وليه، قال: احتفظ بهذا الغلام ولا تذهب به إلى الشام، إن اليهود حسد، وإني أخشاهم عليه، قال: ما أنت تقول ذاك ولكن الله يقول، فردّه، قال اللهم إني أستودعك محمداً، ثم إنه مات.

اسم «مادبا»: المكان والتاريخ والحدث^(١)

يصر بعض الناس على تسمية مادبا بمادبا، والاسم الأخير اسم حديث لا علاقة له بمادبا، ولا علاقة لمادبا كمدينة في الفترة الرومانية أو قبلها بأي حدث ديني ذي أهمية لا من قريب ولا من بعيد «حتى كتابة هذا الكتاب».

ولعل اسم مادبا ظهر في منتصف القرن العشرين لكن لم أجد أصل التسمية وكيف بدأت حتى تاريخ كتابة هذا المقال، مع أن الكثير من الكبار في العمر أرجعوه لفترة مد وانتشار حركة الإخوان المسلمون في الأردن وخصوصاً مادبا بعد انحسار المد اليساري في الأردن وفي مادبا بالتحديد بعد حرب ١٩٦٧ م. اسم مادبا يعود لكلمتين مركبتين من الآرامية -السريانية هما: (ميا) و (دأبيا)، الكلمة الأولى (ميا) تعني المياه والثانية (دأبيا) تعني الفاكهة، والبعض يراها

(١) مقال للكاتب.

الراحة، فمادبا: هي «مياه الفاكهة» أو المياه الهادئة^(١). وسارت السردية على هذا الأساس ودعمها لوحات الفسيفساء البيزنطية التي تكاد تشترك بعناصر منها صنوف الفاكهة التي تظهر بهذه اللوحات إضافة لسنابل القمح وغيرها، كما ورد اسمها في فسيفساء مادبا هكذا MIDABA، ناهيك عن ورودها في مسلة ميشع المشهورة.

في الكتاب المقدس وردت مادبا «ميدبا» في عدة آيات في العهد القديم فذكرت مع حشبون وديبون في بيت الشعر (عد ٢١: ٣٠) وذكرت في (يش ١٣: ١٦) وكانت مدينة عمونية (١ أخبار ١٩: ٧-١٥) ثم مؤابية (اش ١٥: ٢)، وبعد المد المسيحي أصبحت مركز أسقف وكان أسقفها يتبع أسقف القدس معظم الوقت.

واسم مادبا قديم جداً قبل موسى بكثير، بالتالي لا يمكن ربط هذا الاسم بالثورة أو أنه اسم توراتي مثل الكثير من المواقع الأردنية كحشبون ومؤاب وعمون وغيرها، فكلها تسميات وجدت قبل موسى عليه السلام وأخذتها الثورة كما هي، فلا علاقة لليهود بهذه التسميات.

بينما يروج البعض لسردية لا أساس لها وهي أن مادبا تعود للتسمية مأدبة أو مأدبة والمقصود بها المأدبة التي وردت بالقرآن: قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مُنْكَ سَوَارِقُنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (المائدة ١١٤) وفي التفسير لم يرد أن هذا الحدث الذي أطلق عليه اسم «مائدة بني اسرائيل» قد حدث في مدينة مادبا الحالية، بالتالي فإن هذه الحادثة لا علاقة لها قطعياً بمدينة مادبا بل تعتبر هذه سردية غير منطقية ومضادة للسردية المعتمدة حول أن أصل التسمية آرامية - سريانية، بل من يروج لسردية أن مادبا جرى فيها حادثة المأدبة سردية خطيرة كونها تربط مادبا ببني اسرائيل، وهنا تماماً ما يمكن اعتباره دس السم مع العسل.

إن السيد المسيح له المجد كما هو معروف ومعلوم في الديانتين المسيحية والاسلامية من نسل يهودي ورسله أو حواريه هم يهود، ولم يرد في الأناجيل أو التقليد المسيحي أن السيد (١) وقد يكون المقصود بالهادئة أن المياه التي كانت فيها كانت كلها مياه آبار، وهي مياه هادئة لا تتحرك عكس الينابيع والأنهار.

المسيح قد جاء أو وصل أو أقام أو مر من مدينة مادبا، ولو وصل أو أقام في هذه المدينة حينها وحدث فيها ما يسمى بالمائدة لكانت مادبا افتخرت بهذا المرور وروجنا له دينيًا وسياحيًا، دون أن نخفي ذلك. لكن لم يرد ذكر موقع حادثة المائدة لا في القرآن الكريم ولا في التفسير الإسلامي، بل جاء التفسير يشرح عن المائدة بأنها من السمك والأرغفة بالتالي هي تشبه كثيرًا النص الانجيلي فيما يسمى بمعجزة تكثير الخبز والسمك.

و يستعيد القديس يوحنا هذه الرواية في انجيله حيث تلي معجزة شفاء مريض يوم سبت فيقول: ١ وعبرَ يسوعُ بعدَ ذلكَ بحرَ الجليلِ (أي بُحيرةَ طبريةَ). ٢ فَتَبِعَهُ جَمْعٌ كَثِيرٌ، لَمَّا رَأَوْا مِنَ الْآيَاتِ الَّتِي أَجْرَاهَا عَلَى الْمَرْضَى. ٣ فَصَعِدَ يَسُوعُ الْجَبَلَ وَجَلَسَ مَعَ تَلَامِيذِهِ. ٤ وَكَانَ قَدْ اقْتَرَبَ الْفِصْحُ، عِيدُ الْيَهُودِ. ٥ فَرَفَعَ يَسُوعُ عَيْنَيْهِ، فَرَأَى جَمْعًا كَثِيرًا مُقْبِلًا إِلَيْهِ. فَقَالَ لِفِيلِبُّسَ: ((مِنْ أَيْنَ نَشْتَرِي خُبْزًا لِيَأْكُلَ هَؤُلَاءِ ٦ وَإِنَّمَا قَالَ هَذَا لِيَمْتَحِنَهُ، لِأَنَّهُ كَانَ يَعْلَمُ مَا سَيَصْنَعُ. ٧ أَجَابَهُ فِيلِبُّسُ: ((لَوْ اشْتَرَيْنَا خُبْزًا بِمِائَتِي دِينَارٍ، لَمَا كَفَى أَنْ يَحْصُلَ الْوَاحِدُ مِنْهُمْ عَلَى كِسْرَةٍ صَغِيرَةٍ)). ٨ وَقَالَ لَهُ أَحَدُ تَلَامِيذِهِ، أَنْدَرَاوُسَ أَخُو سَمْعَانَ بُطْرُسَ: ٩ هَهُنَا صَبِيٌّ مَعَهُ خَمْسَةُ أَرْغِفَةٍ مِنْ شَعِيرٍ وَسَمَكْتَانِ، وَلَكِنْ مَا هَذَا لِمِثْلِ هَذَا الْعَدَدِ الْكَبِيرِ؟ ١٠ فَقَالَ يَسُوعُ: ((أَقْعِدُوا النَّاسَ)). وَكَانَ هُنَاكَ عُشْبٌ كَثِيرٌ. فَقَعَدَ الرَّجَالُ وَكَانَ عَدْدُهُمْ نَحْوَ خَمْسَةِ آلَافٍ. ١١ فَأَخَذَ يَسُوعُ الْأَرْغِفَةَ وَشَكَرَ، ثُمَّ وَزَعَ مِنْهَا عَلَى الْآكِلِينَ، وَفَعَلَ مِثْلَ ذَلِكَ بِالسَّمَكَيْنِ، عَلَى قَدْرِ مَا أَرَادُوا. ١٢ فَلَمَّا شَبِعُوا قَالَ لِتَلَامِيذِهِ: ((اجْمَعُوا مَا فَضَلَ مِنَ الْكِسْرِ لِكَلَّا يُضَيِّعَ شَيْءٌ مِنْهَا)). ١٣ فَجَمَعُوها وَمَلَأُوا اثْنَتَيْ عَشْرَةَ قُفَّةً مِنَ الْكِسْرِ الَّتِي فَضَلَتْ عَنِ الْآكِلِينَ مِنْ خَمْسَةِ أَرْغِفَةِ الشَّعِيرِ. ١٤ فَلَمَّا رَأَى النَّاسُ الْآيَةَ الَّتِي أَتَى بِهَا يَسُوعُ، قَالُوا: ((حَقًّا، هَذَا هُوَ النَّبِيُّ الْآتِي إِلَى الْعَالَمِ)). ١٥ وَعَلِمَ يَسُوعُ أَنَّهُمْ يَهْمُونَ بِاخْتِطَافِهِ لِيُقِيمُوهُ مَلِكًا، فَانْصَرَفَ وَعَادَ وَحْدَهُ إِلَى الْجَبَلِ. (١٥: ١-١٥). وتشير هذه الرواية إلى موقع مجاور لبحيرة طبرية. وهذا الموقع هو بحسب التقليد قرية الطابغة، التي تقع على الشاطئ الشمالي الغربي لبحيرة طبريا، على مسافة ٤ كم جنوب شرق كفرناحوم. وقد زارت هذا الموقع الحاجة إيجاريا المشهورة في عام ٣٨٣، وذكرت، وكتبت في وصفه: «في مكان ليس بعيدا عن كفرناحوم، مقابل بحر

الجليل، أرض مروية جيدا تنمو فيها الحشائش وكثير من الأشجار والنخيل. وتقع في هذا المكان الينابيع السبعة الوفيرة المياه. في هذا البستان المثمر أطعم يسوع خمسة الاف شخص مع خمسة أرغفة خبز وسمكتين».

تضحية الكرك

ذكر الكتاب المقدس أن الملك الموابي ميشع ضحى بابنه لكموش على سور مدينته عندما واجه موقفا صعبا في الحرب «فَأَخَذَ ابْنُهُ الْبَكْرَ الَّذِي كَانَ مَلِكًا عِوَضًا عَنْهُ، وَأَضَعَهُ مُحْرَقَةً عَلَى السُّورِ. فَكَانَ غَيْظٌ عَظِيمٌ عَلَى إِسْرَائِيلَ. فَانْصَرَفُوا عَنْهُ وَرَجَعُوا إِلَى أَرْضِهِمْ.» (مل ٣: ٢٧)، وبعد ذلك كافأ كموش ميشع على الفور بتدمير مملكة إسرائيل. ولم يتم إثبات هذا الحدث في أي نقش موابي حتى الآن. أعلن النبي اليهودي إرميا في القرن السادس قبل الميلاد لاحقا أنه سيتم نفي كموش وكهنته وأمرائه.

مسلة ميشع



وتعتبر مسلة ميشع أهم توثيق مكتوب وصل إلينا؛ إذ تزودنا بمعلومات دقيقة وهامة، توثق للمؤايين وديانتهم، وعقيدتهم ومملكتهم ومدنهم وصراعهم مع اليهود. ما لا يعلمه العامة

أن ما ورد في مسلة ميشع كان يعتبر تصديقاً وتأكيداً على صحة السردية الكتابية، لذا فالعامّة ترى هذا الحجر حقاً أردنيّاً يجب أن يعود للأردن، بينما يراه الكثير من الآثاريين والمؤرخين -وبالأخص منهم أولئك الذين لا يريدون للأبحاث الكتابية أن يكون لها دور في التوثيق الأثري والتاريخي- حجراً عليه الكثير من الاستفهامات سنناقشها لاحقاً.

ويتكون النص المكتوب على المسلة من ٣٤ سطراً، ويُخَلد انتصار الملك ميشع، وانتصاره على ملك إسرائيل، كما توثق المسلة عمليات الاعمار والمباني التي أقامها ميشع.

ولقصة اكتشاف هذه مسلة سردية كالتالي: اكتشفت المسلة عام ١٨٦٨م في ذيبان من قبل أهل القرية، ووصل خبر الاكتشاف إلى المستشرق الفرنسي كليرمون جانو Clermont Ganneau الذي كان مُلحقاً في القنصلية الفرنسية في القدس. وبعد أن عاين المسلة، اتفق مع أهل القرية على أن يشتريها منهم بستين جنيهًا ذهبيًا، وعاد إلى القدس ليحضر المبلغ بعد أن نقل الكتابة المنقوشة عليها، وبعد مغادرته المكان تشاجر من وجدوا المسلة حول اقتسام النقود المرتقبة، وعمد بعضهم إلى إشعال النار حولها، وبعد أن اشتدت حرارتها، صبوا الماء عليها فتفسخت وتناثرت أجزاؤها، وضاع بعض هذه الأجزاء نهائيًا. وعندما رجع المستشرق، جمع جانو كليرمون ما وجده منها وهي قطعتين كبيرتين و١٨ شظية صغيرة تتضمن ٦١٣ حرفاً من ما يقارب ١٠٠٠ حرف هي حروف النقش الأصلي. ثم حصل على ١٨ شظية من صندوق استكشاف فلسطين البريطاني، فأصبح يملك ثلثي النص وحملها معه إلى القدس ومن ثم إلى فرنسا حيث أعيد تجييرها وعرضها في متحف اللوفر في باريس.

وهذا هو معظم النقش الذي وجد على الحجر بعد ترميمه:

- 1 אֲנִי מִשְׁעָן בֶּן כְּמוֹשׁ מֶלֶךְ מְדִינַת אֲבִי
- 2 מֶלֶךְ עַל מְדִינַת אֲבִי מִלְכָּת אֲבִי וְאֲנִשְׂתִּי אֶהְרָמָה לְכְמוֹשׁ וְלִקְדֵּי בְנֵי
- 3 [מ. ת. 7] אֲנִי מִשְׁעָן בֶּן כְּמוֹשׁ מֶלֶךְ מְדִינַת אֲבִי מִלְכָּת אֲבִי וְאֲנִשְׂתִּי אֶהְרָמָה לְכְמוֹשׁ
- 4 אֲנִי מִשְׁעָן בֶּן כְּמוֹשׁ מֶלֶךְ מְדִינַת אֲבִי מִלְכָּת אֲבִי וְאֲנִשְׂתִּי אֶהְרָמָה לְכְמוֹשׁ
- 5 אֲנִי מִשְׁעָן בֶּן כְּמוֹשׁ מֶלֶךְ מְדִינַת אֲבִי מִלְכָּת אֲבִי וְאֲנִשְׂתִּי אֶהְרָמָה לְכְמוֹשׁ
- 6 אֲנִי מִשְׁעָן בֶּן כְּמוֹשׁ מֶלֶךְ מְדִינַת אֲבִי מִלְכָּת אֲבִי וְאֲנִשְׂתִּי אֶהְרָמָה לְכְמוֹשׁ
- 7 [א. 7] אֲנִי מִשְׁעָן בֶּן כְּמוֹשׁ מֶלֶךְ מְדִינַת אֲבִי מִלְכָּת אֲבִי וְאֲנִשְׂתִּי אֶהְרָמָה לְכְמוֹשׁ
- 8 אֲנִי מִשְׁעָן בֶּן כְּמוֹשׁ מֶלֶךְ מְדִינַת אֲבִי מִלְכָּת אֲבִי וְאֲנִשְׂתִּי אֶהְרָמָה לְכְמוֹשׁ

أما ترجمة النص الوارد في نقش ميشع: «أنا ميشع بن كموش ملك مواب الديباني، أبي ملك على مواب ثلاثين سنة، وأنا ملكت بعد أبي، وأنشأت أهراماً، لكموش، ولقد بنيت ذلك لأن كموش أعانني على قهر كل الملوك، ولأنه أشمتني بكل أعدائي المبغضين، أما عمري ملك إسرائيل، فقد اضطهد مواب طويلاً، ذلك لأن كموش أضحى مكروهاً بأرضه، وخلف عمري ابنة فقال هو الآخر سأضطهد مواب أجل، لقد قال شيئاً كهذا الكلام، ولكن كموش جعلني أراه مهزوماً من أمامي، هو وإلهه، وبادت إسرائيل، بادت إلى الأبد. وكان عمري قد ورث أرض مادبا، فأقام بها مدة حكمه، كما أقام بها الإسرائيليون من بعده، مدة تبلغ نصف حكم أبناء عمري فمجموع ما أقاموه بلغ أربعين سنة، وقال لي كموش اذهب وخذ نبو من إسرائيل فذهبت في نفس الليلة واشتبكت بالمدينة من وقت تبين الخيط الأبيض من الأسود حتى الظهر، وافتحتها، وذبحت كل سكانها، وعددهم سبعة آلاف، رجالاً وصبياناً ونساءً، وبنات وإماء.. كما أنني أخذت من هنالك مواقد يهوه وسحبته جميعاً حتى وضعتها بين يدي كموش».

رأي في مسألة ميشع:

أظهرت وثائق في القنصلية الألمانية في القدس ملف خاص بمكاتبات واتفاقيات تلك القنصلية للحصول على نقش ميشع، وترد عن هذه الوثائق سردية أخرى للمسلة، تقول أن قسيساً ألمانيا يدعى كلاين وخلال رحلته في سنة ١٨٦٨م في البلقاء، نزل ضيفاً على قبيلة بني حميدة بالقرب من بلدة ذيبان، وهناك علم أن حَجْراً يحمل نقوشاً، موجود في تلك البلدة،

الأمر الذي أثار فضوله، فذهب لرؤيته، فوجد أمامه حجرًا بازلتيًا طوله متر واحد و١٣ سم، وعرضه ٧٠ سم، وسمكه ٣٥ سم وعليه كتابة مكونة من ٣٤ سطرًا. وبما أنه ليس خبيرًا بالدراسات الشرقية القديمة فإنه اكتفى بأخذ قياسات للحجر، وأحصى سطوره، ونسخ بعض كلماته عشوائيًا، ولمّا عاد إلى القدس أخبر قنصل ألمانيا الشمالية (بروسيا) بالأمر. ولما كان القنصل خبيرًا باللغات الشرقية قد كتب إلى متحف برلين سائلًا إن كان يهمهم أمر شراء الحجر، فجاءته الموافقة، وعندئذ طلب من أصدقائه الذين كانوا يعرفون بموضوع الحجر كتمان الأمر، إلا أن أحدهم أفشى بالسر إلى شخص في الإرسالية اليهودية يُدعى الدكتور باركلي، وهذا قام بإبلاغ المستشرق الفرنسيّ جانو كليرمون الذي دخل على خط الحصول على الحجر. فاضطر القنصل الألماني إلى اللجوء إلى الباب العالي للحصول على الحجر ثم لجأ إلى مقدسي اسمه سابا قعوار للمساعدة في الحصول على المسلة، فنجح قعوار في إقناع صاحب الأرض في ذبيان ببيع الحجر، وتعهد قعوار بإحضار الحجر إلى القدس نظرًا لصعوبة نقل الحجر عبر أراضي عشائر أخرى، لكن حدث خلاف بينه وبين أهل القرية حول المبلغ، ودخل كليرمون على الخط، وعرض مبلغًا أكبر، فحدث خلاف بين أهل القرية الذين شكوا بموضوع الحجر واعتقدوا أن في الحجر كنزًا مخبوءًا، أو أن له قيمة سحرية حين رأوا صراع الأوروبيين وجهودهم المحمومة للحصول عليه، فعرضوه لحرارة عالية ثم سكبوا عليه الماء فتعرض للتفسخ، ولمنع الخلاف بين أهل القرية فقد توزعت الشظايا بين الخيام.

كل ما حدث طرح سؤالاً عن قيمة الحجر، وهل الحجر مزيف؟

انقسم الباحثون وعلماء الآثار والتاريخ في الإجابة عن هذا السؤال إلى فريقين الأول يرى أن النقش أصلي ويحكي قصة احتلال ملك مؤاب ميشع لمدن في مملكة إسرائيل، والنص مكتوب باللغة الكنعانية المؤابية، أما الفريق الثاني فيرى أن النقش مزور لأنه اكتشف بطريقة غير علمية، وليس عبر حفرة أثرية علمية^(١)، ولأن يهوه لم يكن إلها في مملكة إسرائيل إلا

(١) لم يكن علم الآثار في تلك الفترة متقدمًا ورصينًا كما هو حاليًا.

في القرن الخامس قبل الميلاد، أيد هذا الفريق زكريا محمد^(١)، وبروفيسور اسرئيلي من الجامعة العبرية، وبنيت إدعاءات التزوير على عدة نقاط، أهمها تدخل رجل يدعى سليم القاري، من الحي المسيحي في القدس في محاولات الاطلاع على النقش، وهو شخص معروفًا على نطاق واسع باعتباره مزورًا بارعًا للآثار، بائعًا لتحف مزيفة للسياح والحجاج على أنها قطعًا أصلية، وإرسال سليم شخصًا لعمل نسخة ورقية مضغوطة للنقش، واثناء قيام هذا الشخص بعمله في ذيبان، أصيب بجرح رمح في يده بسبب خلافات مع أهل القرية، فهرب منهم، علمًا أنه بعد ترميم الحجر تم استخدام الورق المضغوط والحروف المنطبعة التي عملها ذلك الشخص في إكمال النص في أثناء ترميمه. كما تم التشكيك في لغة النقش، حيث أن محتوى النقش استثنائي تمامًا إذا ما قورن بكتابات ونقوش جنوب بلاد الشام، والتي تتميز بأنها نصوص قصيرة مجزأة ذات طبيعة شخصية أو تجارية أو إدارية فقط، أما نص حجر ميشع فهو نقش ملكي طويل ومتناسك وقيل أنها لغة كنعانية مؤابية. أما السبب الآخر الذي جعل الحجر موضع شك فهو أنه نقش مؤيد للرواية الكتابية، وبشكل عام، ينظر المسلم للكتاب المقدس نظرة الكتاب المزور، بينما يرى علماء وباحثون أقرب للعلمانية منها للتدين ينظرون بعين الريبة لروايات الكتاب المقدس ويعتبرون ما ورد في العهد القديم أساطير لا أكثر.

سؤال مهم: هل زار السيد المسيح الأردن؟

يجيب عن هذا السؤال المطران سليم الصائغ في كتابه الآثار المسيحية في الأردن نقتبس منها بعض ما قاله: «حقيقة تاريخية لا مجال للريب فيها وهي أن السيد المسيح أقام في ربوعنا، فباركها وبارك أهلها الذين كانوا يتوافدون إليه كلما أقام عندهم أو مرّ بهم، كما كانوا يقصدونه في الأماكن المجاورة، ليستمعوا إليه، كما ورد في انجيل مرقس ٧/٨-٨ (انصرف يسوع الى البحر ومعه تلاميذه، فتبعه حشد كبير من الجليل، واليهودية، وأورشليم وأدوم، وعبر الاردن ونواحي صور وصيدا). وإذا ما عدنا إلى خريطة فلسطين والأردن، زمن السيد

(١) داود محمود عيد محمود شقير، كاتب وباحث وشاعر فلسطيني حاصل على شهادة في الأدب العربي وألف عدد من الكتب حول الديانات القديمة.

المسيح، يتضح لنا أن (عبر الأردن) منطقة تضم الأغوار الواقعة شرقي نهر الأردن من جنوب طبقة فحل (بيلا) وحتى البحر الميت، ومنطقة مادبا حتى الموجب، ومصبه في البحر الميت، ومنطقة السلط ووادي الزرقاء (جابوق) والجبال المحيطة به، قبل أن ينساب في الغور ويصب في نهر الأردن، وما تبقى من أراضي الأردن الحالية، باستثناء الصحراء الممتدة شرقاً وجنوباً، وباستثناء جنوب الأردن، فقد ضمّها حلف المدن العشر. وكان معظم هذه المدن في الأردن الحالي. وحادثة طرد الشياطين وغرق الخنازير (مت ٨: ٢٨) وقعت بالقرب من مدينة جدارا «أم قيس» في شمال الأردن، وهي إحدى المدن العشر... ويتابع الإنجيلي (يوحنا) قائلاً: وكان يوحنا (المعمدان)^(١) في الغد أيضاً قائماً هناك، أي في بيت عنيا عبر الأردن، ومعه اثنان من تلاميذه. فحدق إلى يسوع وهو سائر وقال: هوذا حمل الله. فسمع التلميذان كلامه فأدركا على الفور فحوى تلك العبارة، فتبع يسوع من غير تردد. فلما رآهما يسوع يتبعانه، قال لهما: ماذا تريدان؟ فأجابا بإحدى تلك العبارات المرتبكة التي كثيراً ما تكتشف من خلالها أصفى العواطف رابي «أي معلم» أين تقيم؟ فقال لهما: هلما فانظرا. ويضيف النص أنهما ذهبا ونظرا أين يقيم. وربما كان يقيم في إحدى المغر وأنهما مكثا عنده ذلك اليوم (يو ١: ٣٥-٣٩)....».

بالتالي لا بد أن نؤكد أن المسيح وصل الأردن عدة مرات وأنه خلال جولاته بين الشمال والجنوب كان يعبر نهر الأردن نحو الشرق ويقيم في الأراضي الأردنية ساعات وأيام وأسابيع أو أكثر، وكان يقيم في مغر على الأغلب وبالتالي هذا قد يفسر وجود أسماء لمغر باسم المسيح أو يعتقد أن المسيح قد مر فيها منها كهف المسيح في بيت إيدس وكهف المسيح في عراق الأمير، إلا أن التأكيد بأن المسيح قد أقام في هذه المغر غير مؤكد أثرياً أو تاريخياً بالتالي لا يمكن الاعتماد على معلومات لا مصادر أو مراجع مؤكدة عليها.

ولا ننسى رواية مهمة وردت في إنجيل متى عن زيارة السيد المسيح لأم قيس فيقول: ٢٨ وَلَمَّا جَاءَ إِلَى الْعَبْرِ إِلَى كُورَةِ الْجَرْجَسِيِّينَ، اسْتَقْبَلَهُ مَجْنُونَانِ خَارِجَانِ مِنَ الْقُبُورِ هَائِبَانِ

(١) يجب التفريق بين يوحنا الإنجيلي وهو أحد الرسل (الحواريين) وبين يوحنا المعمدان (يحيى بن زكريا).

جَدًّا، حَتَّى لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ يَقْدِرُ أَنْ يَجْتَازَ مِنْ تِلْكَ الطَّرِيقِ. ٢٩ وَإِذَا هُمَا قَدْ صَرَخَا قَائِلَيْنِ: «مَا لَنَا
وَلَكَ يَا يَسُوعُ ابْنَ اللَّهِ؟ أَجِئْتَ إِلَى هُنَا قَبْلَ الْوَقْتِ لَتُعَذِّبَنَا؟» ٣٠ وَكَانَ بَعِيدًا مِنْهُمْ قَطِيعُ خَنَازِيرَ
كَثِيرَةٍ تَرَعَى. ٣١ فَالشَّيَاطِينُ طَلَبُوا إِلَيْهِ قَائِلِينَ: «إِنْ كُنْتَ تُخْرِجُنَا، فَأَذِّنْ لَنَا أَنْ نَذْهَبَ إِلَى قَطِيعِ
الْخَنَازِيرِ». ٣٢ فَقَالَ لَهُمْ: «امْضُوا». فَخَرَجُوا وَمَضُوا إِلَى قَطِيعِ الْخَنَازِيرِ، وَإِذَا قَطِيعُ الْخَنَازِيرِ
كُلُّهُ قَدْ أُنْذِفَ مِنْ عَلَى الْجُرْفِ إِلَى الْبَحْرِ، وَمَاتَ فِي الْمَيَاهِ. ٣٣ أَمَّا الرُّعَاةُ فَهَرَبُوا وَمَضُوا إِلَى
الْمَدِينَةِ، وَأَخْبَرُوا عَنْ كُلِّ شَيْءٍ، وَعَنْ أَمْرِ الْمَجْنُونَيْنِ. ٣٤ فَإِذَا كُلُّ الْمَدِينَةِ قَدْ خَرَجَتْ لِمُلَاقَاةِ
يَسُوعَ. وَلَمَّا أَبْصَرُوهُ طَلَبُوا أَنْ يَنْصَرِفَ عَنْ تُخُومِهِمْ» (متى ٨: ٢٨-٣٤) وكورة الجرجسيين
هذه هي منطقة أم قيس ككل الممتدة من المدينة حتى البحر (بحيرة طبريا).

مواقع مسيحية أخرى

تترخر الأردن بعدد لا بأس به من الكنائس والأديرة لمعظم الطوائف المسيحية الرئيسية،
ولعل أكثر الكنائس الأرثوذكسية وهي كنائس شرقية تحمل اسم القديس جاورجيوس،
والذي يطلق عليه أيضاً اسم القديس جرجس أو مار جرجس والذي يعتقد أنه عاش في
الفترة بين ٢٨٠ - ٣٠٣ م. ويعتقد أنه من أصل يوناني وبعض المصادر تقول أنه ولد في اللد
بفلسطين لأبوين مسيحيين وفي تلك المدينة قبر يُنسب إليه في كنيسة أورثوذكسية جرى
تحويل جزء منها لجامع في الفترة العثمانية، ويسمى أيضاً بالقديس جورج وهذا اسمه في
الغرب، وجرجة في بعض المصادر العربية، والخضر لدى المسيحيين في منطقة الأردن
وفلسطين. ووفقاً للتقاليد المسيحية فقد كان هذا القديس جندياً أو قائداً في الجيش الروماني
وله أهميته في الحرس الإمبراطوري للإمبراطور الروماني دقلديانوس، ويعتقد أنه أعلن عن
إيمانه المسيحي وأصبح مدافعاً عن المسيحية والمسيحيين، فُحُكِمَ عليه بالإعدام، ومات
شهيداً. وعادة ما تخلده الكنائس بأيقونة أو لوحة يظهر فيها القديس ممطياً صهوة حصانه
وهو يطعن تينياً بحربة، وأحياناً يظهر في هذه الأيقونة من بعيد بناء صغير وفتاة.

من أشهر الكنائس في الأردن التي تحمل اسم هذا الشهيد، من هذه الكنائس مزار الخضر في السلط، وهو مزار يتبع الكنيسة الرومية الأرثوذكسية اليونانية، وهو الموقع الديني المسيحي الأكثر زيارة في السلط. وتقع الكنيسة في نهاية الشارع المعروف بشارع الخضر.

بنيت الكنيسة أساساً في كهف قديم في عام ١٦٨٢، حيث يعتقد الناس أن العديد من المعجزات قد حدثت هناك، وفي العام ٢٠٠٨، يعتقد أن بصمة قدم القديس جورج ظهرت بينما كان يهيم بنفسه ليصعد على صهوة حصانه. ومن الجدير بالذكر أن المسلمين يمكنهم دخول الكنيسة حيث يمتلكون جزءاً من الكنيسة يمارسون الصلاة فيها.

كما توجد كنيسة صغيرة أرثوذكسية قديمة في الكرك تحمل اسم كنيسة الخضر. ويوجد في ماحص مقام للخضر لكن لم تقام كنيسة على هذا المقام لأسباب لا أرى داعٍ لكتابتها هنا. يُشار إلى أن كنيسة خارطة الفسيفساء في مادبا تحمل القديس جاورجيوس أيضاً.

كما أن لقب الخضر يعود إلى أن رسامي لوحات القديس جاورجيوس أو مصممي الأيقونات جعلوا اللون الأخضر يغلب فيها على لباس هذا القديس، وبالتالي يُلقب عند مسيحيو الأردن وفلسطين بالخضر الأخضر.

أما الخضر إسلامياً فهو شخص مختلف تماماً، فالخضر شخص ورد ذكره في سورة الكهف كعالم دون ذكر اسمه صراحة ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا ٦٥﴾ الكهف: ٦٥ وتبعه موسى عند مجمع البحرين ﴿قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَ مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا ٦٦﴾ الكهف: ٦٦ ويوجد اختلاف حول اعتباره نبي أو ولي صالح، لكن يُلحق المسلمون عبارة عليه السلام عند ورود اسمه.

مواقع إسلامية أخرى

من المؤكد أن الرسول قد زار العديد من الأماكن والمناطق في الأردن ولعدة أسباب، ومنها زيارات قبل البعثة.

فكما ذكرنا سابقاً أنه زار ميفعة أثناء رحلته وهو صبي مع عمه أبو طالب، ولا بد أنه مر من هناك عدة مرات في طريق تجارته من الأردن عندما تاجر مع الشام، فقد عرضت السيدة خديجة على الرسول قبل البعثة أن يخرج في مال لها إلى الشام تاجرًا، وتعطيه أفضل مما كانت تعطي غيره من التجار، وذلك مع غلام لها يقال له (ميسرة) فقبله الرسول منها، وخرج في مالها ذلك، وخرج معه ميسرة حتى قدم الشام، فنزل في ظل شجرة قريبًا من صومعة راهب من الرهبان؛ فسأل الراهب ميسرة من هذا الرجل الذي نزل تحت الشجرة؟ فقال له ميسرة هذا رجل من قريش من أهل الحرم، فقال له الراهب: ما نزل تحت هذه الشجرة قط إلا نبي، وقال أنظروا إلى فيء الشجرة مال عليه. واتفق المؤرخون على أن الشجرة تقع في الصفاري في الباقوعية (البقيعاوية) - التي سنورد عنها بالتفصيل لاحقًا - تحديدًا حيث دلت المظاهر وبعض الآثار إلى أنه الطريق الصحراوي القديم للقوافل التجارية الذي يربط الحجاز بالشام. ولكن المنطق يقول أن الرسول استظل تحت أكثر من شجرة، وأن أي منها قد تكون الشجرة التي ورد ذكرها في تلك الرواية. ويقال أن من المناطق المؤكدة التي زارها الرسول كل من أيلة (العقبة) وأذرح والجرباء ويقال أن الأخيرتين فتحتا في حياة الرسول صلحًا. ويقال أن الرسول وصل جرش مرتين. والأغلب أن الرسول كان يمر أثناء زيارته للشام بمعظم المدن الأردنية العامرة في تلك الفترة أقلها للتزود بالماء والغذاء حال كل قافلة تمر من هناك.

وقد ورد ذكر الأردن في السيرة النبوية أقلها مرتين:

١- فقد ثبت عن النبي أنه قال: حوضي من عدن إلى عمان البلقاء، ماؤه أشد بياضًا من اللبن، وأحلى من العسل، وأكاوبه عدد نجوم السماء، من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبدًا، أول الناس وروداً فقراء المهاجرين، الشعث رؤوساً الدنس ثياباً، الذين لا ينكحون المتنعمات، ولا يفتح لهم السدد. رواه أحمد والترمذي وابن ماجه وصححه الألباني.

٢- قال محمد بن إسحاق: حدثني يزيد بن زياد، عن محمد بن كعب قال: قال أبو جهل وهم جلوس: إن محمدا يزعم أنكم إن تابعتموه كنتم ملوكا، فإذا متم بعثتم بعد موتكم، وكانت لكم جنان خير من جنان الأردن.

الشجرة البقعاوية

تسمى هذه الشجرة بالشجرة المباركة أو شجرة البقعاوية، ويقال بأن الرسول استظل بها، في رحلته إلى الشام، ولقائه بالراهب بحيرا الذي بشر بنوته قبل البعثة بسنين عديدة، تقع في منطقة الصفاوي، يقدر عمرها بحوالي ١٥٠٠ عام، وهي شجرة بطم، وتعتبر من المواقع الدينية والتاريخية في الأردن، إذ يتبع الموقع لوزارة الأوقاف والشؤون والمقدسات الإسلامية. وفتح فيها مركز للزوار. يعتقد البعض أن عمر الشجرة أكثر من ١٤٥٠ سنة، بينما أشارت دراسات حديثة بأن عمر الشجرة لا يتجاوز ٦٠٠ عام. وتتوسط الشجرة بلدة البقعاوية الواقعة في الشمال الشرقي من الأردن بين الأزرق والصفاوي، مبتعدة عن العاصمة عمان ١٥٠ كم وعن مدينة المفرق ٩٠ كم. ومنطقة البقعاوية بحسب بعض المصادر شهدت استيطاناً بشرياً منذ العصور الحجرية الحديثة وحتى البرونزية والحديدية، مروراً بالفترات النبطية والرومانية والبيزنطية، وانتهاءً بالإسلامية، وذلك لوقوعها على طريق القوافل المتجهه إلى بصرى الشام ولكونها تتوسط الحدود السورية السعودية العراقية، مما يدل على حيوية المنطقة منذ عصور قديمة. وبحسب باحثين، فإن هنالك دلائل تشير إلى أن رحلة النبي محمد قبل بعثته كانت إلى أطراف الشام، وكانت محطاتها كثيرة، أهمها اثنتان، أولاهما منطقة أم الرصاص إلى الجنوب الشرقي من العاصمة الأردنية عمان، والثانية شجرة البقعاوية والتي كانت القوافل تتخذ منها محطة على الطريق، وعلى العكس من ذلك فقد أشار بعض الباحثين بعدم وجود أي طريق تجاري أو طريق حج يمر بقاع البقعاوية، والله أعلم.

أضرحة الصحابة في الأردن

فيما يلي قائمة بأضرحة الصحابة في الأردن:

- ١- ضريح أبي عبيدة عامر بن الجراح ويقع في بلدة دير علا في منطقة الأغوار الوسطى، شمال غرب الأردن، وهو عبارة عن مسجد حديث كان قد بُني مكان قبة كان قد بناها الظاهر بيبرس.

٢- ضريح الحارث بن عمير الأزدي ويقع في لواء بصيرا جنوب مدينة الطفيلة في الأردن، على الطريق الرئيسي باتجاه محمية ضانا والبتراء، وهو عبارة عن بناء حديث مع مسجد يوجد في داخله قبر الصحابي الحارث بن عمير الأزدي رسول النبي محمد إلى أمير بُصرى الشام حيث اعترضه في طريقه شرحبيل بن عمرو الغساني وقتله، مما أدى ذلك لوقوع غزوة مؤتة.

٣- ضريح جعفر بن أبي طالب ويقع في بلدة المزار الجنوبي في محافظة الكرك، وهو عبارة عن مسجد كبير بُني حديثاً، وفي داخله ضريح يُنسب للصحابي جعفر بن أبي طالب القائد الثاني في معركة مؤتة. تم إعادة إعمار الضريح عام ١٩٩٧ ليضم معه ضريح زيد بن حارثة، وجرى الربط بينهم بأروقة. وقد تم العثور على نقوش تدلّ على اعتناء الأيوبيين والمماليك بهذا الضريح.

٤- ضريح شرحبيل بن حسنة ويقع في بلدة المشارع قرب وادي اليابس على بعد ٥٨ كم من مدينة إربد، شمال غرب الأردن، وهو عبارة عن مسجد حديث وفيه ضريح يُنسب للصحابي شرحبيل بن حسنة والموجود في غرفة على يسار المدخل إلى المسجد وعليه كسوة من المخمل الأخضر.

٥- ضريح زيد بن حارثة ويقع في بلدة المزار الجنوبي في محافظة الكرك، وهو عبارة عن بناء حديث يعلوه قبة حجرية في داخله ضريح يُنسب للصحابي زيد بن حارثة القائد الأول في معركة مؤتة. تم إعادة إعمار الضريح عام ١٩٩٧ ليصبح ضمن مسجد جعفر الطيار في الناحية الشرقية محاذياً للبوابة الشرقية للمسجد والذي يضم أيضاً ضريح جعفر بن أبي طالب، وجرى الربط بينهم بأروقة.

٦- ضريح عامر بن أبي وقاص ويقع في بلدة وقاص بالقرب من منطقة المشارع في الأغوار الشمالية، شمال غرب الأردن، وهو عبارة عن مسجد في داخله ضريح يُنسب للصحابي عامر بن أبي وقاص الذي شارك في فتوح الشام، والذي تُوفي في معركة اليرموك بعد إصابته بطاعون عمواس.

٧- ضريح ضرار بن الأزور ويقع في بلدة دير علا في منطقة الأغوار الوسطى، شمال غرب الأردن، وهو عبارة عن مسجد حديث، وساحة واسعة، وحديقة تزيّنها الأشجار المعمّرة وأشجار الزيتون والنخيل، وضريح يُنسب للصّحابي ضرار بن الأزور.

٨- ضريح عبدالله بن رواحة ويقع في بلدة المزار الجنوبي في محافظة الكرك، وهو عبارة عن بناء حديث في داخله ضريح يُنسب للصّحابي عبد الله بن رواحة القائد الثالث في معركة مؤتة. تم إعادة إعمار الضريح عام ١٩٩٧، ويبعد هذا الضريح مسافة ٣٠٠م عن ضريحي الصّحابين جعفر بن أبي طالب وزيد بن حارثة.

٩- ضريح فرزة بن عمرو الجذامي ويقع قرب مدينة الطفيلة جنوب الأردن، في منطقة تُشرف على حمامات عفرا من الجهة الشرقية على بعد ٢٧ كم تقريباً من الطفيلة، وهو عبارة عن ضريح حجري يُنسب لفروة بن عمرو الجذامي الذي كان حاكماً على مدينة معان في عهد الروم، والذين قتلوه وصلبوه عند حمامات عفرا بعد أن أشهر إسلامه.

١٠- ضريح معاذ بن جبل ويقع ضمن حدود بلدية معاذ بن جبل في منطقة الشونة الشمالية في الأغوار الشمالية، شمال غرب الأردن، وهو عبارة عن بناء تعلوه خمس قباب يعود إلى العهد العثماني، وفي داخله يوجد ضريح يُنسب للصّحابي معاذ بن جبل وضريح آخر لولده عبد الرحمن بن معاذ بن جبل.

١١- مقام أبي الدرداء ويقع في بلدة سوم على بعد ١٥ كم من مدينة إربد، وهو عبارة عن بناء قديم صغير في داخله ضريح يُنسب إلى الصّحابي أبو الدرداء، إلا أنّ كتب التاريخ تذكر أنّ وفاته كانت في دمشق وله مقام هناك معلوم، وهذا المقام ليس فيه ضريح.

١٢- مقام أبي ذر الغفاري ويقع في قرية الشقيق غرب ذيبان في محافظة مادبا وسط الأردن، وهو عبارة عن مقام وليس ضريح، حيث كان مكان تعبّد الصّحابي أبي ذر الغفاري والذي أقام فيه عند عودته من الشام عدة سنوات ولم يُدفن فيه.

١٣- مقام جابر الأنصاري ويقع في مدينة الطفيلة جنوب الأردن، في منطقة البقيع، وهو عبارة عن غرفة صغيرة على تل جبل الأنصار، فيها ضريح يُنسب للصّحابي جابر الأنصاري، حيث سكن هذه المنطقة في فترة من الفترات.

١٤- مقام عبدالرحمن بن عوف ويقع في منطقة الجبيهة، شمال عمان. وهذا المقام ليس ضريحًا، بل مبنى يُشير إلى إقامته في هذه المنطقة، أو مروره منها، وهو في بلاد الشام، وبينما كانت وزارة الأوقاف تعمل على توسعة المقام كُشف في الأرض المجاورة على بقايا كاتدرائية ومرفقاتها، وما زال البحث الأثري مستمر حول المقام والآثار التي كُشفت حوله حتى تاريخ تدوين هذا الكتاب.

١٥- مقام عكرمة بن أبي جهل ويقع في محافظة عجلون، وهو عبارة عن كومة من الحجارة والأتربة حيث كان يشير إليه سكان المنطقة قديمًا بأنه مقام الصّحابيّ عكرمة بن أبي جهل، ويُرجح أنه لم يُدفن في هذا المكان، بل ربّما يكون قد أقام به أو مرّ منه.

١٦- مقام ميسرة بن مسروق العبسي ويقع في قرية ميسرة على بعد ١٠ كم من مدينة السلط، وهو عبارة عن ضريح بُني من حجارة وينسب إلى الصّحابي ميسرة بن مسروق العبسي.

١٧- مقام بلال بن رباح ويقع في قرية بلال في منطقة وادي السير، في عمّان، وهو عبارة عن بناء حديث في داخله ضريح ينسب إلى مؤذن الرسول بلال بن رباح، لكنه مقام لم يُدفن فيه.

آلهة وثنية أردنية، وآلهة الأقوام الأخرى:

لا بد أن نُشير هنا إلى بعض الآلهة التي عبدها سكان الأردن في قديم الزمان، فقد كان الأموريون يعبدون آلهة متعددة، أبرزها الإله أمورو أو مارتو، وهو إله الحرب والسهول والجبال، وزوجته الإلهة عشيرة أو شيرا أو أسيرا وهي عشروت أيضًا، كما عبدوا إله القمر سين، وإله المطر والعواصف حد وتأثروا بآلهة بلاد الرافدين.

أما العمونيون فكانوا يعبدون ملكوم وكان رئيس الآلهة عندهم بالإضافة لعبادتهم لمولك واللات وكموش. بينما عبد المؤابيين كموش وكان إله الحرب عندهم وزوجته الإلهة عشتّر - كموش، ويرد كموش في الكتاب المقدس، حيث دُعي مرة بإله العمونيين (وَمَلَكُومَ رَجَسِ الْعَمُونِيِّينَ (١ مل ١١: ٥) ثم كرب مؤاب أو رجس مؤاب. ووفقًا للتوراة، أدخل

الملك سليمان عبادات عشتروت وكموش وملككم في أورشليم لمحظياته، وقام الملك اليهودي اللاحق يوشيا فيما بعد بتدمير مرتفعات هذه الآلهة.

بينما عبد الأدوميين إلهاً اسمه قوس، كما عبدوا بعل وإيل وعشتار، وهناك دراسات متعددة بأن قوساً هذا كان اسماً آخر ليهوة. يشار إلى أن الاحتلال الروماني لمنطقتنا جلب آلهة رومانية للمدن التي بنيت أو أعيد بناءها في الفترة الرومانية، منها أفروديت حيث كشفت حفريات أثرية عن تمثال حجري يمثل إله الحب والجمال «أفروديت» عند الرومان في مدينة جرش، بينما عبد الأنباط كل من:

مناة أو مناتو أو منوات واسمها مشتق من (المنية) وهي بالتالي آلهة الحظ. كما عبد الأنباط العزى وهي آلهة الجمال والحب وهي نجمة الصباح، واللات وهي إلهة أنثى، وتظهر في قمة الهرم الإلهي وتمثل الشمس وهي أم الأرباب وهي آلهة الحرب وحامية القوافل، وعبدو أيضاً ذو الشرى وهو يقف على رأس الآلهة الذكورية ويمثل الإله القومي للأنباط ويعتقد أن اسمه على سلسلة جبال الشراه، كما عبدوا هبلو أو هبل وأصله (هبل) أي البعل وهو إله جذره كنعاني.

وقبلها عرفت هذه المنطقة بعبادة «شيع القوم» و«الكتبا» و«حدد أو هدد». كما أن أهل الأردن عبدوا هبل، فيقال: قال ابن هشام: حدثني بعض أهل العلم أن عمرو بن لحي خرج من مكة إلى الشام في بعض أموره فلما قدم مآب^(١) من أرض البلقاء وبها يومئذ العمالق - وهم ولد عملاق، ويقال عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح رآهم يعبدون الأصنام فقال لهم ما هذه الأصنام التي أراكم تعبدون، قالوا له هذه أصنام نعبدها، فنستمطرها فتمطرنا، ونستنصرها فتنصرنا، فقال لهم أفلا تعطونني منها صنما، فأسير به إلى أرض العرب فيعبدوه؟ فأعطوه صنماً يقال له هبل فقدم به مكة، فنصبه وأمر الناس بعبادته وتعظيمه.

أما الآلهة القومية للشعوب السامية القديمة فهي:

إنكي هو أحد أهم الآلهة في الأساطير السومرية، انتشرت عبادته في جميع أنحاء بلاد الرافدين، ثم إلى بلاد الحثيين. و«إنكي» و«إنليل» هما شخصيتان بارزتان في الأساطير

(١) مؤآب.

السومرية. «إنكي» هو إله الحكمة، والماء العذب، والحرف، والإبداع، وكان يُعرف أيضًا باسم «إيا» في الأساطير الأكادية والبابلية. أما «إنليل» فهو إله الرياح، والأرض، والجو، وكان يُعتبر زعيم الآلهة عند السومريين.

إيل، هو أعظم الآلهة لدى الديانات الكنعانية تقريبًا. بينما مردوخ هو الإله القومي للبابليين. أما آشور فهو الإله القومي الخاص بالاشوريين. وهو كبير آلهة الإمبراطورية الآشورية كان الإله الوصي على مدينة آشور ومنها اشتقت تسمية الدولة الآشورية، ويرمز للإله آشور بقرص الشمس المجنح الذي يحمل محاربًا ومع انتشار الإمبراطورية الآشورية انتشرت عبادة آشور وأثرت على ثقافات أخرى مثل الفينيقيين.

ألمقه هو الإله الخاص بالسبأيين، و يقر الكثير من علماء التاريخ بأن مكة سميت على إسمه بينما ود هو الإله الخاص بالمعينيّين.

آمون قومي فرعوني، لكنه ليس من آلهة الفراعنة الأسطورية القديمة مثل بتاح وحورس وحتحور وإمحوتب.. ولا يمت بصلة دم أو قرابة لأبيس و أنوبيس و أوزيريس أو حتى إيزيس .. وبكل تأكيد هو ليس من عائلة الإله آمون رع رمز الخصوبة والرياح في الميثولوجيا الفرعونية حتى وإن تشابهت الأسماء

معلومات عامة

المدن الممالك أو الدولة المدينة :

إن المدن لم تظهر بصورة سريعة، ولكنها مرت بمراحل معينة في عملية نشأتها، ويسبق وجود المدينة وجود عدد لا بأس به من السكان في بقعة جغرافية تتوفر فيها مناطق الرعي والزراعة والخشب الذي يصلح كوقود وكمواد للبناء مع الحجارة وهي المواد الضرورية والأولية لسد حاجة السكان وضمان استمرار استقرارهم في المكان، أي توقفهم عن التنقل وزيادة عددهم عن قدرة مغارة أو مجموعة كهوف من استيعابهم هذا إن توفر في المكان المنشود مغاور أو كهوف. فنشأة المدن القديمة كانت ترتبط بعوامل قيامها خصوصاً أن مجتمع المدينة تاريخياً كان أكثر تطوراً من مجتمع القرية حيث زاد عدد السكان وزاد إنتاج الطعام وتفرغ جزء من السكان لعمل أو لإنتاج آخر؛ فكان بعضهم يعمل في الحراسة أو الجيش، وبعضهم يعمل في التجارة بأشكالها البسيطة مع مدن أخرى قريبة، وبعضهم يعمل في البناء وهكذا. خصوصاً أنه برز في تلك المجتمعات نظام طبقي بسيط يتكون من الطبقة العليا والتي تكونت من الملك وعائلته ورجال الدين، والطبقة الوسطى والمكونة من الأغنياء وملاك الأراضي والتجار وقادة الجيش، والطبقة الدنيا أو السفلى والتي كانت تتكون من العمال والفلاحين والعامة، وطبقة رابعة كانت تتكون من العبيد والسبايا التي لا حقوق فعلية لهم. وساهم استعمال المعادن وخصوصاً النحاس والبرونز والحديد والاشتغال بالأنشطة الأخرى غير الزراعية وغير الرعي، بظهور التجارة والصناعة، كما ساهم ظهور السحر والعرافة والكهنة وتطور الديانات القديمة وظهور القادة والرجال الأقوياء واستخدامهم في تنظيم الأشكال الأولية من الجيش البدائية، وظهور الرجال الحرفيين، وظهور عدد من الاختراعات والاكتشافات بعد

العصور الحجرية ساهم كله في وجود ما يسمى ممالك المدن أو الدولة المدينة، أي أن كل مدينة كان لها ملكها وشكل بدائي من أشكال الحكم والإدارة. لكن لا بد أن ننوه أن تلك الممالك كانت تمتاز بالأمر التالى:

١- أنها كانت مدن بدائية، ولكنها كانت أكبر حجمًا وأكثر اتساعًا وكثافة من المستوطنات التي سبقتها، وأنها مرت بتطورات مع العصور حتى وصلت الممالك لمساحات كبرى وأصبح هناك عاصمة ومدن تابعة، مع الأخذ بعين الاعتبار أن بعض مدن الممالك تطورت بشكل أسرع من غيرها وساهم في ذلك قوة ملكها وبأس جيشها وتطور اقتصادها.

٢- أن أغلب سكان المدن القديمة لم ينفصلوا عن الأرض، بل كان بعض سكانها يعملون في الزراعة جنبًا إلى جنب مع إتجاه جزء من السكان في أعمال أخرى.

٣- إضافة إلى ذلك أن هذه المدن مع الزمن والتطور والاستقرار أصبحت تتميز بوجود فائض من السلع والمنتجات وكان هذا الفائض يُجمع من السكان ليكون رأسمال فعال للمدينة ويستخدم كتجارة وتبادل سلع مع الممالك الأخرى القريبة.

يشار إلى أن بلاد الرافدين وأرض الشام ومصر كانت من أولى المناطق التي حدث فيها الانتقال من مرحلة الرعي والترحال إلى مرحلة الزراعة والاستقرار، ثم التجارة، لذلك كشفت التنقيبات الأثرية إلى وجود الكثير من المستوطنة البشرية وممالك المدن والتي ذكر الكتاب المقدس العديد منها خصوصًا في التوراة. إلا أن معظم هذه الممالك اندثرت ولم يبق لها أثر يُذكر لذلك لم تكشف الحفريات الأثرية الكثير من هذه الممالك الصغيرة لأسباب نوجزها بالتالى:

١- إن الكثير من هذه الممالك كانت بدائية الشكل والمظهر والعمران، فكان اندثارها أسرع.

٢- إن الحروب القديمة بين هذه الممالك ساهمت بشكل أو بآخر بمحو ممالك عن بكرة أبيها، وبالتالي لم نجد أثرًا واحدًا لها حتى الآن، أو قد نجد لها القليل من الآثار الباقية والتي قد لا تقدم تفسيرًا أو إشارات واضحة لاسمها أو اسم لأحد من ملوكها وبالتالي تاريخها، مما يجعل المكان مبهمًا في أغلب الأحيان.

٣- إن التسارع في العمران الحديث وتطور البنى التحتية ساهم بشكل كبير في محو أو طمس أو إندثار الكثير من المواقع الأثرية من العصور كافة ونظرًا لأن الأثر في مواقع العصور الحجرية لا يمكن تمييزه بسهولة إلا من قبل عالم آثار مختص بهذه العصور، فقد تعرضت الكثير من المواقع للإندثار بسبب التوسع العمراني بأشكاله المختلفة.

٤- إن الكثير من الحفريات غير الشرعية وأعمال سُراق الآثار قد دمر أو خرب الكثير من المواقع الأثرية، وضياع الكثير من اللقى الأثرية التي لو اكتشفت بالطرق العلمية لكانت قدمت لنا العديد من التفسيرات.

٥- إن الكثير من النقوش أو الكتابات سواء في المواقع الأثرية أو على الألواح أو جلود الحيوانات أو الوسائل التي كان يُكتب عليها قديمًا تعرضت للتلف الناتج عن عوامل الطبيعة أو العوامل البشرية، بالإضافة لعدم معرفة الكثير من اللغات البائدة وفك رموزها، ناهيك عن التشكيك الذي طال الكثير من القراءات التي قُدمت للنقوش أو الكتابات التي كُشفت لأسباب كثيرة.

القار في البحر الميت

كان البحر الميت أو بحر الملح مصدرًا أساسيًا ومهمًا في إنتاج مادة القار أو الأسفلت في الشرق، فقد ذكر ديودور الصقليّ أو ثيودور الصقليّ (بالإنجليزية: Diodorus Siculus) في كتابه مكتبة التاريخ (خزانة التاريخ) أن الأنباط كانوا يستخرجونه من البحر الميت بكميات كبيرة تتراوح ما بين عشرة آلاف إلى ثلاثين ألف قدم مكعب في السنة، وقاموا ببيعه إلى الفراعنة في فترة مبكرة بين الأعوام (٣٩٠٠ - ٢٠٠ ق.م) والذي استخدمه الفراعنة لاحقًا في التحنيط. وقد كانت بقايا القار التي تطفو بشكل عشوائي على السطح تجعل سكان المنطقة ثم الأنباط لاحقًا يخرجون في قوارب لجمع البقايا ووضعها في مستوعبات ثم بيعها كسلعة باهظة الثمن، ويبدو أن اكتشاف القار وبيان أهميته وفوائده الاقتصادية قد جلب لسكان هذه المنطقة العداء، ولعل هذا هو أحد أهم الأسباب لقيام الحرب التي حصلت بين الأنباط والسلوقيين بالإضافة لطرق التجارة التي وفرت للأنباط ثروة هائلة. وقد حاول ديميتريوس

في إحدى حملاته أن يبقى في منطقة البحر الميت، لمعرفة المزيد عن القار، وأبلغ ديميتريوس والده عن القار، فأرسل أنتيغونوس بعثة استكشافية بقيادة هيرونيموس إلى البحر الميت، فقام الأنباط بالتصدي للحملة وقتل معظم الأعداء.

العبرانيون

ورد هذا المصطلح في التناخ باسم (עִבְרִי) (باللغة العربية: إفري) والذي يعني "اجتياز" أو "عبور" ويرجع بعض الكتاب المصطلح لإبراهيم الذي هاجر من العراق وعبر عدة أنهار، والبعض للقبائل اليهودية التي عبرت مع النبي موسى البحر عند خروجهم من مصر، ثم عبرت مع يشوع نهر الأردن. كما نسب البعض أصل تسميتهم بالعبرانيين إلى النبي عابر بن شالح بن أرفخشذ بن سام بن نوح.

يشير لهذا الاسم الشيخ الطنطاوي في كتابه (بنو إسرائيل في القرآن والسنة): من أسماء بنى إسرائيل: العبريون، والإسرائيليون، واليهود، وقد اختلفت الآراء في سبب تسميتهم العبريين أو العبرانيين. فقيل: إنهم سموا بالعبريين نسبة إلى إبراهيم نفسه، فقد ذُكر في سفر التكوين باسم «إبرام» لأنه عبر نهر الفرات وأنهاراً أخرى. وقيل: إنهم سموا بالعبريين نسبة إلى «عبر» وهو الجد الخامس لإبراهيم - عليه السلام. بينما يرى البعض بأن كلمة عبري ترجع إلى الموطن الأصلي لبنى إسرائيل، وذلك أنهم كانوا في الأصل من الأمم البدوية الصحراوية التي لا تستقر في مكان، بل ترحل من بقعة إلى أخرى بماشيتها للبحث عن الماء والمرعى، فكلمة عبري مثل كلمة بدوي، أي: ساكن الصحراء أو البادية، وقد كانت الأمم يسمون بنى إسرائيل: بالعبريين، لعلاقتهم بالصحراء، ولتمييزهم عن أهل العمران.

وقد رجح بعض العلماء ومنهم العالمان السريانيان «ابن الصليبي» المتوفى سنة ١١٧١م، و«ابن العبري» المتوفى سنة ١٢٨٦م، الرأي الأول، وهو: أن التسمية ناتجة عن عبور إبراهيم - عليه السلام - نهر الفرات، وأيد ابن العبري قوله بالترجمة اليونانية «أكوبلا» التي تترجم «العبراني» بـ«المجتاز» أو العابر، في إشارة إلى عبور إبراهيم نهر الفرات، ومما يؤكد هذا الرأي

أيضا ما جاء في «سفر يشوع»: «هكذا قال الرب إله إسرائيل في عبّر النهر سكن أبائكم منذ الدهر، تارح أبو إبراهيم وأبو ناحور، وعبدوا آلهة أخرى، فأخذت أباكم إبراهيم من عبر النهر، وسيرته في جميع أرض كنعان» يش ٢٤: ٢.

في المسيحية العبور يأتي في المعمودية، فهو عبور المؤمن من «القديم» إلى «الجديد»، بالتالي سقط مفهوم العبراني عن اليهودي وأصبح العبراني في المفهوم المسيحي هو المؤمن الذي ينال سر المعمودية ويتنقل من ضفة إلى أخرى ومن الموت إلى الحياة ومن الخطيئة الأصلية إلى الإيمان.

- داوود بن الهبولة - اسم يُثير التساؤل^(١)

أول مرة قرأتُ فيها عن الضجاعة كانت في كتاب مادبا وضواحيها للعلامة الأردني روكس بن زائد العزيزي وشاركه في كتابته الأب جورج سابا لهما الرحمة، وأعاد طباعته ونشره في طبعة ثانية الأب عماد الطوال، ووقتها ورد في النص ذكر اسم داوود بن الهبولة وكان مقامه في مادبا. لقد أثار هذا الاسم الاستغراب والتساؤل عندي، خصوصاً أن النص وقتها على ما أذكر كان يخلو من الإشارة للمصدر، فعدتُ بعدها بسنوات لزميلٍ أثاري كان كثير الحديث في التاريخ ومبالغ فيه، وسألته عن قوم سكنوا هذه البلاد يوماً ما (اليوم هنا يُقصد بها فترة زمنية طالت أو قصرت لا تعيننا في المقال) لقبهم الضجاعة، وآخر ملوكهم أو أمرائهم داوود بن الهبولة، وسألته بحكم خبرته الأثرية عن إذا وجدوا ما يُشير لمقام ابن الهبولة الذي قرأتُ عنه، أو أي أثرٍ أو معلمٍ أو نقشٍ؟ فضحك ساخراً بأن لا وجود لهذه المملكة ولا لأمرهم «الهبولة»، مهاجماً فكرة أن يكتب التاريخ غير من عرفهم هو من وجهة نظره. وقتها ولعدم ذكر المصدر أو المرجع لهذا الأمر في كتاب مادبا وضواحيها أخذتُ الحذر من الكتاب كمادة يُعتد بها، ويؤخذ منها. لكن ولما يتمتع به كبيرنا المرحوم روكس بن زائد العزيزي في نظري ونظر الأردنيين أخذتُ في فتراتٍ متقطعة أبحثُ عن هذا الرجل

(١) مقال للكاتب.

«داوود بن الهبولة» في المصادر والمراجع، وكم نال التعب مني وأرهقني البحث حتى كدتُ في مرات كثيرة أن أتخلى عن البحث إلى أن وقع تحت نظري شرحٌ بسيط عن بيت شعري يقول:

نحنُ الألى أردتُ ظُباتُ سيوفنا داود بين البرقتين فحارب

لثعلبة الفاتك يُرثي فيه داوود بن الهبولة الذي مقامه في مادبا! وثعلبة هذا نفسه الذي قتله.

وتقول الرواية كما لخصتها من عدة مصادر:

إن أحد ملوك الضجاعة السليحيين وهو داود اللثق بن هُبالة ابن عمرو بن عوف بن ضجعم، خاض الكثير من الغزوات على القبائل العربية المحيطة وعُرف بالجرار، أي الذي يقود جيشاً من ألف مقاتل. ثم تاب وتنصّر (أي أصبح نصرانياً مسيحياً) فكره الدماء والقتل، وبني ديراً (سمي على اسمه حسب المصادر التي قرأتها عنه ولا أعلم أين موقعه)، فكان ينقل الطين والماء على ظهره، فُلِقَبَ اللثق، لِثُوقِ ثِيابه بجسده، ونُسِبَ الدير إليه فسمي (دير داود)، وقيل في موقع آخر سُمي باللثق لأنه كان يحمل على ظهره الماء الذي ينزل على الأرض فتتوسخ ثيابه بالطين. ورغم اعتزاله للقتال إلا أنه ظل زعيماً على سليح، فكان هدفاً للغزاة، حيث قُتل بغزوة من قبيلة كلب.

أما الرواية الأخرى فتقول أنه لما تعبَدَ ضَعُفَ، فأمره ملك الروم بالغزو، وكان على خيله جعفر بن صبح التنوخي وفي جيشه زهير بن جناب الكلبي، وثعلبة الفاتك بن عامر الأكبر الكلبي (هل تذكروا اسمه)، ومعاوية بن حجير المَشْجَعِي، وكلهم من قضاة، فغزوا عبد القيس فغنموا ورجعوا، وفي الطريق تذاكرَ رجالُ قضاة ما دخلهم من الذلِّ بسبب داود، فتواعد ثعلبة الفاتك ومعاوية بن حجير على قتله، حتى إذا كان في موضع يقال له (برقة حارب) من أرض الشام (قد تكون قرية برقة في اللاذقية)، وأمامه شمعةٌ، تقدّما فأطفأها وقتلاه.

ورغم أن الروایتين لا تقدمان الكثير عن هذه الشخصية وعن «المقام» في مادبا (والذي

أشار إليه ابن خلدون في تاريخه ولم أجد هذه الإشارة حتى هذه اللحظة)، ولا عن تأثيره في المسيحية، وغيرها من الأمور لكن من المهم أن نقول أننا جميعاً لا نملك المعلومة كاملة ولا العلم الكامل وأنا مهما حفظنا وعرفنا في علمٍ ما فإننا لن نستطيع أن نملأ أكثر من قدح ماء نسبة للماء في الكرة الأرضية.

السيرة الذاتية للمؤلف

أشرف عبدالله الضباعين، ولد في الأردن في عام ١٩٧٣ ويحمل شهادة بكالوريوس إدارة أعمال. روائي وكاتب في عددٍ من الموضوعات، وترأس لعدة دورات عدد من المبادرات الثقافية، وأدار عددًا من المجلات ذات الطابع الثقافي. كما عمل فترة كمحاضر غير متفرغ لمادة السياحة الدينية.

صدرت له الكتب التالية:

- الأول: إدارة المواقع الأثرية وتسويقها سياحياً / مكتبة الراتب العلمية / عمان ٢٠٠٣.
- الثاني: مواقع التراث الثقافي - إدارة وسياحة وتسويق / وزارة الثقافة الأردنية / عمان ٢٠١٢.
- الثالث: ليتني - يوميات عاشق غريب / مقطوعات نثرية / مادبا ٢٠١٤.
- الرابع: خوف خلف الأقنعة / قصص قصيرة ونصوص / مادبا ٢٠١٥.
- الخامس: الوهم / رواية / دار الخليج للنشر / عمان ٢٠١٧.
- السادس: ناجون من الحب / رواية / دار الخليج للنشر / عمان ٢٠٢٠.
- السابع: إدارة الآثار والتراث وفقاً للمعايير العالمية / كتاب أكاديمي / دار ورد للنشر والتوزيع / عمان ٢٠٢٠.
- الثامن: صحراء فاضلة / رواية / دار دنداشي ودار جفرا للنشر / عمان ومونتريال ٢٠٢٢.
- التاسع: السردية التاريخية الأردنية / كتاب تاريخي أكاديمي / منشورات أشرف الضباعين، عمان ٢٠٢٤.

المراجع

- ١- الكتاب المقدس.
- ٢- القرآن الكريم.
- ٣- السردية التاريخية والسردية الدينية، مقال ليوسف ضمرة، مقال منشور في صحيفة الإمارات اليوم الإلكترونية، ٢٠١٣.
- ٤- التاريخ، هيرودوت، الجزء ٧، صفحة ٨٩.
- ٥- السردية التاريخية والهوية الوطنية، مقال لجهاد هارون، مقال منشور في صحيفة الرأي الأردنية، نشر في: الجمعة ١٤ آب / أغسطس ٢٠٢٠.
- ٦- القدس قبل الإسلام بين النصوص التوراتية والمصادر التاريخية والآثار، زيدان عبد الكافي كفاي، عمان، دار الشروق للنشر والتوزيع، ٢٠٢١.
- ٧- الآثار المسيحية في الأردن، سليم وهبان الصائغ، مركز الكتب الأردني، عمان، ٢٠٠٩.
- ٨- مادبا، كنائس وفسيفساء، ميشيل بيشريللو، دار الكتاب النشر للبولسيين في ميلانو ١٩٩٣.
- ٩- قاموس الكتاب المقدس، تأليف نخبة من الأساتذة صدر عن مجمع الكنائس في الشرق الأدنى، الطبعة الثانية، بيروت، ١٩٧١.
- ١٠- موسوعة الكتاب المقدس، صدر عن دار منهل الحياة، منصورية المتن، لبنان وعن دار الكتاب المقدس نيوروضة، لبنان.
- ١١- السيرة الحلبية لابن برهان الدين علي الحلبي، ٣ أجزاء، بيروت ١٩٨٠.
- ١٢- كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن ناصرهم من ذوي السلطان الأكبر، لأبن خلدون، ٧ أجزاء، بيروت، دار الكتاب اللبناني، ١٩٨١.
- ١٣- بنو إسرائيل في القرآن والسنة، محمد طنطاوي، القاهرة، دار الشروق، الطبعة الثانية، ٢٠٠٠.

- ١٤- التراث في خدمة الإنسانية، مقال لأشرف الضباعين، مقال منشور على موقع الحوار المتمدن، نُشر في: العدد: ٧١٥٢ - ٢٠٢٢ / ٢ / ٢ - ٣١: ١٠.
- ١٥- المصادر التاريخية للنصوص المقدسة « كتاب التوراة نموذجاً »، مجيطة عبدالحق، مقال منشور في مجلة الترجمة واللغات، المجلد ١٦ العدد ٠٢ / ٢٠١٧.
- ١٦- تفكيك السردية الصهيونية لانشاء الدولة اليهودية، مقال لأمين محمود، نُشر في صحيفة رأي اليوم بتاريخ ٢٣ إبريل ٢٠٢٢.
- ١٧- إدارة الآثار والتراث وفقاً للمعايير العالمية، أشرف الضباعين، عمان، دار ورد الأردنية للنشر والتوزيع، ٢٠٢٠.
- ١٨- الزمان والسرد: الحبكة والسرد التاريخي، بول ريكور، ترجمة سعيد الغانمي وفلاح رحيم، مراجعة جورج زيناتي، الجزء الأول، دار الكتاب الجديد المتحدة، ٢٠٠٦.
- ١٩- نهر الأردن: بحث في الجانب الشرقي بين المصادر التاريخية والاكتشافات الأثرية الحديثة، محمد وهيب، بحث منشور في المجلة العلمية للإتحاد العام للآثارين العرب، ٢٠٠٣.
- ٢٠- التوراة جاءت من جزيرة العرب، مقال لأحمد الدبش، نُشر في موقع الجزيرة، ٢١ / ٦ / ٢٠١٧.
- ٢١- الأركيولوجيا بين العلم والإيديولوجيا، البحث عن أورشليم، كاترينا غالور، ترجمة محمود الصباغ، صفحات للدراسات والنشر، ٢٠٢٤.
- ٢٢- المؤايون، A.H. VanZyl، تعريب وإعداد د. خير ياسين، سلسلة تاريخ الأردن، الجامعة الأردنية، ١٩٩٠.
- ٢٣- الكشف والبيان عن تفسير القرآن، أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق، تحقيق الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق الأستاذ نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ٢٠٠٢.

- ٢٤- الشرق العربي القديم وحضاراته بلاد ما بين النهرين والشام والجزيرة العربية القديمة، دكتور حلمي محروس اسماعيل، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، ١٩٩٧.
- ٢٥- تاريخ الأمم والملوك- تاريخ الطبري، الإمام الفقيه المفسر المؤرخ أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، بيت الأفكار الدولية، السعودية.
- ٢٦- ابن الكلبي، نسب معد واليمن الكبير، تحقيق محمود فردوس العظم (دار اليقظة العربية، دمشق).
- ٢٧- المفضل الضبي، الأمثال للمفضل الضبي، تحقيق رمضان عبد التواب (مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق).
- ٢٨- المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، جواد علي، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٧٦.
- ٢٩- معجم البلدان، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، دار صادر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٥.
- ٣٠- تاريخ العرب القديم، توفيق برو، دار الفكر، دمشق، الطبعة الثانية ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م.
- ٣١- ضد أبيون: آثار اليهود القديمة (الجزء الأول والثاني) - فلافيوس يوسيفوس، ترجمة وتقديم محمد حمدي إبراهيم، الكتب المصري للمطبوعات، القاهرة، ٢٠٠٧.
- ٣٢- العرب قبل الاسلام، جرجي زيدان، مطبعة الهلال، القاهرة، ١٩٢٢.
- ٣٣- دراسات في تاريخ العرب القديم، محمد بيومي مهران، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية.
- ٣٤- المعجزة السينوزية - فلسفة لإنارة حياتنا، فريدريك لونوار، ترجمة محمد عادل مطيمط، دار التنوير للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، ٢٠٢٠.

المراجع الأجنبية:

- 1- Paul Ricoeur : Temps et récit ,III le temps raconté, éd Seuil, Paris
-Col - L'ordre- Philosophique) 1985, P: 435.

- 2- Dr. Fawzi Zayadine: Biblical Sites Jordan Land Of Prophets,
CASA EDITRICE BONECH Via Cairolì 18B- 50131 Florence,
Italy .
- 3- Bible Review, Summer 1985 (Volume I, Number 2) Journal
– January 1985 ,1, by Frank Moore Cross (Contributor),
Jane Dillenberger (Contributor), Jerome Murphy O'Connor
(Contributor), David Noel Freedman (Contributor), Hershel
Shanks (Editor).
- 4- Thomas L. Thompson (2000). «Problems of Genre and
Historicity with Palestine's Descriptions».
- 5- Alan Millard (2006). «Authors, Books and Readers in the
Ancient World». J. W. Rogerson, Judith M. Lieu. The Oxford
Handbook of Biblical Studies. Oxford University Press.



